التوجيهاتُ النبوية
فى
العلاقات الاجتماعية
دراسةٌ بلاغية

إعداد

د. همت محمد القاضي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على دربهِ إلى يوم الدين.

وبعد ...

من المُسلّم به أنّ الإنسانَ لا يستطيع أنْ يعيشَ فى هذا الكون وحيداً، فريداً، فالإنسان مدنىٌ بطبعه، وإذا كان لابد أنْ تستقيم علاقاته بالآخر على نحو صحيح، فلابد من ابتاع هدى الله سبحانه، والامتثال للوحى لتستقيم معه الحياة، والعيش .

فكل ما يُعكر تلك العلاقة مُحرم، فلا تستقيم الحياة مع قتل الآخرين، أو سبهم، أو سوء الظن بهم، ولا تستقيم الحياة على التحاسد، والتباغض، والتجسس، والتخاصم، والشح، والظلم .

ولكى تبقى الإخوة متينة بين البشر؛ فقد نهى اللهُ ﷻ عن الظنّ، والحسد، والتباغض، والاغتياب، فقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢] .

كل ذلك لماذا ؟. حتى تبقى الجبهة الداخلية فى المجتمع قوية متينة باقية على الدّهر لا تعصف بها أعاصير الحقد، والحسد، والبغض، والغدر، والظن، واللعن.. إلخ .

وفى هذا البحث بعض التوجيهات التى أرشدَ النبىُ ﷺ البشرية إلى العمل بمقتضاها، ومنها سوء الظن، والظلم، سباب المسلم ، وقتل المُعاهد، ... وغيرها .

وترجع أهمية الموضوع: لما نعيشه الآن من إنكار فئةٍ من الناس أحاديثَ رسول الله ﷺ وادعائهم التصديق بالقرآن الكريم فقط دون الأخذِ بسنة الرسول ﷺ لطعنهم فى صحة الأحاديث الشريفة بمحاولة خبيثة فيها تكذيبٌ له ﷺ ، ومحو لسنته المطهرة، وتضييع للعمل بها، وفى هذا جرأة عليه ﷺ، وتقليل لجانب من الشريعة الإسلامية بل يكون صنعهم هذا سبيلاً إلى إنكار القرآن الكريم، والرجوع بالزمن إلى الوراء ليرى الناس منْ كذّبوا رسول الله ﷺ وسبّوه ، وحاولوا النيل منه – وهم أمامنا للآن– ولكن هيهات هيهات فقد عصمَهُ اللهُ من الناس، وكرّمه ورفعَ شأنه.

- وفى هذا البحث دفاعٌ عن سنته ﷺ المُطهرة بطريقة عملية فيها إثبات جوانب السنة الشريفة المُطهرة التى كشفت عن مُخبآت النفس البشرية فى تصرفاتها، وأقوالها، وكل أفعالها فى شتى مجالات الحياة، لتُثبتَ صحة الرسالة المحمدية حتى قيام الساعة .
- رغبةً منى فى تنبيه الأذْهان كى تهُبّ منْ سُباتها، وغفلتها إلى المدرسة المُحمدية، والالتحاق بها، والارتشاف من فصاحته وبلاغته ﷺ لتترسم خُطى الحبيب ﷺ فى حِلها وترْحالها، و تذُبّ عنْ نبيِها كيدَ عدّوه وعَدّوها، خاصةً والأُمّة الإسلامية فى عصرٍ تداعت فيه الأمَمُ عليها، وأصبحت بين شِقّى الرّحى، وصدقتْ فيها نُبوءة الرسول ﷺ بقوله :«

يُوشك الأممُ أنْ تداعَى عليكُم كما تدَاعى الأَكلَة إلى قَصْعتهَا» فقالَ قائلٌ: ومنْ قلةٍ نحن يومئذٍ ؟ قالْ: بلْ أنْتُم يَومئذٍ كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السّيل، ولينزعنَّ اللهُ منْ صُدورِ عدُوكُم المهَابَة مِنكُم، وليقْذفنّ اللهُ فى قلُوبِكُم الوَهنْ، فقال قائلٌ: يا رسولَ الله وما الوَهنْ ؟ قال:« حُبّ الدّنيا وكراهيةُ المَوتْ»(١). كلّ هذا لبُعدها عنْ المنهج الرّبانى، والهدى المُحمدىّ، وهو بينَ يديها، ولكنّها سهتْ، وضَربتْ عنْهُ الذّكرَ صفحاً .

وصدقَ القائلُ يشكو حسرةً على هذه الأُمّة بعد أنْ كانت سادةً، وقادة العالَم أصبحت فى ذيلِ الأُمم، تَهُبّ مع كلّ ريحٍ فقال :

بأيْمانِهم نُورانِ ذكرٌ وسنةٌ فمَا بَالهُمْ فى حالكِ الظّلُماتِ(٢)

وسبب اختيارى للموضوع بعُنوان: { التوجيهاتُ النبوية فى العلاقات الاجتماعية دراسةٌ بلاغية} نظراً لتعلقه بمُختلف مجالات الحياة، وإبرازها للناس كى يكونوا حذرِين فى أقوالهم، وأفعالهم، كما أنّه يُربى لديهم يقظة الضّمير، ودوام المُراقبة لله تعالى؛ كما أنّ البحث يُحاول تحليل النقاط البلاغية فى تعبيراته ﷺ بأساليب التّحذير المختلفة، وبيانِ أنّ هذه الأساليب منْ أنجح الأساليب فى الزّجر عنْ انتهاكِ المُحرمات .

---

(١) سنن أبى داود لـ:سليمان بن الأشعث أبى داود السجستانى الأزدى ، باب فى تداعى الأمم على أهل الإسلام ٢ / ٥١٤، ت: محمد محى الدين عبد الحميد دار الفكر (ب.ت) .

(٢) ديوان أحمد شوقى :من قصيدة (إلى عرفات) ١٠١ مطبعة الاستقامة المكتبة التجارية ط١ ١٩٦١م.

فأساليبه ﷺ قالباً للمعانى الثرية التى وصلت إلينا بأبلغ العبارات، وأرقى التعبيرات .

أمّا عن منهج الدراسة وطريقة البحث: فتعتمد هذه الدراسةُ على المنهجِ التحليلى البلاغى فى الأحاديث الواردة فى بعض توجيهات النبى ﷺ ، وبيان بلاغة التعبير فيها .

وقد بدأت بذكر نصّ الحديث مضُبوطاً بالشكل برواية أحدِ الإمامين البخارى ومسلم، وتناولتُ روايةَ (مسلم) من خلال شرح الأحاديث فيما اتفقا عليه الشّيخان، ثم ذكرتُ المعنى العام للحديث، والتّحذيرَ الذى ورد فيه، والطريقةَ العامة للرسول ﷺ فى تعامله مع المُتلقى، وتوجيهِه الوجهَة السّليمة، ثم بينتُ نوعَ الألوان البلاغية فيه، وأثرهَا فى السياق، وحاولتُ أيضاً التوفيقَ، والجمع بين الأحاديث التى بينها تعارض فى الظّاهر كى يتبينَ مُرادَ النبىِ ﷺ بها[1].

وقد قسمتُ هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة .

واشتملت المقدمة على بيان أهمية الموضوع وسبب اختيارى له، ومنهج البحث وطريقة الدراسة فيه.

المبحثين: أولهما: الأسرار البلاغية فى التحذير من الآفات الخُلُقية لهدم العلاقات الاجتماعية.

ثانيهما: الأسرار البلاغية فى التحذير من تقطيع الأواصر

([1])كحديث"ذو الوجهين " ، وحديث "..بئس أخو العشيرة ائذنوا له"

الاجتماعية.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز نتائج الدراسة.

وفهرس للموضوعات ، وآخر للمصادر والمراجع .

فلله الحمدُ ربّ السموات وربِّ الأرض ربّ العالمين .

الباحثة

همت القاضى

المبحث الأول

الأسرار البلاغية فى التحذير من الآفات الخُلُقية لهدم العلاقات الاجتماعية.

تحذيره ﷺ من سوء الظنّ

• عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: • إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا "[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ حريصٌ على وحدة الأُمّة وقوتها، وتماسك بُنيانها، وطهارتها قولاً وفعلاً واعتقاداً، والمحبة بين الأفراد والمجتمعات، والتعاون على الخير والمعروف، والبُعد عما يُثير العداوة والبغضاء بينهم . قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

([1])صحيح البخارى. للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى ت للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى. باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ٥ /٢٢٥٣ ، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا :طبع ابن كثير: بيروت ط٣ ١٩٨٧ م ..

، و صحيح.مسلم : لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابورى ت ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ٤ / ١٩٨٥. ت/ محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى .

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

التحليل البلاغى:

جمعَ الرسولُ ﷺ فى هذا الهدى الشريف بين عدة تحذيرات، فبدأ بهذا الأسلوب التّحذيرى (إياكم والظنّ) [١] وهذا من شأنه: تنبيه المُتلقى، وإثارة انتباهه، واسترعاء سمعه وكِيانه للاستعداد لما سيُليقه ﷺ عليه: وإعلان لخُطورة الأمر، فـ « تقديم صيغة التّحذير أو الإغراء (إياكم أو عليكم) إذا طرقت أُذن السامع انتفض منْ شواغله، وألقى انتباهه، وبخاصة إذا عرف فى مُحذِّره أو مغرِيه حرْص الناصح الأمين»[٢].

وفى قول الرسول ﷺ (إياكم) إيجازٌ بالحذف؛ حيثُ حُذف المُسند وهو: (أُحذر)، تنبيهاً على أنّ الزمن قصُرَ عن المجئ بالمحذوف، والاشتغال بذكرهِ يُؤدى إلى تفويت الأمر المهم .

وفى تقديم النبى ﷺ (الظنّ) على باقى المُحذرات وبدئه به؛ لأنّ الظنّ له ضررٌ جسيم على الفرد، والمجتمع، فهو أكذبُ من القول لقيامهِ على الشك والتردد فى النفس، واتهام للآخرين دون دليل .

([١])التحذير والإغراء : ينظر شرح ابن عقيل لـ:بهاء الدين عبد الله بن عقيل ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ت: محمد محيي الدين، دار الفكر، دمشق،ط١ ،١٩٨٥م .

([٢]) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ٤٠٧ دار إقرأ ، ط١ ،١٩٨٤م.

قال الله ﷻ ﴿ **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [النجم:٢٨].

ولذا بيّن الرسولُ ﷺ علة تحذيره بقوله : (فإنّ الظنّ أكذبُ الحديث) أى أكثر كذباً من القول، وأكدّ بـ(إنّ) مع اسمية الجملة، حيث نزّل المخاطبين منزلة المُتردد لما بدا على النّاس من الاستهانة بخطر الظنّ، دلالةً على ضرره، وفجاعةِ خطره، واستفحال دائه، ولذا عبّر الرسول ﷺ بأفعل التفضيل (**أكذبُ الحديث**) بدلاً منْ أنْ يقول(**حديثٌ كاذب**) وذلك : مبالغةً فى زيادة إثمه، وجُرمه لعدم سندِه بدليل .

هذا، وقد ربط الرسولُ ﷺ التحذير بما بعده بفاء السببية للإقناع ببيان العلة، « فإذا علمنا أنّ بين الفاء والعلة حرف التوكيد (إنّ) رأينا جزماً بهذه العلة يُقررها فى الذهن وينفى عنها أىّ شك يمكن أنْ يحُوم حولها، ولتأخذ طريقها فى النفس دون عقباتٍ أو اعتراضات »[(١)].

وهنا سؤال كيف يكون الظنّ أكذبَ الحديث مع أنّه (شئ معقول) ؟ .

الإجابة عن هذا السؤال هى أنّ: الرسولُ ﷺ يُريد القول بأنّ الظنّ إذا تعدى مرحلة الشّك والتوهم إلى مرحلة التفوُه والتحدث به أمام الآخرين لكان كاذباً لعدم اعتماده على بينةٍ ودليل... فالنبىُ ﷺ يُؤد الخطرَ فى مهده .

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٦٥.

وجائز أنْ يكون الكلام على تقدير (من) أى (الظّن أكذب من الحديث) حيث اقتضت الأولى سؤالاً من السامع هو: (لماذا نتجنبُ الظنَ) يا رسول الله ؟ فعللَ النبىُ ﷺ آتياً بالجواب مقروناً بـ(الفاء، وإنّ)، وهذا يسمى شبه كمال الاتصال(١)، والجملة الثانية استئنافية .

وفائـــدة شبه كمال الاتصال أنْ تُنزل السؤال « بفحواهُ كالمورد للسؤال فتنزل ذلك منزلة الواقع ويطلب بهذا الثانى وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه لجهات لطيفة، إمّا لتنبيه السامع على موقعه أو لإغنائه أنْ يسأل أو لئلا يسمع منه شئ أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف »(٢) .

وفى تعبير النبىﷺ بقوله: (ولا تحسسوا) (٣) نهىٌ على التعرف على أحوال الآخرين، وتتبع عورات الناس بالتحسس، أو التجسس للتعرف

---

(١)شبه كمال الاتصال هو : أن تكون الجملة الثانية شديدة الاتصال بالجملة الأولى، كأنهما أفرغاً فى قالب واحد، كأن تكون صفة لها أو بياناً أو توكيداً أو بدلاً . تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ١٦٢ ، و تيسير وتفسير د٠عبد القادر حسين .

(٢) مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف السكاكى ٢٥٢ ،ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٣م .

(٣) التحسس: أَحْسَسْتُ الخبَرَ وأَحَسْتُه وحَسَيتُ وحَسْتُ إذا عرفت منه طَرَفاً . لسان العرب للإمام جمال الدين أبو الفضل محمد بن بكر بن منظور الأفريقى، مادة (حسس) ، دار صادر بيروت، ط١ .

على أسرار الآخرين، ومعرفة أخبارهم التى لا يُريدون كشفها أمام الناس .

وفى قوله ﷺ (ولا تحسسوا)؛ حيث رتّبَ المُحذرات ، فعطفَ(التحسس)على(الظن)؛ لأنّ الظنّ هو التهمة منْ غير سبب، وأنّ الشخص يقع له خاطر التهمة فيريدُ أن يتحقق، فيتحسس، ويبحث، ويسمع، فنهى الرسولُ ﷺ عن ذلك .

وتأمل أيضاً فى عطفهِ ﷺ (التجسس على التحسس) حيث يُوحى بأنّ الإنسان لابد وأنْ يصونَ حواسه كلها لمساً، وسمعاً، وبصراً عنْ عيوب الآخرين .

وفى هذه الجملة تجنيسٌ خطىّ[1]، وهو من شأنه: إحداث نغمةٍ موسيقية تنبعث من الألفاظ المتحدة فى الحروف، مما يشعرُ القارئ بخفة على اللسان والسمع، مما يتأكد المعنى، ويتقرر فى الذهن فيكون له بالغُ الأثر فى الامتثال للأمر، والبُعد عن الخطأ .

وفى قوله ﷺ (ولا تحسسوا) تلمح هنا كأنّ شيئاً مادياً يُلمس أو يُحس، حيث ترى النبىَ ﷺ أخرج الشئ المعنوى وهو:(التعرف على أحوال

---

(١) التجنيس الخطى: هو توافق اللفظين فى الكتابة . ينظر المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى ، ٤٤٩ ، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ . و خلاصة المعانى للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى ٤٦٣ تحقيق ودراسة د٠عبد القادر حسين .

الآخرين، وسبرِ أغْوارهم) فى زى محسوسٍ يُرى ويُشاهد ، وذلك لتجنبه، والبُعد عنه .

وجاء العطف فى هذه الجملة : من باب عطف الخاص على العام[1] ؛ لأنّ التحسس خاص، والتجسس عام .

كما أنّ « التجسس غالباً يُطلق على الشّر، ومنه الجاسوس، أما التحسس فيكون غالباً فى الخير» [2]. قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] .

وفى قوله ﷺ (ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا)[3]، حيث نهى عن التغرير بالآخرين، وخداعهم ليُوقع من يغرر بهم فى الضرر فى المعاملات، والعلاقات بين الناس من بيعٍ، وشراء، نكاح، وحديث، فنهى النبىُ ﷺ عن النجش لتطهير المجتمع من كل شئٍ يُحدث الخصام، والخديعة، والشقاق المُفضى للقطيعة .

---

(1) من أنواع الإطناب ذكر الخاص بعد العام . المطول للتفتازانى ٢٩٢ .

(2)تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٩ ، ت: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٩ م .

(3) التناجش هو أن تستام السلعة بأزيد من ثمنها ليراك الآخر فيقع . أساس البلاغة :جار الله الزمخشرى ٢ / ٤٤٢ مادة (نجش) :تقديم د٠ محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م

وقد نهىَ الرسولُ ﷺ عن(النجش) نهياً صريحاً معطوفاً عليه (ولا تحاسدوا) بالواو الدّالة على المغايرة مع تكرار حرف النهى (لا) فى جملة (ولا تناجشوا)؛ إشارة إلى استقلالية كلّ منهما بحكم النهى، ولإختلاف الفعلين؛ فـ(النجش) فعل الجوارح، و(الحسد) من فعل القلوب: ولكنهما مُتفقان فى الضرر للآخرين .

وفى عطف النبى ﷺ(التحاسد)على(التناجش) تلمحُ اتفاقاً بين الاثنين؛(فالتناجش) إخفاءٌ للسعر الحقيقى؛ حيث يغُرّ غيره ويخدعه حتى يُقدم على شراء السلعة ولم يُريدها لنفسه .

أمّا (الحسد) إخفاءٌ لما تُكنه نفس الحاسد تجاه محسُوده وإظهاره له عكس ما يُضمر من تمنيه زوال نعمته، حتى ولم تأت إليه، فكلاهما يُريد الضرر بالآخرين، ولا يصدرُ ذلك إلا عن نفسٍ خبيثةٍ، وإنسانٍ حقود . وقد حذّر الرسول ﷺ من الحسد [١].

وفى تعبيره ﷺ (ولا تدابروا)[٢] كناية[٣] عن صفة : الإعراض، والمقاطعة، والهجران .

([١]) فقال: « إياكم والحسد فإنه يأكلُ الحسنات كما تأكلُ النّارُ الحطب » . سنن أبى داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدى(ت٣١٦هـ)، باب الحسد ٢ /٦٩٣ . ت محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

([٢]) تدابر القوم : تَعادَوْا وتَقاطَعُوا . اللسان مادة (دبر) .

([٣])والكناية : أَن تتكلم بشيء وتريد غيره وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه، وقد تَكَنَّى وتَحَجَّى أَي تستر من =

وتُوحى هذه الجملة: بالتنفير من القطعية، والخصام، إذ لا يحلّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ [1] .

كَنَى عنه إذا وَرَّى أَو من الكُنْية كأَنه ذكر كنْيته عند الحرب ليُعرف، وكَنَوت بكذا عن كذا وأَنشد وإني لأَكني عن قَذورَ بغَيْرِها وأُعْرِبُ أَحْياناً بها فأُصارِحُ . ينظر اللسان مادة(كنى)١٥ /٢٣٣ .

وفى اصطلاح البلاغيين: «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقى مع جواز إرادة ذلك المعنى» . الإيضاح ٣٣٠ .

وعرّفها عبد القاهر أن «يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه» . دلائل الإعجاز. لعبد القاهر الجرجاني ، ٦٦ ت: محمود شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م .

والكناية على ثلاثة أقسام منها : المطلوب بها غير صفة ولا نسبة الإيضاح فى علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع لـ الخطيب القزويني ،٣٣١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٥ م . ومعنى ذلك : أنْ يكون المطلوب بها موصوفاً. ينظر حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص، ٢٤٧/٤ ، المكتبة الأميرية، بولاق ، ١٣١٧هـ .

(١)كما فى رواية للبخارى بعد ذكر التباغض والتدابر، والتحاسد فقال ﷺ : « ولا يحلّ لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث »

صحيح البخارى ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ٥ / ٢٢٥٣.

والبغضُ لا يكون ابتداءً وإنما له دواعى وأسباب، فالكناية هنا أثبتت معنى (التدابر) بالدليل، وبينته، وفى رواية مسلم، وأخرى للبخارى عطف ﷺ (التباغض على التدابر)[١]؛ لأنّ الإعراض، والقطيعة يفُضيا بصاحبهما إلى الكراهية، والبغض .

وفى تقدّيم النبى ﷺ لفظ (تدابروا) على (تباغضوا) فى رواية البخارى؛ لكى ينهى عنْ أى إعراض، أو قطيعة من بادئ الأمر لئلا تتفاقم الأمور .

والمتأمل فى تتابع النواهى فى هذا الحديث الشريف ، وسرّ عطفها بالواو على بعضها يجدّ : اتفاقها فى الإنشاء مع وجود مناسة تامة بينها، وزمن الفعل الماضى، واتفاقها فى المُسند إليه(واو الجماعة)، واتصالها ببعضها؛ وذلك لما بينهم من التوسط بين الكمالين[٢]، لأنّ كلّ صفة من هذه الصفات تُؤدى إلى ما بعدها، فالظّنّ المنهى عنه بأسلوب التّحذير يُؤدى إلى التجسس، والتجسس يُؤدى إلى

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٣ ٢٢٥، و/صحيح مسلم ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجس ونحوها ٤ /١٩٨٥.

(٢) من مواضع الوصل: التوسط بين الكمالين: وهو أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى..أو يتفقا معنى لالفظاً ، وأنْ يكون بينهما مناسبة و لامانع من الوصل. ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة : عبد المتعال الصعيدي، ٧٤/٢ ، مكتبة الآداب، ٢٠٠٠م . و/خلاصة المعانى ٢٧٧، و/فى علم المعانى ٢/ ٤٨ .

التحسس، وكلاهما يُؤدى إلى التباغض، والتباغض يُؤدى إلى التدابر الذى هو: الهُجران، والإعراض، والقطيعة التى يُحاربها النبىﷺ.

هذا، وقد ورد السجع[1] مطبوعاً، وعفوياً لخدمة المعنى فى قولهﷺ (ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا،....) حيث اتفقت الجمل فى تواطؤ فواصلها . فهنا تجد أنَّ «المتكلم لم يَقُدِ المعنى نحوَ التجنيس والسَّجع، بل قادَه المعنى إليهما»[2].

وفائدة هذا السجع : إحداث الخفةُ على السّمع، واللذة فى النطق، وتيسير الحفظ وسهول نطقه وتبليغه، هذا إلى إثارته للمشاعر، وتحريكه للعواطف، فيصل المعنى للقلب، ويستقرّ فى الوجدان .

([1])السجع : سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً استوى واستقام وأَشبه بعضه بعضاً، والسجع الكلام المُقَفَّى والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ،وسَجَّعَ تَسْجِيعاً تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن . ينظر اللسان مادة (سجع) ٨ /١٥٠ .

وفى اصطلاح البلاغيين هو: موالاة الكلام على وزن واحد . إعجاز القرآن للقاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى ٤٨ ٢، ت : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

ويُعرفه الطيبى: بأنّه تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد . التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان /للإمام شرف الدين حسن بن محمد الطيبى ، ٥٠٢ /ت: هادى عطية مطر الهلالى ، عالم الكتاب ،بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

([2])أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني ، ١٠ ، ت: محمد رشيد رضا، دار المنار،ط٥، ١٣٧٢هـ .

وأخيراً : يُهدى النبىُ ﷺ نصيحةً غالية إلى أُمته، وإلى البشرية جميعاً للحثّ على الترابط الوثيق بين الإخوة، والتّذكير بحقوق الأُخوة ، والمحافظة عليها، حيث أنهى حديثه بهذا التتميم (وكونوا عباد الله إخوانا) لزيادة أواصر الترابط، والتآخى بين الناس.

والأمر فى (كونوا..) الغرض منه: النّصح، وأنْ يكون الشّعور بين المسلمين كالشّعور بين أفراد الأسرة الواحدة يسعى كلّ فردٍ لتحقيق مصلحة أخيه، ودفع الضرر عنه ، كما أنّه دعوة خير للترابط، والاتحاد، ويُؤيد (الأمر) الخطاب بواو الجماعة (كونوا) .

هذا، وقد وصلَ الرسولُ ﷺ بين (ولا تجسسوا، ولا تحسسوا،... وكونوا عباد الله إخوانا) لوجود المُناسبة التامة مع نوع من التغاير فى المنهى عنه .

وقد حذفَ الرسولُ ﷺ أداة النداء (عباد الله)؛ إيذاناً بالقُرب، وإمعاناً فى التقريب، فلا حاجة لمدّ الصّوت ، فكأنّه ﷺ فى حديثه لصحابته ، يُحدّث نفسَه .

وتأمل دقة التعبير، وروعته فى قوله ﷺ (وكونوا عباد الله إخوانا)، **ولم يقل** (كونوا يا مؤمنين إخواناً) وإنّما قال : (عباد الله) لعموم البشر فى العبودية لله تعالى .

وفى إضافة العباد إلى الله (عباد الله)؛ لأنّ البشر جميعاً عباد الله أحراراً، أو عبيد كما أنّ هذه الإضافة تُنادى بضرورة رعاية حق العبودية من اجتناب للنواهى، وتنفيذ للأوامر .

وفى تعبيره ﷺ بـ(إخواناً) لتشمل الأخوة كلَّ مُوحدٍ بالله تعالى، وهذا يدل على عالمية الإسلام، وعظمته، ووحدته الذى لا يُفرق بين البشر .

كما يلفتُ النظر جمال تعبيره ﷺ بالأخوة (إخواناً) لما للأخوة من أثرٍ بالغ النفع فى توثيق الروابط فى المجتمع، وفى نهضته، وسعادته .

وفى الحديث الشريف: مراعاة نظير[1] بين(الظن، والتحسس، والتجسس) فهذه الأمور مع اقترانها فى الذهن، واندراجها فى سلك الأخلاق السّيئة جميعًا تُعدُّ كمقدماتٍ لنتيجة هى القطيعة والهُجران بين المجتمع المسلم، ولذا نظمها النبىُ ﷺ فى سلك النهى، وحذّر منها .

(١) مراعاة النظير: هو الجمع بين أمر وما يُناسبه لا بالتضاد . الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، عصام الدين الحنفى ٩٩/١ ت: عبد الحميد هنداوى، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠١ م .

• **عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**"[1] .

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يُريد الأمن، والأمان، والعدل، والخير بنظرتهِ الثاقبة، وسياستهِ المحُنكة، وخبرتهِ العسكرية، والاجتماعية، فيُوجه دعوةً شديدة اللهجة إلى أُمّتهِ بل إلى البشرية جميعاً كى ينأى بها عن إثارة الفتن، والقلاقل، والثورات فى المجتمع، كما حدثَ للأمم السابقة .

التحليل البلاغى:

صدّر النبىُ ﷺ خطابه فى هذا الهدى الشريف بهذا الأسلوب الإنشائى، وصيغته الأمر الصريح (اتقوا) والغرض منه: التّحذير والتنفير من الظلم، والحثّ على الإنصاف، وتحرى العدل بين النّاس .

وفى إطلاقه ﷺ لفظ (الظلم) مُعرفاً بآل ، ليدّل على أنّ الظلم بكل أنواعه منهىٌ عنه، ومعاقبٌ عليه سواء كان ظلماً من الإنسان لنفسه، أو

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم ٤ /١٩٩٦.

لغيره أفراداً كانوا، أو جماعة، أو إلى حيوان[1]، أو جماد . وما بالك لو كانَ المظلوم أُمّة، أو شعباً بأسره ؟!! .

وفى قوله ﷺ (اتقوا الظلمَ) حيث جاء المفعول به (الظلم) هنا نتيجة، وليس سبباً أى: اتقوا ما يؤدى إلى الظلم .

ثم علّلَ النبىُ ﷺ سبب الأمر باتقاء الظلم (اتقوا) بقوله: (فإنّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة) حيث علّل بهذه الجملة الخبرية قبل أنْ يتساءل سائل لماذا نتجنب الظلم ؟ .

وفُصل بين الجُملة الأولى (اتقوا الظلم) وجملة (فإنّ الظلم ظلماتٌ) لما بينهما من شبه كمال الاتصال .

وفى الجملة تلويحٌ بلاغى[2] ، حيث إنّ الرسول ﷺ يدعو المظلوم ألا يتخاذل، ويُكمم فاه، وألا يستكين للظلم، وأنْ يضربَ على يد الظّالم ، وأنْ يكون مقاله:

أمَا واللّهِ إنّ الظلم لؤمُ ولكنّ المُسئ هو الظلومُ

إلى ديانِ يومَ الدّينِ نمْضى وعند اللّهِ تجتمعُ الخصومُ[3]

---

(١) دخلت امرأة النار لظلمها هرة: والحديث فى صحيح البخارى، باب خمس من الدواب فواسق ٣ /١٢٠٤.

(٢) التلويح هو : أن تشير إلى غيرك عن بعد الإيضاح ٣٣٩ .

(٣)ديوان أبى العتاهية ٣٩٨ ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٠ م .

وفى قوله النبى ﷺ (فإنّ الظلم) حيث جاء المسند إليه (الظلم) اسماً ظاهراً بدلاً من الضمير فلم يقل (اتقوا الظلم فإنّه ظلمات) وذلك : زيادة التقرير والتمكين لهذا الاسم الظاهر فى ذهن السامع[١]، ولإرادة تخصيصه بالخبر، وأيضاً؛ لأنّ المقام يقتضى الاعتناء بشأنه، فالتوكيد بـ (إنّ)، واسمية الجُملة إشارة إلى أهمية الخبر، والعناية به، والتنبيه على خطره.

وفى عبارة (الظلم ظلمات) تشبيه، حيث شّبه الرسول ﷺ (الظلم) وهو شئٌ معنوى بـ(الظلمات) وهى شئٌ حسىّ يُدرك بالبصر تشبيهاً بليغاً، ووجه الشبه هو: التخبط، وعدم الاهتداء لغاية .

والتشبيه البليغ محذوف الوجه والأداة يُفيد شدة الشبه بين المُشبه والمُشبه به، حتى كأنهما شئٌ واحد « لإثبات المشبه به فى الظاهر للمشبه، وحذف الوجه الذى يجعل نفسه فى تخيله كُلّ مذهب»[٢].

وتأمل حسن اختياره ﷺ لهذه الجملة (الظلم ظلمات) فبين الكلمتين صلةٌ لفظية هى: جناس الاشتقاق[٣] ، أضفت على الجملة جمالاً،

---

(١) وضع الظاهر موضع المضمر ، فالعدول إليه عن المضمر لزيادة التمكين كقوله تعالى " قل هو الله أحد. الله الصمد " ، ينظر الإيضاح ٧٣ ، ومعاني التراكيب. د٠عبد الفتاح لاشين ، ٢١٧/١ ، طبعة ١٩٩٣م .

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص :لأبى يعقوب المغربى ٣ /٤٧ ، المكتبة الأميرية ، بولاق، ط١، ١٣١٧هـ .

(٣)جناس الاشتقاق: هو مُلحق بالجناس . وتعريفه هو: أن يأتى بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة . تسهيل نهاية الإيجاز ٤٤

وروعة، وهذه الصلة تعكس ما بينهما من صلة معنوية ألا وهى: أنهما سببٌ ونتيجة .

وتأمل كيف أنّ عاقبة (الظّلم) تكون (ظُلمات) بالجمع؛ دلالةً على الكثرة الهائلة فى الظّلمة، وشدة تغطيتها الأنحاء، ولا يُدرى كيف الخلاص منها .

ومن الجائز أن تكون عبارته ﷺ (الظلم ظلمات) من باب المشاكلة[1] كما فى قوله ﷻ

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ [الشورى: ٤٠] .

وقول الشاعر:

ألا يجهلنّ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جَهل الجاهِلينا[2].

و من شأن المشاكلة: أن تُضفى على الأسلوب جمالاً، وجلالاً، وخلابة .

---

(1) المشاكلة الشَّكْل المِثْل تقول هذا على شَكْل هذا أَي على مِثَاله وفلان شَكْلُ فلان أَي مِثْلُه في حالاته ويقال هذا من شَكْل هذا أَي من ضَرْبه ، والمُشَاكَلَة المُوافَقة والتَّشاكُلُ مثله . ينظر اللسان مادة(شكل) ١١ /٣٥٦ .

و فى:اصطلاح البلاغيين هى: ذكرُ الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً . الإيضاح ٣٦٠ .

(2) ديوان عمرو بن كلثوم، قافية النون، جمعه وحققه وشرحه: د٠اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربى، ط١، ١٩٩١ م

ولذا، حذّر المصطفى ﷺ منْ هذا خطر(الظلم) فى مهدِه ، ونبّه للقضاء عليه قبل أنْ يدبّ على الأرض فيُدمرها عن بكرة أبيها، وهذا واضحٌ جلىّ من تكراره ﷺ لفظ (**الظلم**) لما تُوحيه هذه الكلمة، وخطر ذلك الداء الوبيل الذى يفتك بالشعوب، والبشر، ويستأصل شأفتها.

وتأمل حُسن اختياره ﷺ للألفاظ ، ووضعها فى موضعها كى تلاءم المعنى، وما يُوحيه جرسها وحروفها من خوفٍ، وهلع لمنْ يسمعها، وهذا من بلاغته ﷺ العالية فى حُسن اختياره للألفاظ .

وفى رواية البخارى (الظلم ظلمات يوم القيامة) [١]. هذا الحديث « يُقدم صورةً كالحة لأثر الظلم، وقد جاء التعبير سريعاً تعانق فيه المُجرد، والحسى، حيث أُخفى الحسىّ نتيجة التطلع إلى عوالم غيبية»[٢].

وتقييده ﷺ بالظرفَ (يوم القيامة) يزيد المعنى هولاً، والمصير سوءاً؛ لأنّ عثرةَ الظالم تُوسده أقدام الخلائق، وسقوطه يُسكنه النار !!.

وفى رواية أخرى للبخارى تحدث عن الظلم بالأمر الصريح، فقد وردَ « أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ:« اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[٣].

---

(١) صحيح البخارى ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة ٢ / ٨٦٤ .

(٢)الصورة الفنية فى الحديث النبوي الشريف. أحمد زكريا ياسوف، ٥٩٨، تقديم: د٠نور الدين زعتر، دار المكتبي ،٢٠٠٢ م .

(٣) صحيح البخارى، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ٢/ ٨٦٤ .

وصفة (الشّح): من الصفات المرذولة، يدلّ على كزازة النفس، وأنانية مُفرطة، وكراهية للخير .

ولذا توجّه الرسولُ ﷺ بالخطاب إلى أمته بهذا الأسلوب الإنشائى، وصيغته الأمر، والغرض منه التّحذير، والتنفير من هذا الداء، فقال:(واتقوا الشح)، حيث جاء الاسم مُعرفاً (بأل) الجنسية التى لإرادة نفس الحقيقة[1]، فدّل على أنّ حقيقة الشح، وأنواعه منهىٌ عنه، ومُعاقب عليه، سواء كان شُحّاً بالنفس، أو المال، أو الجهد، أو العلم، أو المشورة، والمعونة.

وجاءت الواو[2] قوله ﷺ (واتقوا) عاطفة لمجموع كلامٍ على كلام سابق: وهنا أسلوب أمر مُباشر، والغرض: التحذير من عاقبة الشح، لأنّه داعٍ إلى كثيرٍ من الرذائل .

وقد عبّر الرسولُ ﷺ بالاسم الظاهر (الشح) ولم يقل (فإنّه) وذلك زيادة فى التقرير والإيضاح، وكى يُنبه ﷺ على هذا الداء العُضال الذّى

---

(1) من أغراض تعريف المسند إليه بأل إرادة نفس الحقيقة ، ينظر الإيضاح ٤٧، وهذه اللام هى لام الجنس: بغية الإيضاح ١ /٧١.

(2) وهى لمطلق الجمع والاشتراك فى الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه. ولا تفيد الترتيب ولا المعية إلا بقرينة . فقد يكون المعطوف متأخرًا عن المعطوف عليه، نحو : تولى الخلافة أبو بكر وعمر رضى الله عنهما. قال تعالى :{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ }. تعجيل الندى بشرح قطر الندى ، عبد الله بن صالح الفوزان ١ / ٢٦٠ ، موقع صيد الفوائد (ب.ت) .

يسرى فى الإنسان، وفى الشّعوب، ولا يمكن استئصاله إلا بالرجوع إلى هدى الرسول ﷺ الآمر باتقاء (الشح) قبل أنْ يستفحل، ويستشرى، ويقضى على الأخضر واليابس .

وبهذه النظرةِ البعيدة المرمى، العميقة الفكرة علّل الرسول ﷺ لأمره باتقاء (الشح) حيث فَصّل بعد الإجمال بقوله: (فإنّ الشح قد أهلك منْ كان قبلكم) حيث يُشير ﷺ إلى الثّورات، والفتن، والقلاقل الاجتماعية، والسياسة التى حدثت فى الأُمم السابقة .

وفى نسبة الهلاك إلى الشح فى قوله ﷺ: (الشح أهلك) من قبيل نسبة الشئ لا على فاعله، ولكن إلى المتسبب فيه على سبيل المجاز العقلى.

ولمّا كان الشح سبباً قوياً يُؤدى إلى هلاك الأُمم ، وإبادتها جعل كأنه هو الذى يُهلكها حقيقة لذا، حذّر النبى ﷺ، ونفّر من أخطار الشّح، ومغبتّه بقوله: (اتقوا الشح) ، وكأنّ الشّح رجلٌ قد أمسك سيفاً يحصد رقاب الأُمم، ويهلكها، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية [١]، حيث صورت الاستعارة الشئ المعنوى فى زى المحسوس .

---

(١) الاستعارة المكنية :وهى ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه، وصُرح فيها بالمشبه . ينظر المطول للتفتازانى ٣٨١ . و/ البيان الوافى د٠حمزة الدمرداش ٩٥ ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ٢٠٠٠م .

وهذا من بلاغة الاستعارة «توكيد المعنى وإلباسه ثوب المبالغة مع إبرازه فى صُورة محسوسة، ثم التعبير عنه بألفاظ موجزة »[1]. فيتأكد المعنى فى الذهن، ويعلق بالفؤاد.

وهذه الصورة الرهيبة تبعث على الرعب والخوف، وتحض العاقل على التفكير فى عاقبة الشح التى لا تُحمد عقباه، والانسلاخ منه .

وفى قوله ﷺ (مـنْ كـان قـبلكم) حيث جاء المُسند إليه معرفاً بالموصولية[2] وذلك للتحقير لجملة الصلة (منْ كان قبلكم)؛ لأنّهم لو كان لديهم عقل ينهاهم عن الشّح لما وصلوا إلى هذه النهاية المُؤلمة، كما تُفيد جملة الصلة : تأكيد وتقرير للهلاك، ومما أفاد تحقق الهلاك تعبيره ﷺ بالفعل (كان) .

وفى قوله ﷺ (أهلك من كان قبلكم) وقعت هذه الجملة الخبرية فى محل رفع خبراً لـ(إنّ) وأفادت غرضاً بلاغياً سوى إفادة الحكم، أو لازم الخبر هو: التحذير من عاقبة الشح، ويدل على ذلك الهلاك هو الفعل : (كان قبلكم)؛ وذلك كى يأخذوا العبرة والعظة .

وهذه الجملة: تلويح بلاغى للمخاطبين كى يأخذوا العبرة والعظة فيربأوا بأنفسهم عن المهالك ، أو الوقوع فى براثنها .

---

(1) البلاغة التطبيقية د٠أحمد موسى ، طبع دار المعرفة (ب.ت) .

(2) تعريف المسند إليه بالموصولية : استهجان التصريح بالاسم . ينظر الإيضاح للخطيب القزوينى ٤٢ ، ومعانى التراكيب د٠عبد الفتاح لاشين ١٨٨.

وفى قوله ﷺ (فإنّ الشح أهلك) الفاء سببية[١] وأكّدَ بـ(إنّ) واسمية الجملة: تنبيهاً على أهمية الخبر و خطر(الشّح)، أو تنزيلاً للمخاطبين غير المنكرين منزلة المُنكرين[٢]، وذلك لما بدا عليهم من أمارات الشّح، وعدم جُودهم بما ينبغى الجود به .

والتأكيد بـ(إنّ) أو غيرها من أدوات التأكيد لا يأتى دائماً رداً على حال المخاطب، بل يُؤكد أيضاً؛ لأن« موضوعه مُهم، حيث ينظر إلى حال المتكلم نفسُه، ومدى انفعاله بالحقائق والمواقف وحرصه على إذاعتها، وتقريرها فى نفس المخاطب، كما أحسّها أكيدةً مُقررة فى نفسه »[٣]

وفي قوله ﷺ الشح أهلك: (مجاز مرسل) حيث أطلق السبب وهو (الشح) وأراد المسبب وهو العاقبة المهلكة الناتجة عن الشح. فالعلاقة

---

(١)الفاء تأتى للتسبب إنْ كان المعطوف جملة كقوله تعالى "فوكزه موسى فقضى عليه" القصص:١٥ : ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٩٣/٣ ، دار إحياء الكتب العلمية، مطبعة الحلبى (ب.ت) .

(٢) خروج الكلام على خلاف الظاهر، تنزيل غير المنكر منزلة المنكر . ينظر الإيضاح ٢٥ .

(٣) خصائص التراكيب :د ٠محمد أبو موسى ٥٧ ، ط٢، ١٩٨٠م .

سببية[١]، حيث إنّ المجاز المرسل « يُعبر عن طريقة رؤية الأشياء والإحساس بها، فهو لايبدأ بالعملية اللغوية بل يسبقها ويُكيّفها » [٢] .

وفى تعبيره ﷺ بـ الفعل (حملهم) : صورة من الإطناب[٣] هى الإيضاح بعد الإبهام، أو قد تكون تفصيلاً بعد إجمال، والضمير هنا : يرجع إلى الشح؛ لأنّه هو الباعث الذى حملهم على ارتكاب المُحرمات من أجل المال .

والمُتأمل فى تعبيره ﷺ عن (الشّح) يجد أنّه صوّر الشّح كأنّه رجلٌ مفتول العضل، وقوى جبارة عاتية يحملُ الإنسان حملاً، ويضعه فوق الدماء، وانتهاك الحُرمات، وكأنّ الإنسان لا عقلَ له، ولا إرادة، ولا قوة، بل يد طائعة، وهذه الصورة تُوحى بمدى عُنفوان وثورة العوامل المُدمرة فى النفوس، والشعوب السابقة وجرفهم جرفاً إلى الهاوية فلا يُفكرون فى العواقب . وما أشبه الليلة بالبارحة، واليوم بالأمس !!. حفظ الله الأُمّة من الطغيان .

---

(١) من علاقات المجاز المرسل: السببية : أى تسمية المسبب باسم السبب ينظر المطول للتفتازانى ٣٥٦ .

(٢)علم الأسلوب مبادئه وإجراءته د٠صلاح فضل ٢١٨ . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢ ،١٩٨٥م .

(٣)الإطناب:هو: أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعه إلى الجمل أو إلى غير الجمل . الإيضاح ١٧٩، أى : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة : ينظر بغية الإيضاح ٩٦/٢ .

وجاء الفصل فى قوله ﷺ بين جملة (أهلكَ منْ كان قبلكم) وجملة: (حملهم) لما بينهما من شبه كمال الاتصال، فالثانية استئنافية؛ لأنّها فسرت، وبينت الأولى، فقد جاءت إجابةً عن سؤالٍ مقدر هو: لماذا نتقى الشح ؟ كى لا يدع السائل يسأل، أو يستوقف المتكلم حين خطابه ﷺ إياه، فيحرص النبئ ﷺ على ألا ينقطع كلامه بكلام السامع .

ومن الجائز أنْ يكون فى هذه الجملة (كمال اتصال)[١] فتكون بدل من الأولى حيث نزلت جملة (حملهم) وما بعدها منزلة عطف البيان من سابقتها؛ لأنها أزالت الإبهام الذى ينطوى على الإهلاك .

وفى التعبير بقوله ﷺ (سفكوا دماءهم): كناية عن صفة[٢]: هى القتل .

والكناية هنا بلغت من الجمال مبلغاً ؛ حيث صورت بالدليل القاطع ، والشئ المحسوس منظر الدماء وهى مُراقة على الأرض .

---

(١) كمال الاتصال هو أن تكون الجملة الثانية شديدة الاتصال بالجملة الأولى، كأنهما أفرغاً فى قالب واحد، كأن تكون صفة لها أو بياناً أو توكيداً أو بدلاً . تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ١٦٢ ، تيسير وتفسير د٠عبد القادر حسين .

(٢) المراد بالكناية عن صفة أنْ يكون المقصود بالذات هو إفهام معنى الصفة فى صفة أُخرى أُقيمت مقام تلك قصار تصور المثبتة المُكنى عنها هو المقصود بالذات لأنّ نفس إثباتها كالمعلوم من وجود نسبة المُكنى بها . ينظر مواهب الفتاح ٤/ ٢٥١ .

والتعبير بالكناية أبلغ من التصريح ففى قوله(سفك بعضهم دم بعض)؛لأنّها تُوحى بخطر، وشناعة الشح، وأنه لا يجعل الناس يسفك بعضهم دم بعض، وإنما دماء أنفسهم بأنفسهم .

وإضافة الدماء لضمير (هم)العائد على قوله (منْ كان قبلكم) يزيد الفعل شناعة؛ لأن الدماء التى سُفكت هى دماؤهم، وتُوحى هذه الجملة بأنّ الجميعَ خاسرون.

وفى تصوير (الشّح) فى الحديث الشريف بكونه يسفك، ويحمل « إبرازٌ لحقيقة الشح على نقيض ما كان يحسب الأشحاء ، فهم إنّما يُضنون ويحرصون على المال إيثاراً منهم للذّة والهناء والعيش الرغيد، وما درُوا أنه سبب للشقاء والموت والهلاك » [1].

وفى الحديث دلالة تُسمى بـ« (دلالة التضاد) وهى هنا بين الماضى والمستقبل، فالنبى ﷺ يُخبرنا عنْ أثر الظلم بما سيكون مُستقبلاً (يوم القيامة) ويُخبرنا عن أثر الشح فى الماضى من إهلاك لأممٍ سابقة، وإمعاناً في استقصاء الاستدلال يضع النبي ﷺ السلوك الفعلى الذى أدى إلى هذا الهلاك وهو انتهاك المحارم، وسفك الدماء » [2] .

([1]) التصوير الفنى فى الحديث النبوى د٠ محمد لطفى الصباغ ٢٨٢ ، المكتب الإسلامى، ط١ ، ١٩٨٣ م .

([2]) السياق وتوجيه دلالة النص :الأمر والنهى فى الحديث النبوى الشريف فى ضوء نظريات السياق :د . عيد بلبع ١٨٨(ب.ت)

والمتأمل فى هديه ﷺ يجد أنّ الرسول ﷺ حذّر من الظّلم والشّح، وجمعَ بين اتقاء (الظلم، الشح) حيث إنّ كليهما سببٌ ونتيجة فى الدمار، والهلاك، وإلى الدمار، والهلاك للأفراد والشعوب، فلذا جَمع بينهما مُحذّراً، وذلك صيانة للنفس والغير، ومُرشداً للبشرية آخذاً بأيديهم إلى النجاة .

تحذيره ﷺ من البخل

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ** ". و • **حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ- أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ "**[1].

شرح الحديث :

المصطفى ﷺ يدعو إلى بذْلِ يد الخير والسّخاء، ويُحذّر من غلّ الإنسان يديه إلى عُنقه؛ لأنّ اللهَ تعالى هو واهب المال لعباده، ويُثيب على الإعطاء لوعده بالإخلاف على منْ يُنفق، فقال تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [سبأ:٣٩] .

([1])صحيح البخارى، باب مثل المتصدق والبخيل ٢ / ٥٢٣ ، و صحيح مسلم ، باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨.

وقولـه ﷺ « مـا نقصَ مـالٌ من صدقة» [١]، وقولـه ﷺ « أنْفق أُنفق عليك» [٢]. كذلك يُنفر الحديث من الإنسان القابض على يديه، ويبخل بمال الله على نفسه، قال تعالى: ﴿ **هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد:٣٨] .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ بهذا التشبيه المُجمل، حيث ضرب مثلاً للجواد والبخيل وشبههما: بـ(رجلين عليهما جبتان) ، ثم اتبع ﷺ هذا الإجمال بالتفصيل؛ « فجعل جزاء المُنفق على نفسه وعياله، والفقراء يُوسع الله عليه ويستره فى الدارين، ويحميه ويُحصّنهُ **كالذى** يلبس درعاً من حديد سابغه، فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وحمتُه، وكان فى مأمن منْ أعدائه . **أمّا البخيل** يُضيق عليه، ولو ضِيقاً نفسياً، ويفضحه الله تعالى بين الخلق فى الدارين، ويُعرّض نفسه لنكبات الزمن، **كرجل** يداه

---

(١) سُنن الترمذي. للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ٤ / ٥٦٢ .

ت : أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي .

(٢) صحيح مسلم ، باب الحث على النفقة وبتبشير المنفق بالخلف ٢ / ٦٨٩ .

مغلولتان أعلى صدره فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينه وبين أن تّمر على بدنه، ولصقت فى عنقه، فكانت ثقلاً ووبالاً عليه.. » [١].

فالرسولُ ﷺ أتى بالتشبيه التمثيلى [٢] **بدلاً من أن يقول : (أنفقوا، ولا تبخلوا) فالتشبيه هنا أبلغ؛ حيثُ أخرج الشئ المعقول المعنوى فى ثوب المحسوس، وذلك : لزيادة الإيضاح، وليتمكن المعنى، ويتأكد فى ذهن السامع، وأحرى للمرء أنْ يبعد عن البخل ومواطنه، لأنّ« العلم المستفاد من طريق الحواس أسبق إلى النفس من العلم المستفاد من طريق العقل والروية...»** [٣].

وبين (البخيل، والمنفق) طباق خفى[٤]**؛ لأنّ (البُخل) ضده (السّخاء) وليس المنفق إلا أنّ النبيَ ﷺ ذكر الإنفاق ليفيد أنه بمجرد الإنفاق يُزيل البخل، وليس شرطاً لإزالة البخل العطاء الزائد (السخاء)، وأيضاً لأنّ السخاء هو وليد الإنفاق، ومترتبُ عليه .**

---

(١) ينظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى :للإمام بدر الدين أبى محمد العينى ، ٧ /٢٤٦ : مطبعة الحلبى ط١ ١٩٧٢ م .

(٢) التشبيه التمثيلى هو :ما كان وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور متعدد من أمرين أو أمور . ينظر الإيضاح ٢٥٣

(٣)أسرار البلاغة ١٠١ .

(٤)الطباق الخفى: هو ملحق بالطباق وهو أن يجمع معنيين غير متقابلين ولكن أحدهما يتعلق بالآخر نوع تعلق كالسببية أو اللزوم . ينظر المطول للتفتازانى ٤١٨ ، والأطول للعصام ٢/ ٣٧٢ . و/ لباب البديع. د. محمد حسن شرشر. ٤٨، دار الطباعة المحمدية، القاهرة،ط١، ١٩٨٦م.

وهناك **روايـة** (مثلُ البخيل، والمتصدق) حيثُ قدّم الرسول ﷺ لفظ (البخيل) على (المنفق) ؛ وذلك « لزيادة الإثارة والتشويق الذى يُنبئ عن استعمال كلمة (مثل) لكنه لم يلبث أنْ أخّره، جارياً بذلك على أسلوب العكس »[١]، وللحثّ على عدم البخل، وإخراج الصدقة .

وفى رواية أخرى (المتصدق، البخيل) حيث قدّم المتصدق للاهتمام به، وللحث على بذل يد الخير والعطاء. **وفى رواية مسلم** (مثل المنفق والمتصدق)[٢]: وجعلهما كرجل واحد (كمثل رجل عليه جنتان..).

والحديث برواياته المتعدده : من « باب ضربِ الأمثال للتقريب للأفهام » [٣] ، وأيضاً هو: « تمثيلٌ لنماء المال بالصدقة والإنفاق » [٤].

وفى ضرب المثل بـ(البخيل ، والمنفق)؛ لأنّ « المنفق يستره الله بنفقته ويستر عوراته فى الدنيا والآخرة كستر هذه الجبة لابسها، فالبخيل كمن لبس جُبة إلى ثدييه فيبقى مكشوفاً وظاهرَ الصورة مُفتضحاً فى الدارين » [٥] .

---

(١) ينظر من الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ١٥٦ .

(٢) صحيح مسلم ، باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨ .

(٣) فى البلاغة النبوية. أثر التشبيه فى تصوير المعنى قراءة فى صحيح مسلم د٠عبد البارى طه سعيد ١٣٨، ط١، ١٩٩٢.

(٤) هامش مسلم بشرح النووى ٧ /١٠٩.

(٥) عمدة القارى ٧ /٢٤٦.

وفى الحديث الشريف : جمع وتقسيم[1] حيث جمعَ الرسولُ ﷺ كلاً من(البخيل، والمنفق) فى أنّ كلاً منهما عليه (جُبّه) . **وفى رواية مسلم** (كمثل رجلٍ عليه جُبتان أو جُنتان) ثم قسّم الرسولُ ﷺ فذَكَر المُنفق وحالته، والبخيل وحالته .

وفى تثنيته ﷺ لـ(جبتان) مقابلة رجُلين، أو(المنفق والبخيل) لإفادة التوزيع : أى على كل منهما جُبّه. على عكس **رواية مسلم** (كرجل عليه جُبتان أو جُنتان) .

والمتأمل فى روايات البخارى الثلاث يجد: أنّ الرسولَ ﷺ قيّدَ كونَ (الجُبة) من حديد فى قوله ﷺ (عليهما جُبتان من حديد)، وذلك : « إعلاماً بأنّ القبض والشّدة من جبلّة الإنسان، وإشارةً إلى صلابة المشبه وهو الطبيعة البشرية الحريصة، ولإفادة حمايتها لصاحبها المنُفق، ومُضايقتها لصاحبها البخيل »[2]، ولكى يُصور مدى ثقلها، وضيقها، وأخذها بطوق البخيل، وأوصاله .

وأيضاً فى كونْ الجُبتان من (حديد) : « دلالة على حماية الإنسان من الخطر، ولكن الجبة تتخذ دلالةً واسعة، لأنّها فى الأصل لا تقى

---

(1) الجمع هو والتقسيم جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه . الإيضاح ٣٧٠ .

(2) عمدة القارى ٧ /٢٤٦ .

الجسد من النار، فالتصدق حجابٌ ذهنى روحانى يصونُ الجسد من نيران جهنم، والحديد معدنٌ له قساوته وضراوته »[١] .

وذكر الرسولُ ﷺ هنا (التراقى) فى قوله: (عليهما جبتان من ثديهما إلى تراقيهما)؛ لأنّها « عند الصدور وهو مسلك القلب وهو يأمر المرء وينهاه »[٢].

وجاء الرسولُ ﷺ فى قوله (فأمّا المُنفق فلا يُنفق شيئاً) بالمفعول(شيئاً)؛ وذلك لقصد التعميم ، أى شئ منْ أنواع الإنفاق .

ثم أتى النبى ﷺ بالاستثناء فى قوله: (إلا سبغت أو وفرت) وهذا الاستثناء بـ(إلا) ينفى ما أثبته النفى فهنا: تأكيد المدح بما يُشبه الذم[٣]. فلما ذكَر(سبغت أو وفرت) أكدّ المدح فى إنفاقه، وبذله للخير. ليس هذا فحسب بل إنّ حُسن اختياره ﷺ للمعنى، ودقة انتقائه ﷺ للألفاظ أضفت على العبارة جمالاً، وجلالاً؛ هذا بالإضافة إلى ما فيها من تفويف[٤] (سبغت أوفرت) وكذلك (تُخفى بنانه، وتعفو أثره) .

---

(١) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ١٥٤، ١٥٥.

(٢) عمدة القارى ١٢ / ٢٤٥ .

(٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم: أن يستثنى من صفة ذم منفيه على الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيها . الإيضاح ٣٨٣ .

(٤) التفويف هو إتيان المتكلم بفنون شتى، كل فنٍ فى جملة منفصلة، مع تساوى الجمل فى الوزن . و ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى(ت ٨٣٧ هـ) ،٢٤٦/١ ، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال بيروت ، لبنان، ط ١٩٨٧م . =

وفى قوله ﷺ (سبغت، وفرت) تأمل حسن اختياره ﷺ لهذين الفعلين بدقةٍ، وعناية لما بينهما من تناسب فى المعنى، وتأكيداً لأنّ كلاهما يُفيد الستر، والإسباغ على الجسد فعطف ﷺ أحد المترادفين على الآخر[1] وذلك تأكيداً للمعنى .

وفى قوله ﷺ (وتخفى بنانه) كناية عن صفة ستر البدن . وقولهﷺ (وتعفو وأثره) كناية عن صفة محو الذنوب والخطايا .

وجمال الكنايتان : فى أنّهما أوضحتا المعنى فأخرجتا المعنوى فى زى المحسوس، حيث تُبين شمول السّتر للمنفق، والإسباغ على هذا المنفق دُينا وأُخرى .

وفى قوله ﷺ : (بنانه) مجاز مرسل، علاقته الجزئية، حيث عبّر بالجزء (البنان) وأراد الذات، فذكر الرسولُ ﷺ (البنان) بدلاً من (اليدين)

، و الإتقان الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ، ٢ /٨٩ ، دار نهر النيل (ب.ت) .

وقد أرجع القزوينى (التفويف) إلى التناسب والمُطابقة ، فبعضهُ من مراعاة النّظير وبعضهُ من المطابقة . ينظر الإيضاح ٣٥٨ .

([1]) عطف المترادفين على الآخر ينظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى٢/٧١ .

حيث « ..اختص منها الطفها »[١]. فبدون الأنامل لا تكون اليد، وتتعطل مسيرة الحياة فهى جزءٌ مهم فى حياة المرء مما يبعث على التخيُل فى باقى الأجزاء .

وللتعبير بـ(البنان) فائدة أخرى دون اليد؛ حيث سترت، وأفاضت على سائر (البدن)، ولم يبق شئ حتى الأنامل، مما يدُلّ على عظيم كرم الله تعالى لهذا المنفق ، وإسباغه الستّر والنعيم عليه .

وعلى النقيض ذكرَ الرسولُ ﷺ (البخيلَ) فى قوله ﷺ (فلا يريد أنْ ينفق) إشارة إلى أنّه حين يريد الإنفاق تمنعه الموانع، وتحبسهُ نفسه، وتحولُ بينه وبين الخير والعطاء، ولذا كانَ جزاء هذا البخيل لزوق الجبة عليه . حيث أتى النبىُ ﷺ بالجزاء وهو:(لزقت كل حلقةٍ مكانها) وهذه الجملة تفيد : تأكيد الذم بما يشبه المدح[٢]، وفيها إشارة إلى أنّها لا تزداد عليه إلا استحكاماً، فإذا أراد الإنفاق انكمشت يده إلى عُنقه .

كما أنّ هذه الجملة: كناية عن صفة قبضْ يده، وأثرته، وأنانيته .

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ١٨٥/١ ، ت: علي النجدي ناصف، ود٠عبد الحليم النجار ، و د٠ عبد الفتاح شلبي ، مراجعة/ محمد علي النجار .

(٢) تأكيد الذم بما يشبه المدح: هو أن يستثنى من صفة مدح منفيه عن الشئ صفة ذم له بتقدير دخولها فيه . الإيضاح ٣٨٥، خلاصة المعانى ٤٤٥ .

وفى رواية البخارى ومسلم : (جعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذ كل بإصبعه هكذا فى جيبه) فهنا تأتى الحركة السريعة فى كلمة (جعل) حيث إنّ « حركة البخيل قوية تُعبر عن الخناق النَفْسيِ والنّفَسى، ولكن محدودة ، إذ تتقلص الجبة، فنحسَ به لضيق هذه الجبة، ودَعّم توضيح الصورة الإرشادية هذا التمثيلُ ، فهو ﷺ يمثل عدم ستر الجبة للجسد بإصبعه حيث الجبة الثابتة »[1] .

ثم أتى النبىُ ﷺ بالاحتراس فى قوله: (مكانها)؛ للتأكيد على لزقها، ولرفع توهم أنْ تكون هناك حلقه من الحلقات قد وفرت، وسبغت.

كما أنّ فى الجملة:(لزقت كل حلقه) إيجازٌ بالحذف، حيث حُذفت الجملة هى:(من حلقات الدرع) كى تتخيله النفس، وتذهب فى تقديره كلّ مذهب .

وفى رواية مسلم وأخرى للبخارى(قلصت عليه)[2] **وفى رواية أخرى** (انقبضت)[3]. ومعنى قلصت) أى تضامّت واجتمعت .

([1]) ينظر الصورة الفنية ١٥٥.

([2]) صحيح مسلم، باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨ ، و/صحيح البخارى، باب جيب القميص من عند الصدر ٥ / ٢١٨٥.

([3])صحيح البخارى باب ما قيل فى درع النبى ﷺ والقميص فى الحرب ٣ / ١٠٦٨.

وكل هذه الروايات :(قلصت وأخذت كل حلقة مكانها)، (انقبضت كلُّ حلقة إلى صاحبتها وتقلصت عليه، وانضمت يداه إلى تراقيه) **مُفادها واحد** ألا وهو: كناية عن صفة هى: شدة بخله، وأثرته...

والكناية أبلغ فى التعبير؛ لأنّها أخرجت الشئ المعنوى فى زى المحسوس المشاهد، وهذا أحرى لتجنب البُخل، وأدعى للإنفاق وبذل يد العون والمساعدة للمُحتاج.

وفى أتى الرسولُ ﷺ بالمسند إليه (هو) فى قوله: (فهو يوسعها فلا تتسع) أى الحلقة. **وفى رواية للبخارى**(ولا تتوسع)[١]، **وفى رواية أخرى** (ولاتتسع) ضميراً ؛ لإفادة الاختصاص والتعيين، أى أنّه : هو البخيل المذكور آنفاً لا أحداً غيره .

وفى هذه العبارة طباق بالسلب[٢]، وهو طباق معنوى، حيث لمْ يقل النبىُ ﷺ (فهو يوسعها وتضيق)؛ لأنّ (**الاتساع**) عكس (**الضيق**)، وإنمّا جاء بنفس اللفظ تفاؤلاً، وآملاً بأنْ تتوسع الحلقة عليه، وأنْ يخلعَ هذا البخيلُ البُخلَ من عليه .

---

(١)المصدر السابق، باب المتصدق والبخيل ٢ / ٥٢٣.

(٢) طباق السلب هو : الجمع بين فعلى مصدر واحد، مثبت ومنفى أو أمر ونهى . أنوار الربيع فى أنواع البديع– السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى ، ت: شاكر هادى شاكر ٢ / ٤١ ، ط١ ، ١٩٦٨م .

فالرسولُ ﷺ نأى عن لفظ (الضيق)، **وبدّله** بـ (ولا تتوسع) لأنّ منْ سنة النبى ﷺ تغيير اللفظ القبيح بالحسن .

وكلا التعبيرين: الضمير يعود فيهما على (الحلقة)، غيرَ أنّ قولـه: (لا تتسع) تُوحى بضيق الحلقة، وشدة لصقها على البخيل.

والرواية الثانية : (تتوسع) يُعطيها مساحة من الإرادة ، إلا أنّـه ليس لديها رغبةً فى التوسع، والوفور على صدر البخيل .

وكلا التعبيرين: يُوحى بمدى كنازة البخيل لمالـه وشُحه، وضيق صدره كلما فكّر فى الصدقة والإنفاق، فتُضيّق نفسه عليه الخناق، وتُغل يديه إلى عنقه .

أمّا رواية مسلم فهى : (يوسعها ولا يتسع) حيثُ عاد الضمير هنا على (البخيل)، أى لا يتسع صدره لإخراج بعض الصدقة .

وفى هذا الحديث الشريف: حثّ الرسولُ ﷺ النفس على التصدق، والإنفاق، وبذل يديها بالخير، ومُحذّراً من قبض اليد عن المعروف، كلُّ هذا بتوظيفه ﷺ للتشبيه التمثيلى فى أداء المعنى المراد، **وهذا أبلغ فى التأثير من الأمر الصريح، والنهى** .

تحذيره ﷺ من سبّ المُسلم

« عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ حريصٌ على مُقاومة أسباب الشّقاق والتفرق بين الناس؛ لأنّ السّباب من الأخطاء التى تُدمر المجتمع، وتُشعل نار العداوة، والفتن بين الأفراد، وتقطع عُروق المحبة فى المجتمع، ولذا، قاومَها الرسولُ ﷺ ، وحاربَ السّباب بكل أشكاله سواء كانَ سباباً للدهر، أم للوالدين، أم للمسلم .

وعلى المرء إذا حدثَ أنْ سبّهُ أحد أنْ يقول :

إذا سبنى نذلٌ تزايدتُ رفعةً وما العيبُ إلا أنْ أُسابَبهُ

ولو لم تكنْ نفسى علىّ عزيزةً لكنتُها مِن كلّ نذلٍ تُحاربهُ[2]

([1]) صحيح البخارى ،كتاب البر والصلة ، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن ٥ / ٢٢٤٧ ، و/ صحيح مسلم ، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ١ / ٨١ .

([2])ديوان "الشافعى" (ت٢٠٣هـ) ، ٤ ، مكتبة القدس (ب.ت).

التحليل البلاغى:

بدأ النبىُ ﷺ هديه الشريف بهذا الأسلوب الخبرى (سبابُ المسلم..) حيثُ جاء عارياً منْ أى مُؤكد؛ لأنّ الخبرَ أوضحُ منْ أنْ يحتاج إلى توكيد، ولا يتأتى لعاقلٍ أنْ يُنكره، أو يتردد فيه لما هو معلومٌ من تنافٍ بين أخلاق الإسلام، وبين السّباب..

وفى قوله ﷺ (سبابُ المسلم فسوق) : تشبيه بليغ، حُذف منه وجه الشبه، والأداة، مبالغةً فى تقارب المُشبه والمُشبه به فى الصفة، ووجه الشبه: هو مجاوزة الحدّ فى كل .

وفى قوله ﷺ (وقتاله كُفر) تشبيه بليغ، والمراد منه: المبالغة فى التحذير. وأُطلق عليه الكُفر لشبهه به، ولأنّه : « لمّا كانَ القتالُ أشدّ من السّباب لأنّه مُفضٍ إلى ازهاق الروح عبر عنه بلفظ أشد من لفظ (الفسق) وهو (الكفر) ولم يرد حقيقة (الكفر) التى هى الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، أو أُطلق عليه الكفر لشبههِ به لأنّ قتالَ المُؤمن منْ شأن الكافر وقيل المراد هنا الكفر اللغوي وهو التغطية لأنّ حقَ المُسلم على المُسلم أنْ يُعينه وينصُره ويكفّ عنه أذاه فلمّا قاتله كانَ كأنّه غطىَ على هذا الحق »[1].

([1])فتح الباري ١ / ١١٢

فالتشبيه هنا زاد من قدْر المعنى؛لأنّه « كسا المعاني أبهة، وكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وضاعف منْ فضلها، ودعا القلوب إليها »[١].

قال الكرمانى[٢] : عن والمراد بالكفر فى قوله ﷺ (وقتاله كُفر) : « المراد أنّه يؤول إلى الكفر لشؤمه، أو أنّه كفعل الكفار، وقال الخطابى: المراد به الكفر بالله تعالى، فإنّ ذلك من حق من فعله مستحلاً بلا موجب ولا تأويل. أما المؤول فلا يكفر، ولا يفسر ذلك »[٣]. وقال ابن بطال[٤] : « ليس المراد بالكفر الخروج عن الملة، بل كفران حقوق المسلمين »[٥] .

وجاء المُسند إليه مُعرّفاً بالإضافة فى قوله الرسول ﷺ (المسلم)؛ لأنّه : « أخصرُ طريق إلى إحضار المُسند إليه فى ذهن السامع»[٦].

---

(١) أسرار البلاغة ٩٣ .

(٢) الكرماني ت ٥٤٣هـ هو: عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه، فقيه حنفي انتهت إليه رياسة المذهب بخراسان. مولده بكرمان ووفاته بمرو. من كتبه (التجريد) في الفقه، و الإيضاح في شرح التجريد . الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، ٣ / ٣٢٧ ، دار العلم للملايين ، ط١٥، ٢٠٠٢ م .

(٣) عمدة القارى ١٠ /٣٢٠ .

(٤)ابن بطال ت ٤٠٤ هـ وهو: سليمان بن محمد بن بطال البطليموسي، أبو أيوب:فقيه باحث، له أدب وشعر.تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه (المقنع) . الأعلام ٣ / ١٣٢ .

(٥) عمدة القارى ١٠ /٣١٩ .

(٦) المطول على التلخيص ٨٧ .

وإمّا لأنّه « أخصر طريق التعريف عند المتكلم، وأخصر كلّ ما يحضر عند المخاطب لا أنّه أخصر طرق التعريف»[١].

وفى إضافة (السّباب) للمسلم: تعظيمٌ للجرم، وتصعيدٌ له؛ لأنّ حق المُسلم أعظم. وجاء المضاف إليه (المسلم) مُعرفاً (بأل) [٢] التى للجنس لإفادة الاستغراق .

وبين لفظ (السباب) و لفظ (القتال) مناسبة، لأنّ الأول يكون سبباً للثانى، أو مُقدمةً له، والثانى (القتال) نتيجة للأول، ولذلك عُطف الثانى على الأول بالواو؛ لأنّ بينهما اتفاقاً فى متعلقهما (المسلم) واختلافاً من حيث مخالفة الكفر للفسوق فى بعض الوجوه، فبينهما توسط بين الكمالين مع المانع من الفصل [٣] .

وأيضاً بين (الفسوق) و (الكفر) مناسبة؛ لأنّ (الفسوقَ) مُقدمةٌ (للكفر) ومُوصلٌ إليه، و(الكفر) يكون نتيجةً للتمادى فى (الفسوق) [٤].

---

(١) الأطول للعصام ١ /٣٢٨ .

(٢) (آل) لإفادة الاستغراق . الإيضاح ٤٨ .

(٣) سبق تعريفه ٩ فى (الظن) من هذا البحث .

(٤) وهنا سؤال مفاده : فـ « إنْ قلت: السباب والقتال كلاهما على السواء فى أنّ فاعلهما يفسق، ولايكفر، فلمَ قال فى الأول فسوق وفى الثانى كفر؟ قلت: لأنّ الثانى أغلظ ، أولأنّه بأخلاق الكفار أشبه » . عمدة القارى ١ /٣٢٠ .

وورد في الأدب المفرد « عن عبد الله بن عامر عن أبى مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول منْ لعنَ مُؤمناً كقتله»[١]، حيث شبّه (لعن المُؤمن) بـ(القتل)، ووجه الشّبه: هو حصول الأذى بوجهين: أحدهما فى العِرض، والآخر فى النّفس.

ففى الحديث تحذيرٌ: من سباب المُسلم، وقتله؛ لعِظم حُرمته عند الله تعالى .

هذا بالإضافة إلى ما فى الحديث من دقةٍ فى اختيارٍ للعبارات، فضلاً عما فيه من إيجازٍ مُعبرٍ عن مُراد النبى ﷺ .

(١) الأدب المفرد محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، باب ما يقول الرجل إذا زُكى ٢٦٨/١ ت : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،ط٣ ، ١٩٨٩.

تحذيره ﷺ من السبع الموبقات

• **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ** »[1].

شرح الحديث:

فى هذا الحديث يُحذر الرسولُ ﷺ من السبع الموبقات؛ لما لها من خطرٍ داهمٍ على الفرد وكيانهِ، وعلى المجتمع، وبُنيانه .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ حديثه بالجملة الإنشائية وصيغتها الأمر(اجتنبوا) والغرض منه : التحذير من التّردى فى هذه السبع الموبقات .

وفى تعبيره ﷺ بلفظ (اجتنبوا) أبلغ منْ (اتركوا) لما يفيده من البُعد عنها بكلّ الوسائل بعداً كبيراً، والنّفرة، والمبالغة في الحذَر من هذه الكبائر . وهذا على عادة القرآن الكريم فى التحذير، فنهى عن القرب لينهى عما

---

(1) صحيح البخارى باب قول الله تعالى { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً } ٣ / ١٠١٧ ، و/ صحيح مسلم ١ / ٩٢ .

يجرّ إليه الاقتراب من حدود الله، فيقول ﷻ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

وفى قوله ﷺ (السبع الموبقات)[١][٢] فى الجملة: إبهامٌ للعدد، وإجمالٌ؛ حيث يُثير الذهن، ويجعل المخاطب يستشرف لمعرفة ماهية السبع الموبقات تفصيلاً ، ثم زاد النبى ﷺ تشويق المُتلقى ليطلعه على ما بعده وهو وصف هذه السبع بـ(المُوبقات) أى المُهلكات مما يُوحى بالخطر، وعِظم خطر هذه الموبقات .

وبعد أنّ هيأ النبىُ ﷺ القلوبَ والعقول للإنصات إليه، واستقبال الأمر وأثار الانتباه بهذا الإجمال مما دعا السامعين للسؤال (يا رسولَ الله وما هُنّ) ؟ .

وفى ندائهم (يا رسول الله) النداء هنا للبعيد[٣]، مع أنّه ﷺ كان قريباً منهم، فقد خرج النداء عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر ألا وهو: التعظيم والتوقير، ولبعد منزلته ﷺ، ولأجل تبْيان ما أُبهم عليهم، فـ « قد

---

(٢) « التنصيص على عدد لاينافى أكثر، وعيّن الرسول ﷺ السبع هنا : لاحتمال أن يكون أعلم الشارع بها فى ذلك الوقت ثم أُوحى إليه بعد ذلك غيرها ، أو يكون السبع هى التى دعت إليها الحاجة فى ذلك الوقت ، وكذلك القول فى كل حديث خص عددا من الكبائر » . ينظر عمدة القارى ١١ /٢٩٧ : .

(٢) المُوبِقات : الذنوب المهلكات . اللسان مادة(وبق) .

(٣)من حروف النداء يا، وهى:للبعيد . ينظر شرح ابن عقيل ٣ / ٢٥٥ .

يَسْتَعْمِلُ البليغ أدوات النداء الَّتي للبعيد فينادى بها القريب، لمعنى يُريدُ الإشارة إليه، كأنْ يُريدَ أنّه رفيع المنزلة عالي المقام »[1] .

ولذا، أتبع الرسولُ ﷺ بالجواب وسلّط عليها الضوء قائلاً (الإشراك بالله، والسحر، والتولى يوم الزحف)، حيث عدّ هذه الموبقات مُعرفاً بـ(أل)[2]؛ لأنّها كبيرة فى ذاتها .

وبعضها مُعرفاً بالإضافة[3](قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)؛ لأنّها صارت كبيرة بتعلقها بالمضاف .

وأوّل هذه السبع هو: (الإشراك بالله ﷻ) وهو: القادر الخالق، سابغُ النّعم، وواهبُ المِنن. وعُدّ الإشراك من الكبائر في أحاديث منها : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) [4] وهنا عُدّ من السبع الموبقات؛ لأنّه ليس بعد الشّرك ذنب، إذ إنّه بوابة جهنم، ولا يغفره الله ﷻ فقال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء٤٨].

---

(1) البلاغة العربية أسسسها وفنونها ١ /١٨٣.

(2)من أغراض تعريف المسند إليه بـ(آل) أنْ يأتي لواحد باعتبار عهديته في الذهن لمطابقته الحقيقة ينظر الإيضاح ٤٨ .

(3)من أغراض تعريف المسند إليه بالإضافة إذا لم يكن للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخضر منها .ينظر الإيضاح ٥٠

(4)كما سيأتى ١٢٢ (أكبر الكبائر) من هذا البحث .

وذكرَ الرسولُ ﷺ ثانى هذه الموبقات، وهى: (السحر) [١] : هو تغرير وخداع للناس، وإيهامهم غير الحقيقة .

وقد حُذف المسند إليه والتقدير: ثانيها السحر، وذلك لمجرد الاختصار .

وفى قول النبى ﷺ : (**وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق**)، إذ أنّ القتل كبيرة لتعلقه بالنفْس التى حرّم الله قتلها وأذن لها بالحياة ، ولذا وحذّر اللهُ ﷻ منْ قتل النفس، فقال: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** ﴾ [المائدة:٣٢] .

وحذّر الرسول ﷺ من القتل فى غير هذا الحديث : « لزوالُ الدّنيا أهون علي الله من قتل رجلٍ مُسلم » [٢] ، ومنْ يُنصبون أنفسهم ملائكة

---

(١) أَصل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه . اللسان مادة(سحر) .

(٢) صحيح سنن الترمذى، باب تشديد قتل المؤمن ٤ / ١٦ .

الرحمة للبشرية ويُنعقون بمصطلح (قتلُ الرّحمة) والاعتداء عليها بأى وسيلة ومن يُنصبون أنفسهم .

ولذا، جاء الاحتراس[1] فى قول النبى ﷺ (إلا بالحق) ليستثنى القتل فى القصاص (والجروح قصاص). والتعبير بالنفس هنا : يشمل كافة الأرواح الموجودة فى الكون .

وفى قول النبى ﷺ (وأكلُ الربا) [2] : أى استحلال الربا، في معاملاته بين الناس وهضمه الحقوق .

وفى الجملة : استعارة ، حيثُ شُبه استحلال المال فى غير محله بالربا بجامع وضع الشئ فى غير محله فى كلٍ،على سيل الاستعارة التصريحية الأصلية فى اسم الفاعل، والقرينة معنوية .

فى قول النبى ﷺ (وأكل مال اليتيم) [3]: أى الاستيلاء عليه .

---

(1) الاحتراس: حَرَسَ الشيء يَحْرُسُه ويَحْرِسُه حَرْساً حفظه وهم الحُرَّاسُ والحَرَسُ والأَحْراسُ واحْتَرس منه تَحَرَّزَ وتَحَرَّسْتُ من فلان واحْتَرَسْتُ منه بمعنى أَي تحفظت منه. ينظر اللسان مادة (حَرَسَ) ٦ /٤٨.

وفى اصطلاح البلاغيين :يُعرفه الخطيب بأنّه هو :أن يُؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم . الإيضاح ٢٠٣ ، وينظر فى علم المعانى د٠حمزة الدمرداش زغلول ١٣٨/٢ ، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط٣، ٢٠٠١ م .

(2) أكل الربا : من المجاز : آكل الربا ومؤ كله أساس البلاغة ١ / ١٧ مادة (آكل) .

(3) أكل مال اليتيم : هو من المجاز : أكل مالى وشربه المصدر السابق ١٦/١.

وفى الجملة استعارة : حيثُ شُبه الاستيلاء والاستحواذ على مال اليتيم بالأكل بجامع هضم الحق فى كلٍ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى الفعل . والقرينة معنوية .

والمتأمل في دقة تعبيره ﷺ بـ (الأكل)؛ لأنّه هو الغالب، ومنْ أهم مقاصد الإنسان الظاهرة .

والتعبير بـ(الأكل) أبلغ؛ للدلالة علي هضم حق هذا اليتيم واستباحته، و« لأنّه أبشع الأحوال التى يُتناول فيها مالُ اليتيم »[١] .

وقد فسرّ القرآن الكريم ذلك، وحذّر من أكلِ مالِ اليتيم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠].

وفى تخصيص النبى ﷺ (الأكل) بـ(اليتيم) وذلك :لأنّه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولعدم استطاعته تدبير شئون حياته، ويعجزه عن الدفاع عن نفسه .

وفى قول النبى ﷺ (والتولى يوم الزحف)[٢] أى فى القتال .

وفى الجملة : كناية عن صفة الجُبن، والفرار يوم القتال .

---

(١) الكشاف ١ /٢٥١ .

(٢)الزَّحْفُ الجماعةُ يَزْحَفُون إلى العدُوِّ ، فرَّ من الزَّحْفِ أَي فرَّ من الجهاد ولِقاء العدو في الحرب .ينظر اللسان مادة(زحف) .

والتعبير بالكناية أبلغ من (القتال) أو المعركة؛ لما فى الزّحف من مشقة، وعناء إلى الوصول للهدف .

وأيضاً تدلّ الكناية على: تخليه وقت الصعوبة، والاحتياج إليه للمرابطة فى سبيل الله ... كما أنّها تُوحى ضمنياً: بضرورة التكاتف، والوحدة لرأب الصدع، وسدّ الثغور وتأمين الحدود الإستراتيجية للبلاد .

وفى قول النبى ﷺ **(وقذف المحصنات المُؤمنات الغافلات)**[1]، **وفى رواية مسلم** قدّم (الغافلات) على (المُؤمنات) أى رميهم بالزّنا .

والقذف هو: الرّمى بشئ صلب، واستُخدم في اتهام المحصنة بالزّنا[2]، وفى هذه الجملة : استعارة تصريحية[3] : حيث شُبه الاتهام بالزنا بالرمى بشئٍ صلب، على سبيل الاستعارة التصريحبة بجامع: شدة التأثير المُؤذى فى كل. والقرينةُ: هى تعلق القذف بالمحصنات؛ لأنّ قذف المحصنات على الحقيقة بالشئ الصّلبِ لا يُوصف بالكبيرة .

---

(1) من المجاز :قذف المحصنة . أساس البلاغة ١ / ٢٣٨ .

(2)القَذْف ههنا رَمْيُ المرأَة بالزنا أَو ما كان في معناه وأَصله الرّمْيُ ثم استُعْمل في هذا المعنى حتى غَلب عليه . اللسان مادة(قذف)

(3) تعريف الاستعارة : اسْتَعار طلب العارِيّة واسْتَعارَه الشيءَ واسْتَعارَه منه طلب منه أَن يُعِيرَه إِيّاه، واعْتَوَروا الشيءَ وتَعوَّرُوه وتَعاوَرُوه تداوَلُوه فيما بينهم . ينظر اللسان مادة(عور) ٤ /٦١٢.

والاستعارة التصريحية: هى تشبيه الشئ بالشئ فتدع أن تفصح وبالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم المشبه به وتعيره المشبه وتجريه عليه. ينظر دلائل الإعجاز ٦٧ ، و أسرار البلاغة ٣٤ .

والتعبير بالاستعارة (القَذفْ) أبلغ من (الرّمى)؛ لما فيه من شدة وسرعة البهتان والزراية، فهو يزيد عن غيره من الكبائر إثماً وقبحاً؛ لأنّ أكثر ما يُحرك القاذف : هو سوء الظنّ . وهذا من خصائص الاستعارة الإيجاز والاختصار، حيثُ « تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر» [١] .

وفى إضافة النبى ﷺ : (القذف) لـ(المُحصنات) يُؤكد قُبح الذّنب، وسببَ كونه من الكبائر. ومما يزيدُه قبحاً وصف هؤلاء المحصنات بـ(المؤمنات)؛ لأنّهنّ أُحصِنّ؛ وهنّ أبعد ما يكُن عن هذه التهمة.

وزاد على ذلك بهذا الإيغال[٢] وهو: وصفهن بـ(الغافلات) تغليظاً للذّنب؛ لأنّ اتهامَ البرئ الغافل عما بُهِت به أشدّ وقعاً، وأكثر تأثيراً .

---

(١) أسرار البلاغة ٣٣ .

(٢) تعريف الإيغال: وْغَل القومُ وتَوَغَّلوا إذا أَمْعَنوا في السّير والوُغول الدخول في الشيء والإيغالُ السَّير السريعُ وقيل الشديد والإمْعانُ في السير .ينظر اللسان مادة (وغل) ١١ /٧٣١ . =

= وفى اصطلاح البلاغيين هو: ختم الكلام بما يفيد نكته يتم المعنى بدونها ؛كزيادة المبالغة . الإيضاح ١٩٩ . وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د. أحمد مطلوب ٣٦٩ ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٦ م .

وقد ذكر ابن رشيق : « أنه ضربٌ من المبالغة ، إلا إنه فى القوافى خاصة لا يعدوها، والحاتمى وأصحابه يسمونه التبليغ . ينظر العمدة فى محاسن الشعر وآدابه =

وفى هذه الصفات (المحصنات المُؤمنات الغافلات):احتراسٌ، حيثُ أخرجَ قذف أهل الرّيب ، والزّنا فليس هذا من الكبائر.

فالمتأمل فى تحذير النبى ﷺ المفهوم من خلال سياق هذا الحديث يجد أنّه ﷺ يدعو الأُمّة، والبشرية إلى الحفاظ على الكُليات التى كلفنا الله تعالى بها ألا وهى: الحفاظ على الدين، وهذا واضحٌ من خلال تحذير النبى ﷺ من(الإشراك بالله).

والحفاظ علي العقل وهذا واضح من خلال تحذيرهﷺ من(السّحر).

والحفاظ علي النفس وهذا واضحٌ من خلال تحذيره ﷺ من(قتل النفس).

والحفاظ على الأموال وهذا واضحٌ من خلال تحذير النبى ﷺ من (أكل الربا، وأكل مال اليتيم).

ونقده لأبى على الحسن ابن رشيق القيروانى ٢ / ٥٧،حققه : محمد محى الدين عبد الحميد

وسُمى بالاستظهار وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره. العمدة٢/٦٠

أّما سبب تسميته (بالإيغال) لأنّ المتكلم قد تجاوز المعنى الذى هو أخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد يقال أوغل في الأرض الفلانية :إذا بلغ منتهاها فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل . البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ٩٦/١ ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١ .

والحفاظ على أمنِ الوطن وهذا واضحٌ من خلال تحذيره ﷺ من(التولي يوم الزحف). والحفاظ على الأعراض وهذا واضحٌ من خلال تحذيره ﷺ من (رمى المحصنات) .

فما أعظمك يا سيدى يا رسول الله ﷺ .

تحذيره ﷺ من الإفلاس

• **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟. قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ»** [1] .

شرح الحديث

الرسولُ ﷺ يُبين مشهداً من مشاهد يوم القيامة، فيُصور خطر الظلم، والتعدى على الآخرين، وأكلِ حقوقهم، ونتيجة ذلك يحصدُه يوم الحساب جزاءً وفاقاً .

التحليل البلاغى:

صدّر النبىُ ﷺهديه الشريف مُخاطباً أصحَابه بأسلوب فيه إثارة، وتشويق إلى البحث، والتفكير بالاستفهام (أتدرون؟) الذى خرج عن حقيقته إلى معنى: التنبيه والتعليم، **والغرض** هو: تحريك المفهومَ الخاطئ من عقول المخاطبين لينبذوه، وتبديلِهِ بالمفهوم الصحيح لمعنى

(1) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧.

الإفلاس مما يغرسُ فى قلوبهم الهيبة من الحساب، والحرص فى تعاملاتهم، والمُراقبة لله ﷻ فيما يصدرُ منهم .

وعلة السؤال هنا؛ لأنّ مقامُ السؤال يدور مضمونه حول قضية تتصل بالعلم، واليقين، وكأنّ الجهلَ بها من باب الغفلة الشديدة عن أمرٍ مُهم، فمن الأنسب أن يكون مضمون السؤال بقوله ﷺ (أتدرون) .

كما أنّ للحوار دوراً مُهماً فى أداء المعنى، فـ « الرسول ﷺ لو ألقى عليهم المعنى الصحيح للمفلس دون أنْ يُمهد للحوار بهذا السؤال لمرّ على آذانهم مروراً مُؤقتاً سرعان ما ينسونهُ بعد ذلك »[١] .

وفى استخدامه ﷺ لـ(ما) التى لغير العاقل دون (منْ) التى تستخدم للعاقل؛ إشارةً إلى أنّ المفلسَ الذى يعنيه الرسولُ ﷺ غيرَ مفهومٍ لديهم، لأنّه ضيّع حسناته بتعديه على الناس، وظلمهم، وأكل حقوقهم .

ثم بدأ الرسول ﷺ الإجابة مُستخدماً أسلوب الحكيم[٢] فى قوله (إنّ المُفلس من...يأتى) بـ (إنّ) حرف التوكيد مع اسمية الجملة تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين لظهور ترددهم، وما يشبه الإنكار المفهوم من

---

(١)الحوار فى الحديث النبوى تراكيبه وصوره د. عيد محمد شبايك، ٧١ دار حراء، القاهرة، ط١ ١٩٥٥م .

(٢) أسلوب الحكيم هو تلقى المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنّه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب . مفتاح العلوم ١٧٥ . وذكره الخطيب القزوينى فى علم البديع بـ"القول بالموجب" ويجعله قسمين والثانى منهما : هو أسلوب الحكيم . ينظر الإيضاح ٧٩، و ٣٩١ .

إجابتهم عن سؤال الرسول ﷺ بتعريف المفلس بأنّه من لا دينار له ولا درهم . ولذا، فالنبى ﷺ استخدم أسلوب التأكيد علاجًا لترددهم، وتحويلاً عن مفهومهم هذا، وتأكيداً للمفهوم الجديد للإفلاس.

وفى تعريفه ﷺ المُسند إليه (المفلس) بالموصولية فى قوله (من يأتى) وذلك: للتنبيه على خطأ المخاطب فى اعتقاده فى تعريفه للمفلس.

***يقول الإمام عبد القاهر**[1] **عن تعريف الرسول ﷺ لمفلس الآخرة « ذاك أنّه ﷺ بيّن الحكم فى الآخرة، فلما كان الإنسان إنّما يعدّ غنياً فى الدنيا بماله، لأنّه يجتلب به المسرة ويدفع المضرة، وكان هذا الحكم فى الآخرة للعمل الصالح، ثبت لا محالة أن يكون الخالى – نعوذ بالله من ذلك – هو المفلس إذ قد عرى مما لأجله يُسمى الخالى من المال فى الدنيا مفلساً، وهو عدم ما يوصله إلى الخير والنعيم ويقيه الشر والعذاب »**[2].

وفى تقييده ﷺ الفعل (يأتى) بالظرف (يوم) وإضافته إلى (القيامة) تهويلاً للموقف، وما يغرسه من الصالحات، والصلاة والزكاة رجاء حصاده فى الآخرة يذهب لغيره لأنّه ظلم وأكل وسفك .

---

(1) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت٤٧١ هـ وهو: أبو بكر: واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، من كتبه أسرار البلاغة ، و دلائل الإعجاز . الأعلام ٤ / ٤٨ .

(2) أسرار البلاغة ٦٧ .

واستخدم الرسول ﷺ الفعل المضارع فى قوله (يأتى) وذلك استحضاراً للصورة، وليتخيل المخاطب صُورة هذا المفلس الذى جاء عارياً من الحسنات يوم القيامة .

والإتيان فى قوله ﷺ(يأتى بصلاة وصيام وزكاة)، والإتيان فى قوله (يأتى وقد شتم هذا وقذف هذا) فالمتأمل بين الجملتين يدرك: ألم الحسرة التى تُمزق روح هذا المفلس حسرةً على حسناته، وعمله الصالح الذى ينتظر أنْ ينقذه فى الآخرة، وقد أخذها من ظلمهم، وتعدّى عليهم فى الدنيا الذى آل إليه حيث طرحوا عليه سيئاتهم .

وقوله (قذفَ وشتم) مثالان جاء فى رواية مسلم، وهما من بعض المُفسرات للمظلمة التى جاءت فى رواية البخارى:(من كانت له مظلمة لأحدٍ من عرضه أو شئ فليتحلله منه اليوم....)[1] وفى قوله (وأكل مال هذا أو سفك هذا) فالضرب مثالٌ للمظلمة من غير العرض ،كما فى رواية البخارى . وفى قوله ﷺ (يأتى وقد شتم هذا) الواو عاطفة على ما قبلها، والفعل المضارع يُصور إتيان الخزى، والحسرة بمظالم الناس..

([1]) صحيح البخارى، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته ٢/ ٨٦٥ .

وتأمل لفظ (هذا) فى قولهﷺ (وقد شتمَ هذا، وقذفَ هذا) فهى «كناية عن موصوف هو الشخص المشتوم، أو المقذوف، أو المظلوم»[1]. كما أنّ انتقاء الرسول ﷺ الإشارة (هذا) للقريب دون غيره؛ يُظهر أنّ أصحاب المظلمات مُحيطون بالظالم يوم القيامة مُطالبون إياه بحقوقهم .

وفى تكرار الأفعال(وقد شتمَ هذا، وقذفَ هذا) مقرونة بالإشارة : دلالة على تعدد المظالم التى ارتكبها، وتنوعها مما أدى إلى الطرح فى النّار .

وجاء حرف الشرط (إنْ) للشك فى قولهﷺ (فإنْ فنيت حياته)، وفيه « إشارة إلى رحمة الله التى يُضاعف بها ثواب الحسنات، حتى يقلّ فى المسلمين من تفنى حسناته قبل أنْ يُسدد ما عليه من مظلمات لأصحاب الحقوق » [2].

وفى تعبيرهﷺ بـ (طُرح..) فى قوله (أخُذ من سيئاتهم فطُرح عليه..) وفى رواية للبخارى(منْ كانت له مظلمة لأخيه أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه) حيثُ يُفيد (الطرح) الإذلال، والمهانة له، وشمول تغطية هذا المُفلس حتى لايُرى منهُ شئ .

---

(1) من بلاغة الحديث النبوى :د٠محمد أحمد سحلول، ٢ /١٠٠ ، دار الاعتصام، ط٢ ، ١٩٨٥ م .

(2) من روائع أقوال الرسول ﷺ دراسات لغوية أ٠ عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى، ٤١٢ ،دار القلم ، ط ٦ ، ١٩٩٥ م .

فالرسولُ ﷺ يضع حاجزاً نفسياً فى قلوب المؤمنين من موقف هذا المفلس المخدوع بكثرة عمله من (صلاة، وزكاة، وصيام)، ولكنه جاء يوم القيامة، وقد ظلم، وتعدى، وأكلَ أموال الناس، فيكون عمله فى الآخرة: هى الحسنات التى تنقلب عليه سيئات .

وفى قولهﷺ (فطرحت عليه) استعارة تصريحية[١] تبعية: شُبهت الخطايا والسيئات بشئٍ ثقيل كالحمل الذى تحملهُ الدابة بجامع التعب والمشقة، ثم استعير لفظ الطّرح للحمل الثقيل، واشتق منه (طرح) فكأنّ الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم إلى ظهر الظالم فتزداد أثقاله ثم يطرح فى النار .

والمتأملُ فى هذا الحديث يجد أنّ ألفاظه سهلة، وسلسة، ومُعبرة عن مُراد النبىﷺ، ويرى أهمية الأسلوب التصويرى ودوره « فى التعبير عن المعانى الذهنية بالصورة المُحسة المُتخيلة، والارتقاء بالصورة التى يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ،مما يكون لهُ أثره فى استمالة القلوب، والتأثير فى النفوس، والتأثير فى النفس، لذلك اتخذه النبى ﷺ طريقاً –بجانب الحوار– لعرض مبادئ الدعوة ، حيثُ تبد القيم كأنّها تسعى على الأرض وتُؤثر فى الأحياء»[٢].

---

(١)سبق تعريفها ٣٣ فى السبع الموبقات من هذا البحث .

(٢) الحوار فى الحديث النبوى تراكيبه وصوره ٢٥٦ .

ففى هذا الحديث: تحذيرٌ من خلال السّياق، كى يعملَ الإنسانُ بهدي النبى ﷺ ، وينأى بنفسهِ عن الأفعال القبيحة.. كما أنّ فيه دعوةً إلى الأخلاق الحسنة .

• عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » [١].

شرح الحديث

الرسولُ ﷺ يُربى الأُمّة والبشرية، فُيبين لها مدى أهمية اختيار الجليس، ويُبين حال الجليس الصالح، وجليس السوء، وما يترتب على صُحبة كل منهما، وأثرهما فى جليسهما؛ لأنّ كلّ من يجلس الإنسان إليه ينضح بخيره، أو شره عليه .

وقال الشاعر:

لا تسلْ عن المرءِ وسلْ عنْ قرينه

فكلُّ قرينٍ بالمُقارن يقتدى[٢]

إذا كُنت فى قومٍ فصاحب خيارهم

ولاتصاحب الأردى فتردى مع الردى

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك ٥ / ٢١٠٤ ، و صحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤ / ٢٠٢٦ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد من قصيدة (عن المرءِ لاتسل وسلْ عنْ قرينه) ٤٤ ، دار صادر، بيروت ،ط١٩٦١ م .

التحليل البلاغى:

صدّر الرسولُ ﷺ هديه الشريف بهذه الأداة الدّالة على التشبيه (مثل) ومعناها (حال) أو (صفة)، وعبر ﷺ بـ المُسند إليه (الجليس): وهو على وزن (فعيل) أى إنّه الشخص الذى تجلس إليه، أو تُجالسه، وجاء(الجليس) مُعرفاً بـ(أل)التى لاستغراق الجنس، حيث لم يقصد النبى ﷺ تحديد جليس صالح بعينه .

وقيّد الرسول ﷺ(الجليس) بصفة (الصالح) كى يُظهر من أى طائفة هذا (الجليس)؛ لأنّه ينفع جليسه بأى نوعٍ من أنواع من الصلاح، كالدلالة على الخير، ونفع الآخرين . فالصالح كلّ من يرتاح إليه منْ حوله، وينعمُون بمجالسته حتى ولم يكن لهم صديقاً .

وقد جاء تشبيه الرسول ﷺ (الجليس الصالح بحامل المسك)، (جليس السوء بنافخ الكير) تشبيهاً مُجملاً، وهذا الإجمال من شأنه: إثارة فضول السامع ، والاستحواذ على انتباهه فيتطلع ليعرف السّر الذى لأجله شبه الرسول ﷺ هذا الأمر.

كما أنّ التشبيه هنا جاء ملفوفاً[1]، حيث جمع الرسول ﷺ كلّ من المشبه، والمشبه به مع بعضه، فشبه الرسولُ ﷺ (الجليس الصالح) فى نفعه بحامل المسك، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من امتاع الروح ، والحواس وبهجتها، وعموم النفع والفائدة .

([1])التشبيه الملفوف هو: ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما . الإيضاح ٢٥٢ ، وينظر خلاصة المعانى ٣٥١ .

وشبه (جليس السوء) فى إيذائه بـ(نافخ الكير) [١] ، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من إيذاء الروح والحواس، وضررها وإتلافها.

وفى رواية أخرى لمسلم[٢] ذكرَ الرسول ﷺ أداة القصر (**إنّما**) وهى لا تُفيد قصر الجليس الصالح على حامل المسك، وجليس السوء على نافخ الكير؛ **وإنّما المقصود**: أنّ أسلوب القصر الذى استخدمه الرسولﷺ هو الذى يُبرِز، ويُبين حالتى الجليس الصالح، والجليس السوء . ويُبينﷺ الفائدة التى تعود على المرء من صحبة الأول ففيه: إغراءٌ لمجالسته والرغبة فى مُصاحبته . والضرر الذى يلحق بالمرء من صحبة الثانى ففيه: تحذيرٌ وتنفير منه .

فالقصر هنا: قصرٌ مجازى وليس حرفياً، فهذا التشبيه المُنتزع من البيئة أدلّ على تصوير ذلك الأمر الذى يريده ﷺ، وأدعى لأنّ يُسلّم به كل فرد، ويعمل بمقتضاه.

ففى الأول: أتى بشئٍ محبوب ومبهج ويبعث على الراحة والرضا، واسترخاء الأعصاب والثانى: يحرق الثياب، والجلود، ويهبّ منه الدّخان الخانق للروح، والبدن .

---

(١)الكِيرُ : كِيرُ الحدّاد وهو زِقّ أَو جلد غليظ ذو حافاتٍ ، والزِّقّ الذي يَنْفُخ فيه الحدّاد ينظر اللسان مادة (كير)

(٢) صحيح مسلم ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤ / ٢٠٢٦ .

ولذا، بيّن النبى ﷺ وجُوه الشبه فى كلّ من الحالتين مُستخدماً (إمّا)[1] التفصيلية حيث أوضح ﷺ النفع، والخير (إمّا أنْ يُحذيك) أى يهديك ، (وإما أنْ تبتاع منه) [2]، وإمّا أنْ تجد منه ريحاً طيبة) أى رائحة زكية.

وتأمل فى التفاته ﷺ من الغيبة [3](مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ) إلى الخطاب (إمّا أنْ يُحذيك)، وذلك رغبةً فى زيادة قوة التأثير فوجّه ﷺ

([1]) من معانى إما : التفصيل {إما شاكراً وإما كافورا}، مغنى اللبيب ١ /٨٦ .

([2])بِعْتُ الشيء شَرَيْتُه، و الابْتِياعُ :الاشْتراء .ينظر اللسان مادة (بيع) .

([3]) الالتفات :حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشمالهِ فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذاِ وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصةِ لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغةِ كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائبِ أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعل ماض إلى مستقبلِ أو من مستقبل إلى ماضِ أو غير ذلك . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لـ: أبي الفتح ضياء الدين الموصلي ، ٢ / ٣ ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥ .

كما أنّه فنٌّ بديعٌ من فنون القول يُشْبِهُهُ تحريكٌ آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات الّتي يُرادُ عَرْضُ صُوَرٍ مِنْها، ومفاجأة الْمُشَاهِدِ بلَقَطاتٍ مِنْها متباعدات، ولكنَّها تدخُلُ في الإطار الْكُلّي الذي يُراد عرض طائفةٍ من مشاهده تدلُّ على ما يُقْصد الإعلام به . البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١ / ٣٧٦ .

والغريب أنّ القزوينى لم يستفد فى بحث الالتفات مما كتبه ابن الأثر الذى أوضح معناه، وردّ على الزمخشرى فى وجه حسنه، ولم يوافقه على رأيه .. ينظر القزوينى وشروح التلخيص /د٠ أحمد مطلوب ٢٢١ ، ط١، ١٩٦٧م .

=

خطابه للسامع كى يظهر اهتمامه به، فيكسب قلبه، ويسترعى انتباهه، فيكون كلام النبى ﷺ أوقع فى نفسه، وأقوى تأثيراً لديه .

وفى تعبيره ﷺ بـ(منه) فى قوله ﷺ (وإمّا أنْ تجد منه ريحاً طيبة) أبلغ من (عندَه)؛ لأنّه يُوحى بأنّ النبى ﷺ يقصد أنّ الريح الطيبة التى تنبعثُ من (الجليس) نفسه هى صفةٌ من صفاته، لا أنّ الرائحة العطرة هى من (المسك) الذى يُباع، فكأنّه أصبح مصدراً عطراً، ينفحُ بالرائحة الزكية، وذلك تحبباً منه ﷺ فى مجالسة الجليس الصالح، وتشبيهاً لأخلاقه، وشمائله بالعطر .

وبدلاً من أنْ يقول الرسولُ ﷺ (رائحته طيبة أو عطرة) قال (تجدُ منه ريحاً طيبة). وهذا التشبيه من باب (التجريد)[1] وهو منْ شأنه: كسوة العبارة جمالاً وبهاءً، ورونقاً وحسناً، لأنّه « أفاد المبالغة فى أداء المعنى فى تصوير أحسن، وصفة أخص »[2] .

ورأى ابن الأثير أنّ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لايكون إلالفائدةٍ اقتضته، وتلك الفائدة أمرُ وراء الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوب . المثل السائر ٢/ ٤ .

. ومن فوائد الالتفات :التَّوْبِيعِ في العبارة، المثيرِ لانتباه المتلَقِّي، والباعثِ لنشاطه في استقبالِ ما يوجَّه له من كلام، والإصغاءِ إليه، والتفكير فيه . البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١ / ٣٧٨ .

(١)التجريد: هو أنْ ينتزع من أمرٍ ذى صفة صفة أخرى مثله فيها مبالغة لكمالها فيه . الأطول للعصام ٢ /٤١٦ .

(٢) دلائل الإعجاز ٤٢٥ .

وكلمة الرّيح فى الحديث لها دلالة حيثُ: « تُقدّم مشهداً غير ثابت الحدود والمساحة، وذلك لأنّ الريح تنتقل، والرائحة تتخذ حيزاً واسعاً »[1].

وكذلك الأمر يصدقُ على قوله ﷺ (وإمّا إنْ تجدَ منه ريحاً مُنتنة) حيث عبّر بحرف الجر (من) فى (منه) بدلاً من الظرف (عند) أى إنّه صار مصدراً للرائحة المُنتنة .

وفى تقييده ﷺ (بحامل المسك) ليس المقصود: مُجرد من يحمل المسك؛ لأنّ كثيراً من الناس منْ يحمل المسك وهو قوم سوء، أو يحمله ولا يُحذيك، وإلا لمَا قال: (وإمّا أنْ تبتاع منه) . **ففيه إشارةٌ خفية** إلى أنّ : الرسول ﷺ قد سبر أغوار النّاس، وخبر ضُروبهم، وفطِن لمكنون نفوسهم، حيث جعل بائع المسك (حاملاً له) وهذا يُفيد أنّه أينما ذهب صحِبتهُ العطور التى يبيعها، والروائح الكريمة المُنبعثة منه .

وعلى النقيض سمى الرسولُ ﷺ الحدادَ (بنافخ الكير)؛ لأنّ نفخ الكير هو مدارُ الصورة التى يُريد أنْ يُوصلها النبى ﷺ للمُتلقى، حيث إنّ الحداد هو السبب فى ثوران الدخان، وانتشار الرائحة الكريهة، وحرقْ ثيابك .

([1]) الصورة الفنية ٥٢٠.

وفى التعبير بـ (ريحاً خبيثة) تجد فيه تشخيصاً حتى كأنّ هذه الريح تمتلكُ طوية فاسدة كالإنسان، ففيه استعارة ، حيثُ شبه الريح الخبيثة بالإنسان، وحذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه وهو (الخبث) على سبيل الاستعارة المكنية .

وتُثير الانتباه جملة (نافخ الكير)؛ ففيها « ظلالٌ مُنفرة، فهو نافخ، وكلامه لا يزيد عن النفخ، والجليس النافخ يجعل الصدر والقلب فى ضيقٍ »[١] .

والمُتأمل فى الحديث يجد أنّ كل من الصورتين (حامل المسك، نافخ الكير) إيحاءاتها، **فالأولى** تُوحى بـ الرائحة الزكية التى تُذكر المرء بالجِنان، وما فيها من ورودٍ، وريَاحين؛ لأنّها رائحةٌ تتشوق إليها القلوب .

والثانيــة حرقْ الثياب، والدّخان الكريه الرائحة: يُومئ إلى الجحيم، ونيرانها، ودُخانها .

والمقصود من التشبيه التمثيلى فى هديه ﷺ ، والمُقارنة التى عقدها بين معنيين متضادين هو: إبراز الخير الذى يعود على جليس الإنسان الصالح، والأذى الذى يصيب جليس الإنسان الشّرير فى صورةٍ مادية محسوسة، وذلك ليكون اقتناع السامع به أقوى، وأرسخ فى خياله،

---

(١) التصوير الفنى فى الحديث النبوى د٠محمد الصباغ ، ٥٥٤ ، المكتب الإسلامى ،ط١ ،١٩٨٣ .

وأعنف تأثيراً . ولذا، عمدَ الرسول ﷺ إلى هذا التشبيه الذى يُسلم به كلّ فردٍ .

يقول الزمخشرى[1] **عن فضل التشبيه التمثيلى وتأثيره: « إنّ للتمثيل شأناً ليس بالخفى فى إبراز خبيئات المعانى، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تُريك المتخَيل فى صورة المُحقق، والمُتوهم فى معرض المُتيقن، والغائب كأنّه مُشاهد »** [2].

والرسول ﷺ من خلال هذا الهدى يُرشد، ويُوجه الأنظار إلى أنّ: **الصّاحب ساحب، وكما قال ﷺ « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »**[3]، **والمرء يُعرف بخلاّنه، وكما قيل قديماً :(قُل لى من تُصاحب أقلْ لك منْ أنت) .**

---

(1) الزمخشري : ت ٥٣٨ هـ هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب.ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجر جانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها.أشهر كتبه الكشاف، و أساس البلاغة . الأعلام ٧ / ١٧٨ .

(2) الكشاف ١ /٣٧ .

(3) المستدرك للحاكم، كتاب البر والصلة ٤ / ١٨٨ .

وأيضاً فـ« الخيّر من الناس يَحنُ إلى شكله، والشّرير يميلُ إلى نظيره »[١]، ولذا فإنّ الرسولُﷺ يُرغب فى مجالسة الصالحين . ويُنفر ويُحذّر من مجالسة رفقاء السوء، كى يحذَرهم الناس، وينأوا بأنفسهم عنهم .

(١) عمدة القارى ١٢ /٣٧٢ .

تحذيره ﷺ من كثرة الفساد وغياب دور المصلحين

• عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ . وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِى تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ »[1].

شرح الحديث

يُبين الرسولُ ﷺ خطر تفشى الفساد، والخبائث، وأنّها متى أطلقت سِهامها فى المجتمع فقد أذنتْ بهلاكه، ودماره وإنْ كان فيه صالحون؛ لأنّهم لم يُحاربوا الفساد، وتنحوا عن دورهم، وأخلوا مكانهم للفساد، والمعاصى .

التحليل البلاغى:

استخدم النبى ﷺ لبيان هذا الخطر (الفساد) عدة أساليب بلاغية مفعمة من داخله، وإحساسه النّفسى بالموقف؛ ففى دخوله ﷺ على زوجته، وعليه علامات الفزع حالةٌ تثير من حوله، مما يزيد الأمر شدة وإثارة، حيثُ بدأ الرسول ﷺ حديثه بعبارة (لا إله إلا الله) وهى أعظم ما يقال: لاحتوائها على توحيد الله ﷻ ، وإفراده بالإلوهية دون سواه،

([1]) صحيح البخارى، كتاب الفتن ، باب قصة يأجوج ومأجوج ٣ /١٢٢١،و صحيح مسلم ، كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ٤ /٢٢٠٧ .

ويتحقق هذا المعنى بأسلوب القصر حيث قصر صفة الإلوهية على ذات الله سبحانه – قصراً حقيقياً تحقيقاً[١]؛ لأنّ الإلوهية ثابتةٌ لله وحده حقيقة وحكماً ومطابقة للواقع.

وقد أتى النبى ﷺ بها هنا « للتعجب من الأمر الواقع بعدها وتعظيم شأنه » [٢] .

ومما زادَ فى الجملة تركيزاً معنى إثبات الإلوهية لله تعالى وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجئ القصر بطريق النفى والاستثناء وهو أقوى طرق القصر: تأكيداً لما فيه الإثبات والنفى ، ولذلك « يُستخدم عند الإنكار»[٣].

وقوله ﷺ (ويل للعرب من شر قد اقترب) تصعيدٌ للموقف النفسى، وتركيز للمعنى، وبيانٌ مُجمل لبعض أسباب دخوله فزعاً، أو استيقاظه فزعاً، أو دخوله فزعاً، مُحمراً وجهه كما فى روايتين لمسلم

---

(١) القصر الحقيقى يُنظر: مختصر السعد ومواهب الفتاح وعروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢ /١٧٣، المكتبة الأميرية، بولاق ، ١٣١٧ .

(٢) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ١ /٤٧٤ .

(٣) ينظر مختصر السعد وحاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٢/ ١٩١.

وقد بدأ النبى ﷺ بكلمة (ويل) معناها « الحزن والمشقة من العذاب»[1]. وهى تناسب الموقف النفسى الذى استيقظ ﷺ عليه فزعاً ، وهذه الكلمة تلفت الذهن، وتحدث فى النفس خوفاً يستدعى الإنصات للمُتكلم ليستوضح الأمر منه .

وقوله (للعرب): اللام أفادت الاختصاص[2]، حيث يتبادر إلى الذّهن سؤال مُفاده هو لم خصصَ النبىُ ﷺ العرب بالذكر مع أنّه ﷺ أُرسل للناس كافة انطلاقاً من قوله ﷻ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [سبأ:٢٨] ؟ .

والجواب « لأنّهم أول منْ دخل فى الإسلام؛ وللإنذار بأنّ الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم» [3] .

وهذا التخصيص (للعرب) يزيدُ الموقف النّفسى تصعيداً؛ لأنّه وجّه الخطر الذى سبب فَزَع النبى ﷺ إليهم دون غيرهم من الأُمم .

والمراد بالشّر فى قول النبى ﷺ (شر) « ما وقعَ بعده من قتل عثمان ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة...ويحتمل أنْ يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا أنزل من الخزائن فأشار بذلك إلى الفتوح

([1])النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٣٦/٥ ، ت: محمود محمد الطناحى، المكتبة الإسلامية(ب.ت) .

([2])مغنى اللبيب ١ / ٢٧٥ .

([3])فتح البارى ١١/١٣ دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩

التي فتحت بعده فكثُرت الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جرّ الفتن وكذلك التنافس على الإمرة » [١] .

وفى تنكيرهﷺ للمسند وهو لفظ: (شر) أفاد التهويل والتعظيم؛ « لأنّ الشئ إذا كان مجهولاً لدى المخاطب، فإنّ النفسَ تذهب فى تفسيره، كُلّ مذهب، ويُعطيه هذا التنكير أبعاداً إيحائية أوسع، ويترك النفس تحتمل فى حقه احتمالات متعددة وهذا أدعى لإثارة انفعال التهويل والتعظيم فى النفس » [٢] .

وتعبيره ﷺ بـ (اقترب) أبلغ من (قَرُب) يُفيد شدة القرب؛ لأنّ صيغة (افتعل) تُخيّل للمخاطب بأنّ (الشّر) وحشٌ يزحف نحوه ، ويوشك أنْ يفتك به.

كما أنّ فى ذكر الاقتراب « تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين»[٣] **كى يتأملوا مدى قُرب هذا الهول عليهم .**

وفى قوله ﷺ(اقترب) استعارة مكنية، حيث جعلت الشئ المعنوى الذى لا يُتصور منه اقتراب أو بُعد فى ثوب المحسوس، فشُبه الشّر بمن يكون منه الاقتراب، والحركة تجسيماً وتشخيصاً، وقد عاونها الخيال فى ذلك

---

(١)ينظر فتح البارى ١٠٧/١٣ دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩

(٢)الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د٠مجيد عبد الحمد ناجى ١٢٤، المؤسسة الجامعية ، ط١، ١٩٨٤.

(٣)غرائب القرآن ورغائب الفرقان لـ:نظام الدين الحسين بن محمد القمى النيسابورى ٣ / ٢٢٩٠،ط دار الصفوة، ١٩٩٥م .

مما له بالغ الأثر فى النفوس، ونفاذ للقلوب وتأكيد للمعنى وتقريره فى الذهن، ولذا يقول عبد القاهر عن جمالها « إنْ شئت أرتك المعانى اللطيفة التى من خبايا العقل كأنها جُسمت حتى رأتها العيون.... » [1] .

هذا، وقد فُصل بين جملة (لا إله إلا الله) و(ويل للعرب) وذلك بشبه كمال الاتصال؛ لأنّ الثانية وقعت جواب لسؤال صدر عن الجملة الأولى (لا إله إلا الله) مفاده: ما سر فزعك؟ وقوله (ويل للعرب) فجاءت الثانية جواباً لهذا السؤال، وذلك لنكته بلاغية وهى : « إغناء السائل عن أن يسأل لكى لا يقطع المتكلم كلامه ولا ينفك عن اتصاله ونظامه فالاقتراب قرينة على أنه لم يقع أو القصد إلى إفادة كثير بلفظ قليل»[2].

وأيضاً فُصل بين جملة (فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج) [3] **وبين (ويلٌ للعرب من شر) لكمال الاتصال، لأنّ الثانية وقعت بياناً للأولى، لأنّه ﷺ لما قال(ويلٌ للعرب من شر قد اقترب جاءت كلمة (شر) نكرة مبهمة تحتاج لبيان، فجاءت جملة(فتح اليوم) بياناً لهذا الشر.**

وفى جملة (ويلٌ للعرب من شر قد اقترب) سجع، حيث إنّه « يُخامر العقول مخاطرة الخمر ويُخدّر الأعصاب إخدار الغناء، ويُؤثر في النفوس

---

(1) أسرار البلاغة ٣٣ .

(2) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعصام ٢ /٢٦ .

(3) يأْجوجُ ومأْجوجُ وهما اسمان أَعجميان واشتقاقُ مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَّتِ النارُ ومن الماء الأُجاج وهو الشديد الملوحة المُحْرِقُ من ملوحته . اللسان مادة(أجج) .

تأثير السّحر ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم لما يحدثه من النغمة المُؤثرة، والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن ، وتهَش لها النفس فتقبل علي السماع من غير أن يُداخلها ملل، أو يُخالطها فُتور فيتمكن المعنى فى الأذهان، ويقرّ فى الأفكار ويعزّ لدى العقول » [1].

وفى تعبيره ﷺ بـ (فُتح) بالبناء للمجهول: لعدم أهمية ذكر الفاعل، وصرف الذهن إلى الحدث نفسه ألا وهو (الفتح) لما فيه من الخطر القادم .

كما يدّل تعبيره ﷺ (بالفتح) على أنّ الرّدم سيفتح عُنوة للإشارة إلى أنّ يأجوج ومأجوج لنْ يستطيعوا عبور الرّدم الذى بينهم وبين بنى آدم، ولكنه لا يتسع بمِعوال، بل بذنوب البشر، ومعاصيهم .

وفى تعبيره ﷺ (بالفتح) أبلغ من (الهدم) فى قوله (فُتح منْ ردم يأجوج ومأجوج)، وذلك لأنّ فيه إشارة إلى أنّ الردم صار كأنّه بناءٌ مغلق عليهم لا يفتح إلا بوعد الله بالخروج بهم، قال تعالى﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦].

وقيّد الرسولُ ﷺ (الفتح) بالظرف (اليوم) مع تعريفه بـ(أل): إشارة إلى شدة اقتراب هذا الخطر الفاحش. ثم زاد فى تصعيد الخطر، وشده قربه حيث قال ﷺ (مثل هذه) .

---

(1) الألوان البديعية: د ٠حمزة الدمرداش زغلول ١٦٠ ، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٠ م .

وقوله ﷺ (مثل هذه) تشبيه : فالمشبه (الفتح) والمشبه به: الحلقة المأخوذة من تحليقه ﷺ بالعقد بإصبعيه الإبهام وما بعدها (وحلّق بإصبعيه...) ووجه الشبه: شدة التقارب فى هذا القدر الذى قدره ﷺ .

والغرض من التشبيه : بيان المقدار[1]، وذلك لعظم قرب الخطر، وهول مجيئه

وتشبيه الرسول ﷺ هنا معقول بمحسوس، حيث نقل الصورة من عالم الخيال فى عقول المخاطبين إلى العالم المُدرك بالحواس، وهذا أدعى لتثبيت المعنى، وتقويته فى الذهن، فالخيال هنا له دورٌ هام؛ لأنّ « الأقوال المتخيلة هي التي تتمتع بقوة التأثير الناتج عن استخدام الصور المجازية التي تبتعد عن المباشرة والوضوح، ومن ثمّ تُحدث تأثيرها في النفس عن طريق الإيحاء في وجدان المُتلقى »[2] .

---

(1) من أغراض المشبه : بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان .وهو من التشبيه المقبول، وذلك بأن يكون المشبه به أعرف شئ بوجه الشبه ، ينظر الإيضاح ٢٤١ ، ٢٦٨ ، أى بيان مقدار حال المشبه : وهو من أغراض المشبه حيث يكون المشبه معروف الصفة بوجه ما حيث يبين درجة العلم بهذه الصفة . أسرار البيان ، د٠على محمد حسن العمارى ٩٥ .

(2) نظرية الشعر في النقد العربي القديم د٠عبد الفتاح عثمان ٥٤ ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨١م .

وفى قوله ﷺ(وحلّق بإصبعيه) ففى « (الإبهام والتى تليها) بدل من قول (إصبعيه) بدل مفصل من مجمل »[١]. كما أنّ فى هذه العبارة دلالة غير لفظية وهى دلالة الإشارة[٢]، وهى تحليقه ﷺ بإصبعيه .

وجاء الاستفهام فى قوله ﷺ (أنهلك وفينا الصالحون) ؟ بعدما سمعت السيدة زينب ، ورأت ما كان من الرسول ﷺ حين دخوله فزعاً أو استيقاظه – بلغت من الخوف والوجلِ مبلغاً عظيماً فوجهت استفهاماً للنبى ﷺ (أنهلك وفينا الصالحون) ؟ على سبيل التعجب والاستبعاد لوقوع الهلاك، وبينهم رسول الله ﷺ .

فأتى الجواب من الرسول ﷺ مُقرباً لما استبعدت حدوثه قائلاً: (نعم إذا كثُر الخبثُ) أى الفجور، ولم يجد من يقف أمامه، ولم يردّه صالح أو مُصلح .

وفى قوله ﷺ: (إذا كثُر الخبَثُ) إيجازٌ بالحذف ، حيث حُذف جواب الشرط، وتقديره: إذا كثر الخبث فالهلاك واقع .

قال النووى [١] « معنى الحديث أنّ الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون »[٢].

([١]) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين. محمد بن علان الصديقي الشافعى الأشعرى ١ /٤٧٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ١٩٨٥ م .

([٢]) من أمثلة الدلالة غير اللفظية ..الإشارة ، ينظر المطول للتفتازانى ٣٠١ .

وكثـرة الخبـث: كنايــة عـن انتشــار المعاصــى والفجـور والفسـق والشرور، وتفشيها .

والكناية أبلغ فى دلالتها على المراد؛ لأنّها أخرجت الشئ المعنوى فى زى المحسوس وأبرزته، حتى كأنّه مُشاهد يُرى حيث تعطى المُتلقى الحقيقة مصحوبة بالدليل، والبرهان

ففى الحديث يُحذّر الرسول ﷺ من ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والتصدى للفساد [٣] كما أنّه يُحذر من انتشار الفساد، وتفشيه، وغياب القدوة الحسنة .

---

(١) النووى: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته .. ينظر الأعلام ٨ / ١٤٩ .

(٢) ينظر شرح النووى على صحيح مسلم ١٨ /٤ .

(٣)كما في قوله ﷺ::« وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ » سنن الترمذي، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤ / ٤٦٨ .

• عَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: • الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِى أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ »[1].

شرح الحديث

الرسولُ ﷺ يُرشد أُمتـه إلـى مـا هو خيرٌ ونـافع، فيُبعدها عن مواقـع الشّك حتـى يسلم الدّين من النّقص، والعرض من الطعن، فالحرامُ بيّن، والحلال بيّن فى القرآن الكريم، والسُّنة النبوية المُطهرة، وبينهما مشبهات لا يُدرى أهى من الحرام أم الحلال؟. لا يطمئنُ إليها القلب، فيُحذّر منها النبى ﷺ، ويُوضح ذلك بضرب المثل (بالحمى)، ثم يُبين أنّ منبعَ الإرادة هو القلب .

ففى هذا الحديث تجد أنّ : الرسول ﷺ « يحكم أنّ الاتجاه للخير أو

---

(1) صحيح البخارى، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ ، و باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ٢ / ٧٢٣، و صحيح مسلم ، باب من أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ /١٢١٩.

الشر داخل النفس الإنسانية منوطٌ بقدر الإرادة التى تحتويها هذه النفس، والإرادة تُنَمّى بالعقيدة والإيمان »[1].

التحليل البلاغى:

فى قول النّعمانْ بن بشير (سمعتُ) أكدّ على هذا السماع بهذا الإطناب المُؤكد بالحركة، حيث أشار بإصبعيه إلى أذنيه (وأهوى النّعمان.. إلى أذنيه) فى رواية مسلم وذلك:« إشارة إلى استيقانه بالسمع »[2] كقولك: رأيته بعينى .

ولذا، أرسى النبىُ ﷺ قاعدةً تسرى عليها الأحكام، حيث صدّر هديهُ الشريف بالجملة الخبرية (الحلال بيّن والحرام بيّن) ففى هذه العبارة مساواة . وفى رواية أخرى للبخارى صدّرها بـ(إنّ) ومن شأنها: تأكيد مضمون الخبر، وأنّه ظاهرٌ بيّن لا يخفى على ذى عقل.

وفى رواية مسلم (الحلال بيّن والحرام بيّن) هنا خرج الكلام مخرج المثل السائر، فالجملة الاسمية تفيد :الدوام والاستمرار. فالحلال بيّنٌ، واضح وسيظل، والحرام كذلك ، وكذلك الأمور التى لا يعلمها كثير من الناس .

ثم مهدّ الرسول ﷺ لما سيقوله بعد ذلك بقوله (وبينهما أمورٌ

---

(1) علم النفس النبوى ، قاسم شهاب صبّاح ، ٥٤ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٩٩٥ م .

(2) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١١ / ٢٩ .

مشبهات) أى لا يعرف حلّها ولا حرمتها، فهى مترددة بينهما. **وفى رواية مسلم** (مشتبهات) بزيادة التاء : من التشابه والتقارب .

ولذا، التمس الرسولُ ﷺ العذُرَ فى قوله (لا يعلمها كثير من الناس) لا يعلمهُنّ إلا العلماء، وهنا: إيجاز بالحذف: حيث حُذف المفعول ألا وهو (حكمها) وذلك للعلم به . **وفى رواية مسلم** (لا يعلمهن) فالضمير هنا: يعود على الأمور المتشابهة .

وحفاظاً على الكثير من النّاس إذا خفى عليهم شئ ، أو لم يعرفوا الحُكم ماذا يصنعون؟ . أوجدَ ﷺ لهم الطريق الذى يسلكوه بهذه الجملة الشرطية وهو:(فمن اتقى الشّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه).

وأسلوب الشرط هنا : يفيد العموم. أى كل مسلم اتقى الشبهات، وحذِر منها، فجعل الرسول ﷺ خُلو الإنسانِ من الوقوع فى الشبهات، واجتنابها وحذرِه منها ببراءته لدينه، وعرضه فى عقيدته، وفى كيانه .

وقدّم الرسولُﷺ الجارَ والمجرور(الدّين) على (العِرض) فى قوله (لدينه وعرضه) « لأنّه مُتعلقٌ بالله تعالى، وأخرّ العرْض لتعلقه بالناس ومُروءتهم. ومنْ قدّم العرض؛ فـ للاهتمام به وشدة تعلق الناس به»[١].

وعلى الجانب الآخر أوضحَ الرسول ﷺ بالمقابلة المعنوية عن طريق الشرط أيضاً (ومن وقع فى الشبهات) حيث حُذف جواب الشرط ألا وهو (وقع فى الحرام) **وفى رواية مسلم** ثبت المحذوف، وذلك « لتذهبَ

---

(١) عمدة القارى ١ /٣٤٥.

النفسُ فيه كلّ مذهبٍ، ولو ذُكر الجواب لقصُر على الوجه الذى تضمنه البيان » [1].

وفى التعبير بقوله ﷺ (وقع فى الشبهات) « يُوحى بأنّ الخطأ يرمز إلى سفلية الشيطان والطبع الحيوانى من الإنسان، وأيضاً إلى التّسفُل الخُلقى، والعيشة البهيمية، وغير هذا مما يترفع الإنسان السّوى عنه » [2].

وبين (اتقى، وقع) طباق، ومن شأنه: أن يُثبت المعنى فى النفس؛ لأنّ الضّد أقرب خُطوراً فى البال، كما أنّ له أثراً فى إثارة الانفعالات المختلفة فى نفس المُتلَقى مما يُرسخ المعنى فى الوجدان ، وأحرى للبُعد عن الأمور المُشتبهة .

وفى تعبيره ﷺ (وقع فى الشبهات) ، حيث شبه:ارتكابه للشبهات، وتجرؤه عليها بالوقوع فيها، فأخرج الرسول ﷺ من وقع فى شئ غير واضح الشبهات واقعٌ (فى الحرام) باعتبار ما يؤول إليه حاله .

ومما زادَ المعنى وضوحاً وجلاءً تعبيره ﷺ عن هذا المعنى بالتشبيه التمثيلى[3] **(ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام) حيث**

([1])النكت في إعجاز القرآن للرماني. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني ، ٧٦ ، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ، د٠محمد زغلول سلام ، دار المعارف، مصر، ط٣ ،١٩٨٧ .

([2])الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٦٦٦ .

([3])سبق تعريفه ٢٠ من هذا البحث .

شبه هيئة وحال من يقع فى الشبهات فلا يأمن الوقوع فى الحرام بهيئة الراعى فى المكان المحظور فلا يأمن الوقوع فيه .

وجه الشبه: تعرض كل منهما للأهوال والمخاطر، فالراعى فى غير حماه استحق العقاب، وكذلك المُكلف الذى أهمل فى حق نفسه فلا يأبه من أى شئ كسبت، أو أكلت!! يُعرض نفسه للمخاطر والعقاب .

فالتشبيه التمثيلى من حُسنهِ « يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشئِمِ والمُعْرِق، وهو يُرِيكَ للمعاني الممثَّلة بالأوهام شَبَهاً فى الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس، ويُعطيك البيان من الأعجم، ويُريك الحياةَ في الجماد، ويريك التئامَ عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين »[١].

وأمّا قول الإمام العينى بأنّ « فى الحديث تشبيه ملفوف[٢] باعتبار طرفيه وتمثيلاً باعتبار وجهه حيث شبه المكلف بالراعى، النفس البهيمة بالأنعام، والمشتبهات بما حول الحمى، والمحارم بالحمى، وتناول المشتبهات بالرتع حول الحمى: فيكون تشبيهاً ملفوفاً باعتبار طرفيه وتمثيلاً باعتبار وجهه »[٣] **فهو رأىٌ جديرٌ بالتأييد**؛ غير أنّ الصورة هنا تشبيهية تمثيلية، فلا يمكن الفصل بين أجزاء الجملة، لأنّها شديدة التماسك، والتداخل المُؤدى لمضمون متكامل للمعنى .

---

(١) أسرار البلاغة ١١١ .

(٢) سبق تعريفه ٤٠ فى جليس السوء من هذا البحث .

(٣) ينظر عمدة القارى ١ /٣٤٥، ٣٤٦ .

وبهذا التصوير الرائع من خلال التشبيه التمثيلى قرّب الرسول ﷺ المعنى فى أذهان السامعين؛ فأخرج المعقول فى زى المحسوس مما زاد المعنى جلالاً، وجمالاً، وهذه الصورة التمثيلية أعطت مشهداً تمثيلياً ، متكاملاً، متداخلاً .

***وهنا إيجازٌ بديع** حيث : « ضرب الرسولُ ﷺ المثلَ لأدنى أحوال الوقوع فى الشبهات، وهو الاقتراب من حدود الحرام، وترك ما هو أعلى من ذلك، لأنّ العاقل يدرك بداهةً أنّ التّحذير من الأدنى والأخف، يتضمن التّحذير من الأعلى والأشد »[1].**

وفى التعبير بقولهﷺ (كراعٍ يرعى) له دلالة رائعة ؛ حيث يُقدّم « استحضاراً للمشهد بوصفه يقترن بزمن المضارعة، ولاشك أنّ فساد القلب يُودى بالمؤمن، ويُوقعه فى المحارم، كما تزلّ قدما هذا الراعى، فيقتحم حمى الملك، ويستفزّ غضبه، فلابد أنْ يحتاط لنفسه، ويتورع، وذلك من باب سدّ الذّرائع »[2].

والمتأمل فى هذا الحديث يرى أنّ : حركة الراعى صورةٌ ذهنية تنقل الاضطراب النفسى لديه حيث « جسّم الراعى ..الخواطر القلبية فى التردد بين الإقدام والإحجام في سلوكٍ ما، وموقفٍ ما من مواقف الحياة،

([1]) روائع من أقوال الرسول ﷺ دراسات لغوية أ٠ عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى ٢٣٠ ، دار القلم ، ط ٦ ، ١٩٩٥ م

([2])([أ]) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٣٦٣ .

والصورة تتبدى حركة دائرية متكررة مُتقطعة عن حدوث مُغايرة، وتكاد تصل إليها، وكأنّ الإنسان يحوم حول دائرة الحرام، ويسير على مُحيطها، وهى مُنخفضةٌ عن مستوى الأرض » [١] **. ولذا، فقد جاء التّحذير لئلا يدخل المرء فى الحمى ، ويخوض فى حماه .**

وفى رواية مسلم (كالراعى) **تعريفاً له بـ(أل) ، وذلك تميزاً له عن غيره من الرُعاة بأنّه يرعى مواشيه .**

وفى رواية البخارى(كراعٍ) **حيثُ جاءت بالتنكير: دلالة على العموم والشمول، فيشمل كلّ راعٍ لأى شئ** [٢] **.**

وفى تعبيره ﷺ (يرعى) بالمضارعة: لإفادة التجدد والحدوث، أى أنّ الراعى هذه هى مهنته، وهو يزاولها .

وفى قوله ﷺ (يرعى حول الحمى) إيجازٌ بالحذف، حيثُ حُذف المفعول وتقديره: مواشيه، والغرض البلاغى: هو« توفير العناية على إثبات الفعل للفاعل »[٣]**. فتتجه الأذهان إليه، وأنّه القائم بالحدث .**

---

(٢)كما فى حديثه ﷺ« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». البخارى ، كتاب الجمعة، باب الجمعة فى القرى والمدن ٥/٢.

(٣) حذف المفعول : ينظر دلائل الإعجاز ١٥٦.

وفى قوله ﷺ (يوشك أنْ يُواقعه): حيث يُفيد: المقاربة[1]، وتوقع حدوث الوقوع فى الحمى، كما أنّ الجملة الفعلية تفيد : التجدد والحدوث، فيجب على المسلم أنْ يكون حذراً دائماً لئلا يقع فى المهالك.

و فى رواية مسلم وأخرى للبخارى قد عبّر ﷺ بـ(الرتع)[2] (يُوشك أنْ يرتع فيه)[3] فالتعبير هنا له دلالة عظيمة؛ حيث شبه من يتجرأ على المعاصى، والذّنوب فيخوض فيها بالرتع على سبيل الاستعارة التصريحية .

وتأمل تعبيره ﷺ (ألا وإنّ لكلّ ملكٍ حمىً)، حيث أتى بهذا التعبير مُستوحياً إياه من البيئة العربية، وبما هو مشهور لديها، ومستفتحاً إياه بأداة التنبيه(ألا) تأكيداً للخبر، فهذا مثلٌ ضربه ﷺ؛ لأنّ « مُلوك العرب كانت تحمى مراعى لمواشيها وتتوعد على من يقربها »[4].

وفى قوله ﷺ (لكلّ ملكٍ حمَىً) ففى إضافة كلمة (ملكٍ) إلى (لكل)؛ زيادة فى الاهتمام، وتربية للمهابة فى النفوس، وأتى بالمسند إليه (حمىً) نكرة، وذلك :تفخيماً له، وتعظيماً لشأنه .

وما زال الرسولُ ﷺ مُنبهاً السامعَ، وآخذاً بمجامع عقله وذهنه

---

(1)يوشك :من أفعال المقاربة . ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٣٢٣ .

(2) يَرْتَع حَوْل الحِمى يُوشِك أَن يُخالِطه أَي يَطُوفُ به ويَدُور حولَه . اللسان مادة(رتع) . .

(3) صحيح مسلم ، باب من أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ /١٢١٩ .

(4) عمدة القارى ١ / ٣٤٦.

ليستقبل الخبر بتيقن، فيتقرر معناه ويتأكد فى كيانه، فقال: (ألا وإنّ حمى الله فى أرضهِ محارمه) ففى العبارة: إيجاز بالقصر[١]، كما أنّ فيها: استعارة تصريحية[٢]، حيث شبّه: المُحرمات التى حرمها الله تعالى على عباده بالحمى الذى يحميه الملك فلا يقربه أحد، ولا يمّر بجوانبه، ومن خالف ذلك أرصد له العقاب، والنّكال، وذلك ؛ لأنّ ما حُرّم حمى لا يُرعى وما أحُلّ مرعىً لا يُحمى .

وفى إضافة الحمى إلى الله تعالى (حمى الله) إشعارٌ بهيبته ﷻ وارتفاع جلالته فوق ما يحمى المُلوك، لأنّ جلالهم نقطةٌ من جلاله، وسلطانِ قدرتهم منحةٌ منه ﷻ ، كما أنّ فيه إشارة إلى أهمية هذا الحمى، ولاسيما حمى الله تعالى .

وفى رواية مسلم بدون لفظ (أرضه) فى قوله ﷺ (ألا وإنّ حمى الله فى محارمه) فتعمّ المحارم حمى الله فى الكون كله .

وإضافة (المحارم) فى(محارمه) إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة (الله)؛ لأنّه حارسٌ للنفس بعد وسائل الإيقاظ، والتأكيد السابقة، يذُّعها عن مُقاربة تلك الحدود التى هى حماه . كما أنّ فى لفظ (المحارم)إبهام، وهو أسمى معانى البيان؛ لأنّه جمعَها، ولم يُوضح كنهها، وذلك لكثرتها، وعدم حصرها .

---

(١)إيجاز القصر: هو : بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف . / النكت للرمانى ٧٦ .

(٢) سبق تعريفها ٣٣ فى السبع الموبقات من هذا البحث .

وقال الشريف الرضى[١] **إنّ المراد بهذه الجملة هو « التّحذير من الإلمام بشئ من صغائر الذّنوب لئلا يكون ذلك مُجّرئاً على الوقوع فى كبائرها، والنّهوك فى مُعظمها، وهذه من أحسنْ الاستعارات عن هذا المعنى »**[٢] .

هذا، وقد جاء العطف فى قوله ﷺ (ألا وإنّ حمى الله فى...) على (ألا وإنّ لكل ملكٍ حمى) وذلك : لوجود التناسب بينهما من ناحية ذكر الحمى فيهما، فوصَل بين الجملتين لما بينهما من توسط بين الكمالين[٣] **، حيث اتفقت الجُملتان فى الخبرية لفظاً ومعنى .**

وقد وردت رواية بدون عطف فى قوله ﷺ (ألا إنّ حمى الله فى أرضهِ محارمُه)، حيث فُصل بين (حمى الله ، وحمى الملوك): وهما مُتفقتان خبراً ، ولكن لا مناسبة ، لُبعد المناسبة بين حِمى الله تعالى، وحمى المُلوك. لما بين الجملتين من كمال الانقطاع[٤]**. إذ هو ملكُ الملوك جميعاً .**

---

(١)الشريف الرضي هو:محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي: أشعر الطالبين، على كثرة المجيدين فيهم.مولده ووفاته في بغداد ت ٤٠٦ هـ ، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده...له كتب منها المجازات النبوية ، وتلخيص البيان عن مجاز القرآن . ينظر الأعلام ٦ / ٩٩ .

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضى ٨١ مطبعة الآداب (ب.ت) .

(٣)سبق تعريفه ٩ فى (الظن) هذا البحث .

(٤) كمال الانقطاع هو: أن تختلف الجملتان خبراً و إنشاءً ، لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً ، ينظر الإيضاح ١٥٤ .

يقول الإمام عبد القاهر[١] **: عن كمال الإنقطاع « وجملة سبيلها مع التى قبلها سبيل الاسم مع الاسم لايكون منه فى شئ فلا يكون إياه ولامُشاركاً له فى معنى ، بل هو شئ إنْ ذُكر لم يذكر إلا بأمرٍ ينفرد به ويكون ذكر الذى قبله وترك الذّكر سواء فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتّة »**[٢] .

***ثم نبّه الرسول ﷺ، وأكدّ على أنّ فى الجسد مُضغة بقوله (ألا وإنّ فى الجسد مُضغة)، وقد كررت (ألا) التى تفيد الاستفتاح، والتنبيه، واسمية الجملة، و(إن) وورود(إذا) الشرطية التى تفيد : تحقق وقوع الفعل، ويدل على أنّ الكلام مهمٌ ، وموضع العناية .**

وفى تعبيره ﷺ (ألا وإنّ فى الجسد مضغة) « وجود تناسب بينه وبين ما قبله؛ لأنّ الأصل فى الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب إذ هو عماد الأمر وملاكه »[٣].

وفى تقديم الرسولُ ﷺ الظرف (فى الجسد) على (مضغة) وذلك « لمُضاعفة الانتباه إلى هذا العضو العجيب فهو يدل على علو منزلته ليس غريباً ولا بعيداً منفصلاً ينشد خارج بناء الجسم »[٤].

وفى إطلاق (المُضغة): « إرادة تصغير القلب بالنسبة إلى باقى

---

(١) سبق تعريفه ٣٦ فى (المفلس) من هذا البحث .

(٢) دلائل الإعجاز ٢٤٣ .

(٣) عمدة القارى ١ / ٣٤٣.

(٤) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٢٠.

الجسد مع أنّ صلاح الجسد وفساده تابعان لـه »[1] ؛لأنّـه الرئيس الآمر، وعليه مدار صلاح الجسد، وفساده .

وفى تنكير الرسولُ ﷺ المُسند إليـه (مضغة) يكون للتقليـل؛ لأنّـها قطعـة صـغيرة مقارنـةً ببـاقى الجسد، ومـع ذلـك فهـى قطعـةٌ عظيمـة لهـا الأمر، والسُّلطة على الجسد كله .

ولـذا، أتـى النبـى ﷺ بالمساواة فـى قولـه (إذا صلُحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسدَ الجسد كله) هذا، بالإضافة إلى ما فيها من الطباق بـين (الصـلاح، الفسـاد) ومـن شـأنه : تقويـة المعنـى، وتأكيـده فـى ذهـن السامع، مما له عظيم الأثر للامتثال للأمر، وكذلك الجناس بين (صلحت، صلح) وبين (فسدت، فسد) أضفى على الأسلوب جمالاً، وروعة .

وآثـر الرسـولُ ﷺ تعبيـره بـ (إذا) بـدلاً مـن (إنْ) وذلـك لتحقيـق الوقـوع، ومـا زاد فـى ذلـك تعبيـره بالماضـى (صـلحت ، فسـدت)؛ لأنّ « السبب إنْ كان راجح الوقوع فى اعتقاد المتكلم، أتى بلفظة (إذا)، وإن كان مشكوكاً فيه، أو مرجُوحاً، أتى بلفظة (إن) »[2].

ومما ساعدَ على ترابط المعنـى، وزاد فـى بيـان الخطر لفظ الشمول: (كله)[3] يقول الإمام عبد القاهر: « إذا نظرت وجدتـه قد اجْتُلِبَ لأنْ

([1]) المرجع السابق ١ /٣٤٦ .

([2]) الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة محمد بن على الجرجانى ٥٧، ت: د٠ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٧ م .

([3])كل: تستعمل للدلالة على الشمول، وتضاف إلى ضمير المُؤكد . ينظر شرح ابن =

يُفيد الشمول فى الفعل الذى تسنده إلى الجملة أو تُوقعه بها »[١] .

كما أنّ فى هذا اللفظ (كلـه)إطناب[٢]، وذلك لتأكيد صلاح الجسد، أو فساده كليةً، ولدفع توهم غير المراد .

ومـن فوائـد الإطنـاب أنّ الكـلام « إذا أُلقى علـى سبيل الإجمـال تشوقت نفسُ السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا أُلقى تمكن فيها فضلَ تمكن، وكان شعورها به أتمّ ، أو لتكمُل اللذةُ بالعلم به»[٣].

وبعد هذا التسلسل فى الأفكار، صرّح الرسول ﷺ فى نهاية حديثه الشريف، ونبّه بأداة التنبيه (ألا)[٤] بقوله: (ألا وهى القلب) ومُعرفاً له بـ(أل) وذلك؛ لأنّ القلبَ هو الملكُ الآمر، والرئيس المُوجه، والمُحرك للبدن كله، ولكى ينأى المرءُ عن ظلال الشُّبهات، أو الخوض بجوار الحمى .

ولذا، سُمى القلب قلباً: لتقلبه بسرعة فى الأمور، وسرعة تردد الخواطر عليه، مصداقاً لقول الرسول ﷺ « إنّما سُمى القلب من تقلُبه»[٥].

عقيل ٣ / ٢٠٨ .

(١)دلائل الإعجاز ٢٧٨ .

(٢) سبق تعريفه ١٦ فى (الظلم) من هذا البحث .

(٣) شروح التلخيص ٣ /٢٠٩، المكتبة الأميرية ، بولاق، ١٣١٧ .

(٤) تعريف أداة التنبيه (ألا) ١٢٢ فى (أكبر) الكبائر من هذا البحث .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، باب حديث أبى موسى الأشعرى ٤ /٤٠٨ .

وفى الحديث الشريف حثٌ على إصلاح القلب، وطهارته ، وأنّ له أثراً طيباً على الفرد، وكيانه أمام نفسه ، وعلى المجتمع، وبُنيانه .

هذا بالإضافة إلى ما فى الحديث من دقة انتقاء الرسول ﷺ للألفاظ، والمُعبرة عن المعنى الذى يُريدهُ ﷺ .

• عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى، وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ» [١].

شرح الحديث

يُحذّر النّبى ﷺ من الفتن، ومن السّعى لها أو الخَوض فيها، والعزم عليها، واشتعال لهيبها، الأمرُ الذى يَجرّ المرء، والمجتمع إلى التيه فى شِعابها، والهلاك والدمار فى دُروبها، وعلى العقلاء أنْ يُخمدوا الفتن قبل اندلاعها، وصدقَ القائل :

أرى خللَ الرّماد وميضَ نارٍ ... ويوشُكُ أنْ يكونَ لها ضرامُ
فإنّ النّار بالزندينِ تُورى ... وإنّ الحربَ أولُها كلامُ
لئنْ يُطفهَا عقلاءُ قومٍ ... لكانَ وقودَها جُثثٌ وهامُ [٢]

التحليل البلاغى:

---

(١)صحيح البخارى،كتاب الفتن ، باب القاعد فيها خير من القائم ٦ /٢٥٩٤، و صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ ٤ /٢٢١١ .

(٢) الأبيات لـ: نصر بن سيار وهو شاعر أُموى . البيان والتبيين ، ٩٧/١ ، ت:فوزى عطيوى، ط١ ،١٩٦٨

بدأ النبىﷺ هديهُ الشريف بهذا الأسلوب الخبرى فى قوله (ستكون فتن)[1] مُضافاً إليه (السين) دلالة على الاستقبال، وفى رواية أخرى لمسلم (إنّها ستكون فتن) [2] أكدّ بـ(إنّ)؛لأنّ الخبر منَ الأمور المُستقبلية التى يجهلها المُتلقى مما يدعوه إلى التنبه إلى أهمية الخبر، وعِظم خُطورته .

وفى تنكيرهﷺ للمُسند إليه (فتنُ) وذلك للإطلاق والعموم: أى جميع الفتن فى المعاملات بين الناس، والتكالب على الدنيا، والانبهار بزخارفها، ومتاعها، والتنكير: يدل على عِظم شأن هذه الفتنة؛ فهى فى هولها، وعُنفها أكبر من أنْ تندرج تحت الخبر، والتعريف .

وقوله ﷺ(القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشى): أى أنّ شرَّ الفتن يكون بحسب التعلق بها . وهناك رواية لمسلم « تكون فتن النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها »[3] ، فأعلاهم فى ذلك الساعي في الفتن، بحيث يكون سبباً لإثارتها، ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشى ، ثمّ منْ يكون مباشراً لها وهو القائم، ثمّ منْ يكون مع النظر ولا يُقاتل وهو القاعد، ثم من يكون مُحسناً لها ولا يُباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان ثمّ منْ لا يقع منه شئ من ذلك ولكنّه راضٍ

---

(1) المراد من الفتن الاختبار والفتنة المحنة والفتنة المال والفتنة الأولاد والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس بالآراء . اللسان مادة(فتن) .

(2) صحيح مسلم، كتاب الفتن ، باب نزول الفتن ٤ / ٢٢١٢ .

(3) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن ٤ / ٢٢١١ .

وهو النائم .

والمراد من أفضلية الخيرية فى قوله ﷺ(القاعدُ فيها خير من القائم ، والقائم فيها خيرٌ من الماشى). **هو** « منْ يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور فى الحديث »[1]، فلأنْ المرء قاعداً دون الدخول فى الفتن خيرٌ له منْ أنْ يكون قائماً ، ولأنْ يكون ماشياً خيرُ له منْ أنْ يكون ساعياً .

وقوله ﷺ(القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشى) الضمير فيها يعود على الفتن، والفتن ليست محلاً للقعود، أو القيام، أو السعى، **وإنّما هى استعارة** ، حيث شُبه مباشرة المرء، وإثارته للفتن، ودخوله فيها بالتمكن من القعود، أو القيام، أو المشى، أو السعى، بجامع التمكن فى كلِ، ثم استعير(فيها)الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقى لتلبس مباشرة المرء، وإثارتها على سبيل الاستعارة التبعية فى الحرف(فيها) ، والقرينة هى دخول (فى)على الفتن.

والاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأنّها تدلّ على مدى انخراط، والتحام الإنسان بتلك الفتن، والسعى فى دروبها، وتُصور مدى اندراجه فى علاقاته بها من القعود، والقيام...وذلك فيه تجسيمٌ للفتن، و تهويلٌ لأمرها، وأنّها مرتعٌ للمفاسد .

والمتأمل فى هذه الجملة (القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم

([1])عمدة القارى ٢٠ / ٧٤

خير من الماشى، والماشى خيرٌ من الساعى) يجد المُطابقة المتكررة بين :القعود، والقيام، والمشى، والسّعى، فالتعبير بالمقابلة فيه: تحذيرٌ من الفتن، ودلالة على عِظمها، وخطرها، وفيه حثٌّ على تجنبها، والهرب منها، وعدم التشبث بأسبابها، وأنّ شرها، وفتنتها بمقدار التعلق بها .

ويظنّ المُتلقى لأول وهلة فى قول الرسول ﷺ (والماشى فيها خيرٌ من السّاعى) أنّ الماشى، والساعى معناهما مُترادف، لكنّ المُتأمل فيهما يجد أنّ: السّعى يدلّ على أنّ المرء حثيثٌ فى سيره، وحريص على أنْ يبلغ مراده، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقصَى المدِينَةِ يَسْعَى .. ﴾ [القصص ٢٠] ، أمّا المشى : ففيه تُؤده، وهواده مصداقاً لقوله تعالى﴿ فجاءتْهُ إِحدَاهُما تَمْشِي عَلَى استحياء ﴾ [القصص٢٥] .

وعن دلالة السعى قال الأصفهانى[1] « سعى: السّعى المشى السريع وهو دونَ العدْو ويُستعمل للجِدّ فى الأمر خيراً كانَ أو شراً، وقال تعالى :﴿ نُورهُم يسعَى بينَ أيدِيهم﴾ [التحريم :٨] وقال تعالى: ﴿وسعى فى خَرابِها﴾ [البقرة :١١٤] وقال: ﴿ويسْعَونَ فى الأرضِ

([1])الراغب الأصفهاني ٥٠٢ هـ هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي من كتبه محاضرات الأدباء ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة، و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) ، و المفردات في غريب القرآن . الأعلام ٢ / ٢٥٥ .

فسَاداً﴾ [المائدة :٦٤]، **وقال تعالى :﴿وأنْ ليس للإنسانِ إلّا ما سَعَى، وأنّ سعيَهُ سوفَ يُرى﴾** [النجم :٣٩]. وقال تعالى: **﴿وَسعى لهَا سعيْهَا فأولئكَ كانَ سعيُهمْ مشكُور﴾** [الإسراء:١٩] وقال أيضاً **﴿فلا كُفرانَ لسَعيِه﴾** [الأنبياء: ٩٤] ، وأكثر ما يستعمل السعى فى الأفعال المحمودة ...قال تعالى**﴿ فلمّا بلغَ معهُ السّعى﴾** [الصافات :١٠٢]»[١].

وفى قوله ﷺ (منْ تشرّف لها) [٢]على وزن (تفعّل) أى من يتعرض لها، ويتصدّر لها (تستشرفُه) تُهلكه .

فأسلوب الشرط (منْ تشّرف) يتحقق بمجرد الرؤية والإطلاع، والتّحذير يكون من مُجرد الرؤية ، فما بالك بما بعده ، والفرق واضحٌ، وجلىّ بين الشرط والجزاء أى : بين (إشراف الإنسان للفتنة) وبين (استشراف الفتنة له) فعمل الإنسان هنا يكون ابتدائياً أى: من تعرّض لهذه الفتنة بحاسة من الحواس، حتى ولو كانَ التّعرض مجرد الرؤية والإطلاع لها .

والجزاء يأتى حاملاً فى طيّه مجازاً فى قول الرسول ﷺ(تستشرفُه)

---

(١) ينظر مفردات ألفاظ القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ١ / ٤٧٨/ دار القلم ،دمشق .

(٢)تشرف: شرف: علا شرفاً من الأرض وعلواً، واستشرف الشئ : رفع رأسه ينظر إليه. ومن المجاز :شرفت عليه وهو على شرف من كذا إذا كان مشارفاً يقال فى الخير والشر . ينظر أساس البلاغة ٤٨٧/١ ، ٤٨٨ مادة (شرف) .

أى: إسناد الاستشراف للفتنة، حيث إنّ فى (استشراف الفتن) استعارة تمثيلية[1]، حيث : شبّه هيئة ظهور الفتن، وعرضها على قلوب البشر، ووضوحها فى رائعة النهار بهيئة منْ يُطلّ من أعلى فيعُمّ المكان بمرآه، فيتطلع على كل صغيرةٍ وكبيرة .

والجامعُ هو: الظهور والانتشار، والانجذاب فى كلّ .

وجمال الاستعارة فى أنّها تُسهم فى إثارة مزيد من التّصورات فى ذهن المُتلقى عن هذه الفتنة، وكُنهها، فهى ليست فتنة سلبية، بل هى فتنةٌ تتعرض لمنْ يتعرض لها .

كما تُوحى هذه الاستعارة (تستشرفه) : بقوة هذه الفتنة ، وأنّها فتنةٌ عاتية تتحدى من يستشرف لها (مجرد الرّؤية) فما بالك بمن خاض فيها ؟! لا تستشرفُ إنساناً إلا أذابته فى بحارها، ودوامَتها بحيث لا يجدُ خلاصاً منها .

فالاستعارة بلغت من الجمال مبلغاً؛ لأنّها أخرجت المعقول فى زى المحسوس، وذلك أثبت فى الفؤاد، وأوقع فى ذهن السامع، وأحرى لكل إنسانٍ أنْ ينأى بنفسه عن الفتن، أو يطرق أبوابها ، ويجب عليه أنْ ينتهج نهج النبى ﷺ، ويسير على دربه، ويترسم خطاه ﷺ .

([1])الاستعارة التمثيلية :هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه معناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه،أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرٍ أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهات فى جنس المشبهات بها مبالغة فى التشبيه بلفظها من تغيير بوجهٍ من الوجوه . الإيضاح ٣١٢ .

ومن أمثلة الفتن التى أخبر عنها الرسول ﷺ [ظُهور الكاسيات العاريات] [١].

ومن ضمن استشراف الفتن أنْ تُعرض على القلوب، وقد بيّن الرسول ﷺ أحوال الناس فى قبولها لها من عدمه [٢].

ولخطر هذه الفتن وعِظم هولها أتى النبى ﷺ بالنّجاة، والخلاص من هذه الفتن مُستخدماً أسلوب الشرط، والجزاء قائلاً (فمنْ وجدَ فيها ملجأً أو معاذاً فليعُذْ به) .

وفى رواية مسلم أسقط لفظ :(معاذاً)؛ وذلك للنأى عن هذه الفتن، والفرار منها .

وهناك روايات تُؤيد ذلك الملجأ، والمخرجُ من الفتن [١] .

---

(١) فـ« عن أم سلمة قالت: استيقظ النبىُ ﷺ ذات ليلة فقال سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فتح من الخزائن، أيقظوا صواحب الحجر، فربّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة » صحيح البخارى، باب العلم والعظة بالليل ١ / ٥٤ .

(٢)فقال ﷺ: « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » . صحيح مسلم ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين ١ / ١٢٨.

ففى الحديث: تحذيرٌ من الفتن من خلال سياقه، كما أنّ هذا الحديث من أعلام نبوءته ﷺ، فالفتنُ تحيطُ بالإنسان فى كلّ شئٍ منْ حوله، و تموجُ فى هذا العصر موجاً عاتياً، وتُطلّ برأسها تلتهمُ منْ يتعرض لها، فإذا تمكنت الفتن من الإنسان أثّرت على كيانهِ وحياتهِ، وعلى إنتاجهِ، وإسهامه فى نهضة المجتمع .

---

(١)فقال ﷺ «ألا إنها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: {إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد }، منْ قالَ به صدَق، ومنْ عمِل به أُجِر، ومنْ حكمَ به عدَل، ومنْ دعا إليه هُدى إلى صراطٍ مستقيم» . سنن الترمذي ، باب ماجاء في فضل القرآن ٥ / ١٧٢ .

• عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » [١] [٢] .

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يُخبر بأنّ كلّ أُمّته معافىً من ذنبه مستورً عليه إلا منْ يُجاهر بالمعصية مُفتخراً بذلك، فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : « لا تقوم السّاعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحدٌ لله فيه حاجة، وحتى تُوجد المرأة نهاراً جهاراً تُنكح وسط الطريق، لا يُنكر ذلك أحد، ولا يُغيره، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو نحيّتها عن الطّريق قليلاً فذاك فيهم مثل أبي بكر، وعمر فيكم » [٣] **!!** .

---

(١) صحيح البخارى ،كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه ٥ /٢٢٥٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزهد، باب النهى عن هتك الإنسان ستر نفسه ٤ /٢٢٧٥.

(٢)المجاهِرينَ : هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأَظهروها وكشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون به يقال جَهَرَ وأَجْهَرَ وجاهَرَ .

ينظر اللسان مادة(جهر ٤ / ١٤٩ .

(٣) المستدرك على الصحيحين،باب الفتن والملاحم: ٤ / ٥١٤، وقال عنه الحاكم:حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه..

وهذا الحديث من أعلام نبوّته ﷺ، حيثُ أخبر به من انْحلال الأخلاق، وفساد القيم[1].

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ هديه الشريف بلفظ (كلّ) لإفادة العموم والشمول، وتأكيداً لمُعافاة أُمّته ﷺ .

وحُذف الجار والمجرور (معافىً إلا) والتقدير: من ذنوبه، ومن كل ما اقترفت يداه، ومشت به خُطاه .

ثم أتى النبى ﷺ بأداة الاستثناء (إلا) للدلالة على أنّ هناك صنفاً مُستثنى من القاعدة ألا وهم (المجاهرون) بالمعصية والخارقون لستر الله تعالى عليهم .

وفى تعبيره ﷺ بـ(إنّ) فى قوله (وإنّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً) وفى رواية (المجانة) [1]. وفى رواية مسلم (وإنّ من

([1]) روى المنتصر بن عمارة بن أبى ذر الغفارى عن أبيه عن جده أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقتربَ الزّمان كثُر لبس الطّيالسة، وكثُرت التّجارة، وكثر المال، وعظُم ربّ المال بماله، وكثُرت الفاحشة، وكانت إمارة الصّبيان، و كثُر النساء، و جار السّلطان، وطُفف في المكيال ، والميزان، ويُربى الرجل جرو كلبٍ خيرٌ له منْ أنْ يُربى ولداً له، ولا يُوقر كبير، ولا يُرحم صغير، ويكثر أولاد الزّنا، حتى إنّ الرجل ليغشى المرأةَ على قارعة الطّريق فيقول أمثلهم في ذلك الزّمان: لو اعتزلتما عن الطّريق، ويلبسون جُلود الضأن على قلُوب الذّئاب أمثلهم فى ذلك الزمان المُداهن" . المصدر السابق، باب محنة أبى ذر رضي الله عنه ٣ / ٣٨٦.

الإجهار) وذلك: اهتماماً بالخبر وتنزيلاً للمُخاطبين منزلة المنكرين لما بدا عليهم من بوادر الاستهانة بالفعل، وعدم إدراك خطرِه .

وبين هذه الجملة (وإنّ من المجاهرة أن يعمل) وقوله ﷺ(كلُّ أمتى معافى) وصلٌ، حيث: اتفقتا فى الخبر لما بينهما من التوسط بين الكمالين ، مع وجود المناسبة وعدم المانع. فالمُناسبة ظاهرة وهى: التضاد المعنوى .

وفى تعبير الرسول ﷺ بـ (أنْ) المصدرية، والمضارع (يعمل)أبلغ من(عمل)؛ لأنّ المصدر المؤول كصورة الفعل المضارع التى تستحضر صورة الفعل، وتجدده، واستمراره، والمراد بالعمل فى قوله ﷺ (عملاً): المعصية، ودلَّ على ذلك فحوى الحديث .

وفى تنكيره ﷺ للمفعول[٢](عملاً)؛ لنوعية هذا العمل، أى أىّ عملٍ مُنكرٍ وفاحش، دلّ على كثرتهِ الفعلية ، وتنبيهاً على انحطاط هذا العمل .

والسّر البلاغى فى التنكير: يُعطى الروح انجذاباً، ويأخذ بأقطار النفس لاكتشاف هذا المحذوف، فتتوجس منه خيفة، وتترقب نوع هذا العمل غير المُعافى صاحبه .

([١]) الماجِنُ من الرجال الذى لا يبُالى بما قال ولا ما قيل له .اللسان مادة(مجن) ، ومجن الشئ: صلب، ومنه الماجن لصلابة وجهه ، أساس البلاغة ٢ /٣٦٨ .

([٢])ينظر: الإيضاح ٥٣، و من بلاغة النظم القرآنى دراسة وتحليل لمسائل علم المعانى د٠ عبد العزيز عرفة ١ /١٧٣، ط ١٩٨١م

وقدّم الرسول ﷺ الجار والمجرور[1] المُسند (بالليل)؛ لتخصيصه بالمسند إليه .

كما أنّ تقييده ﷺ الفعل بالظرف (الليل) يُوحى: بارتكاب هذا العاصى للإثم؛ لأنّ الليل إذا مدّ سِتارَه فذلك أدعى للبوح، وللإقدام على ما يجول فى ضميره من معاصى، لما فيه من هُدوء العين، وخفةُ القدم.

وفى تعبير الرسول ﷺ (عملتُ البارحة كذا وكذا) أى يصف ما فعلهُ بالضبط، وفى الجملة « كناية عن موصوف هو العدد على سبيل الإبهام»[2]. بذكره ما ستره الله عليه من فعله القبيح الذى ارتكبه، وذنبه الذى اقترفه .فالكناية بلغت مبلغاً من الجمال؛ وذلك لعدم ذكر ما يُستهجن والتصريح به، فالمعنى عُلم عن طريق العقل، وهذا من جمالها .

وجاء قول المجاهر (عملتُ البارحة) بصيغة الماضى التى تُفيد تحقق الفعل .

ولفظ (البارحة) يُؤكد حُدوث الفعل فى أقرب ليلة للقائل وهو- ينعمُ فى ستر الله تعالى-لم يُؤخذ بذنبه، فهو يهتك ستر الله تعالى له ؛ فيمُدّ يده للحرام تحت سِتار الليل .

---

(1) تقديم بعض المعمولات على بعض الإيضاح ١٠٤

(2) شرح المفصل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتحمير /صدر الأفاضل الخوارزمى ٣٠٣ .

وحكايةُ الرسول ﷺ لنداء المُجاهر وفعله (يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ...) تحكى بشاعة فعل هذا المجاهر، وانحلال أخلاقه، وإصراره على ذنبه بعد ستر الله تعالى له، إعلاناً لفحشه، وحُمقه، وتصويراً لهيئة المُجاهر حال نزعِه لسِتر اللهِ عليه، وإظهارهِ للمعصية، وتحذيراً، وتنفيراً من الإقدام على مثل فعله، أو مُحاكاته .

وفى تعبيره ﷺ (ثم يصبح وقد ستره الله .. وقد بات يستره ربه) وفى رواية مسلم زاد (فيبيتُ يستره ربه) دلالة على: سُبوغ ستر الله تعالى لعباده ليلاً ونهاراً، حتى العُصاة .

وحرف العطف (ثم)[١] يُشير إلى فترة زمنية قضاها هذا المُجاهر بالمعصية ينعمُ بستر الله تعالى عليه، وهو لا يستترُ بِستر الله له .

وفى تعبيره ﷺ بقوله (وقد سترهُ الله) الواو للحالية[٢]، و(قد)[٣] حرف تحقيق : يفيد تأكيد ستر الله لهذا المُجاهر، ويُبين قُبح فعله .

---

(١) ثم للترتيب بانفصال أى بمهلة وتراخ . حاشية الصبان ٣/ ٩٣ .

(٢) تسمى واو الحال وواو الابتداء وعلامتها صحة وقوع إذ موقعها . شرح ابن عقيل ٢ / ٢٧٨.

(٣) قد : تُفيد التحقيق نحو (قد أفلح من زكاها) . مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لـ/جمال الدين بن هشام الأنصاري، ١ / ٢٣١ ، ت : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ،ط٦، ١٩٨٥ . ومعنى أى : تحقيق وقوع الفعل أو تقريبه أوتوقعه . ينظر أسرار النحو فى ضوء أساليب القرآن د٠محمد يسرى زعير، ٣ /٣٧٨ ، ط١٩٩٧.

وما أجمل تعبيره ﷺ بلفظ (رب) مُضافة إلى الضمير فى(ربّه)، للدلالة على التربية والحفظ والرعاية، ومجئ الفعل (بات) مقروناً بـ(قد) يفيد أنّ الله تعالى ستَره تفضلاً منه تعالى .

وفى الحديث: مُقابلة[1] بين (بات، ويصبح) (يستر، ويكشف) مما زاد المعنى حُسناً وجمالاً، وتأكيداً فى ذهن السامع، وهذا أحرى لإتباع هدى النبي ﷺ .

كما أنّ المقابلة بيّنت مدى جرأة هذا المُجاهر الذى كسا الله تعالى خطأه ثوبَ السّتر نعمةً منه، فإذا به ينزع هذا السِّتر، ويمشى مُتباهياً بمعصيته، مُستخفاً بحق الله ﷻ ورسوله .

وفى تكرار النبى ﷺ للفظ الجلالة(الله) فى قوله (وقد ستره الله، ويكشف ستر الله)، مما يدل على الجلالة، والهيبة التى تكشف عن مدى جُرأة هذا المجاهر. فانظر على من تجرّأ!! .

([1])المقابلة : هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافق ثم يؤتى بما يقابلها أو ما يقابلها على الترتيب . الإيضاح ١٩٢ ، ووشى الربيع بألوان البديع فى ضوء الأساليب العربية د. عائشة فريد، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

والمقابلة : أكثر ما تجئ فى الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين فهو مقابلة . ينظر العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده :لأبى على الحسن ابن رشيق القيروانى ٢ /١٥ ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، لبنان (ب.ت) .

فالمجاهرُ هنا: يتعدى خطرُه، ومعصيته إلى غيره، ويُسئ إلى مُجتمعه، ينشر الرذائل، ويسعى فى الأرض فساداً، ويُصبح قدوةً فى الشّر لغيره، لذا استحق عدم العفو عنه.

وقد كان على هذا المُجاهر أنْ يرجعَ إلى الله ﷻ ، ويكون لسانُ حالهِ :

إذا ما خلوتَ الدّهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكنْ قلْ علىّ رقيبُ
ولا تحسبنّ اللّهَ يغفل ساعةً ولاَ أنّ ما تُخفيه عنهُ يغيبُ
فيا ليتَ اللّهَ يغفرُ ما مضىَ ويأذنُ فى توبتِنا فنتوبُ[1]

([1]) ديوان أبى العتاهية ٣٤ ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٠ م .

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ، مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** »[1].

شرح الحديث

الرسولُ ﷺ بيّن نوعين منْ أهل النار ووصفهما بغرض التّحذير من التّلبس بأفعالهما، والتّنفير منهما، أحدهما: قومٌ معهم سياطٌ يضربون بها الناس، وهؤلاء أتباع الظلمة، ثانيهما: نساءٌ متبرجات سافرات، ولا يستترنَ بسترِ الله لهنّ .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ هديهُ الشريف بأسلوبٍ خبرى خالٍ من المُؤكدات؛ لأنّ المقام لخالى الذّهن، والخبر من الأمور المستقبلية، لأنّه إذا « كانَ المُخاطب خالى الذهن من الحكم، والتردد فيه استُغنى عن مُؤكدات الحكم فى الذهن حيث، وجده خالياً »[2].

([1]) صحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيم أهلها، باب النار يدخلها الجبارون ٤/ ٢١٩١.

([2]) مختصر سعد الدين على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ١ /٢٠٣.

واستخدم الرسول ﷺ أسلوب التوشيع[١] فى (صنفان من لم أرهما) وسرّ بلاغته أنّه يُمهد النفوس لاستقبال المعنى بذهنٍ وعقل يقظ، وقلبٍ وجِل مما يجعل الخبر يقع فى النفس موقعاً مؤثراً.

وقوله ﷺ (صنفان) مُثنى نكرة مُوصوف بما بعده، ولذا سُوّغ الابتداء به، حيث حصل « بالنكرة الموصوفة بالإخبار بها فائدة الاختصاص »[٢]، وهذا التنكير نوعٌ من الإبهام يجعل النفس تشرأب إلى معرفته. وأيضاً مجيئه مثنى يزيد هذا الاستشراف، و الإشرآب لتفصيل هذا المثنى المُجمل فى قوله (صنفان) مما يجعل المعنى يتمكن من الذهن.

والمتأمل فى هذا المعنى(صنفان) ، يجد أنّ الإشعار بالمعنى إجمالاً يقتضى التشويق له، و« الشئ إذا جاء بعد التشويق إليه يقع فى النفس موقعاً عظيماً؛ لأنّ الذى يحصل بعد طلبٍ أعزّ من الأمر المُنساق بلا تعب »[٣] .

---

(١)التوشيع: يدخل فى الإيضاح بعد الإبهام من أنواع الإطناب وهو : أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر . الإيضاح ١٩٧، "وقد يأتى فى أول الكلام وفى وسطه، وقد يكون فى الجمع" . ينظر بغية الإيضاح ٢ /١١٨.

(٢) ينظر شرح المفصل للعلامة ابن يعيش ١ /٨٦ ، عالم الكتب، بيروت .

(٣) مختصر السعد ضمن شرح التلخيص ٣ / ٢١٠ .

وجاء الاحتراس فى قوله ﷺ (لم أرهما) بعد قوله (صنفان..)، حيث أفاد تنزيهَ مُجتمع الصّحابة الكرام منْ هذين الصنفين، وفيه إشارة إلى أنْ هذين الصنفين لا وجودَ لهما فى مُجتمع الصالحين .

كما أنّ فى الجملة إشارة إلى معجزة من معجزات النبوة، فالحديث من أعلام نبوته ﷺ بأشياء لم يرهاَ، وتحققت فى يومنا هذا .

يقول النووى[1]: هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به ﷺ فأمّا أصحاب السياط فهم غلمانُ والى الشرطة، وهو إشارة إلى ما سيقع بعده من الظلم، وأمّا الصنف الثانى فهنّ نساءٌ تحلّلن منْ دينهنّ، واتبعنْ شهواتهنّ فأغواهنّ الشيطان، وجعلهنّ حبائل له يغوَى به الناس، وتوعد هذين الصنفين بأنّهم لا يدخلون الجنة، بل إنّهم من أهل النار »[2].

وفى قوله ﷺ (قوم معهم سياط كأذناب البقر) تشبيهٌ رائع، حيث شبه آلة التعذيب(السّياط) فى أيدى أعوان الظلمة بـ (أذناب البقر) ووجه الشبه: الطول، والليونة، والحدة فى كلّ، مما يجعل السياط أشدّ لذعاً، وأكثر ألماً .

---

(1) سبق تعريفه ٤٩ فى (كثرة الفساد)من هذا البحث .

(٢) ينظر شرح النووى على صحيح مسلم ١٧ /١٩٠.

وهذا التشبيه فيه إشارة: إلى مبالغة هؤلاء الظالمين فى اختيار أداة التعذيب؛ لأنّ المُشبه به(أذناب البقر) يتسم بالليونة التى تجعلها مرِنة، فيكون وقعها أشد ألماً، وتتميز بالطول مما يجعلها تنال أكبر قدرٍ من جسم المضرُوب، والحدة فتؤثر فى جسم المضرُوب .

هذا، و« الحديث يقدم لوحةً تلتقط جزئيات قبيحة تشكل العناصر اللازمة، فمنْ سلوك الظالم اتخذت صفة الضرب، والظلم قبيح قبحاً مطلقاً، ومع هذا فإنّه يربط بأذناب البقر أى بحيوانية دنيئة، وذلك لوجود الذنب خلف البقرة، ولقُربه من مكان التبرز، هذه البشاعة الشكلية، إيماءة إلى انحطاط إنسانية الظالم ودنيته » [١].

هذا، وقد فُصلت جملة (قوم معهم سياط) عن (صنفان) وذلك لكمال الاتصال لوقوع الثانية من الأولى منزلة البيان، حيث أزالت إبهام النكرة الموصوفة، بما بعدها.

و فى قوله ﷺ (نساءٌ كاسيات عاريات جاء الطباق بين (كاسيات) و(عاريات) كى يُقوى المعنى المراد، ويُوضحه، ويُبين التناقض بين الغاية والقصد من لبس الثوب (السّتر)، وبين ما يفعله هؤلاء النسوة من تعمّد التبرج، وإظهار الزينة، ونشر الفتن، والرذائل، فثيابهنّ تكشف أكثر مما تستر !! .

([١]) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٧٢٢.

وفى قولهﷺ(كاسيات عاريات) سجع مطبوع[1] ، ونوعه الترصيع[2] ، حيثُ أحدثَ نغمةً رائعة يطرق لها الأسماع، وتجد النفسُ بها كلفاً، ولها شغفاً، هذا علاوة على ما فيها من الانسجام، والتناسب، بالإضافة إلى سهولة حفظ هذه الصفات حتى يُحذّر كلّ جيلٍ من الأجيال منْ يأتى بعده .

والمتأمل فى جناس الاشتقاق[3] فى قولهﷺ(مُميلات، مَائلات مائلة) يجد أنّها مُشتقة من الميلِ، وهذا يُلقى ظلاً على تصرف هؤلاء النسوة بأنّه « ميلٌ عن الحق وانصرافٌ عن جادة الفطرة »[4]. وفى الجناس تناسق بديع يُحقق اليقظة، ويجذب الأسماع، ويُحقق القبول فى النفس، ويُمكِّن للمعنى، ويضمن له الذيوع، والانتشار .

وأيضا فقد جاء التشبيه فى قول النبى ﷺ (نساءٌ كاسيات عاريات مائلاتٌ مُميلات رؤوسهنّ كأسنمة البُخت المائلة) [5] ، حيث شبّه النبىﷺ

---

(1)سبق تعريفه ٩ فى (الظن) من هذا البحث . .

(2) الترصيع :هو مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد . خزانة الأدب ٢ / ٤٠٩ .

(3)سبق تعريفه ١٢ فى (الظلم) من هذا البحث .

(4) التصوير الفنى فى الحديث النبوى ١٨٠ .

(5) البختية: الأنثى من الجمال البُخت، والذكر بختىّ، وهى جمال طول الأعناق، وتجمع على بخت وبخاتى، واللفظة معربة . النهاية فى غريب الأثر :مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجوزى ابن الأثير ١/ ١٠١، ت :طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحى، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان (ب.ت) .

(رءوس النسوة المائلات) [١] بـ(أسنمة البُخت) المائلة، فهو تشبيه مطلق بمقيد، لأنّ المشبه به (أسنمة البخت) مقيدٌ بصفة (المائلة)، ووجه الشبه: الارتفاع مع التمايل والتبختر .

والمرادُ « بالتشبيه بأسنمة البخت إنّما هو الارتفاع الشديد فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يصغرونها حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام ، فتشبه أسنمة الإبل البُخت » [٢] .

وفى تعبيره ﷺ بـ(المائلة) فى قوله (كأسنمةِ البُختِ المائلة)؛ لأنّ (المائلة) صفةٌ للسنام المضافة للبخت، أى: مال سنمها من ترهل اللحم، وأثر السّمنة، وهو إيغال فى الانحراف إلى إحدى الجهات ومفارقة الاستقامة، ومُيبيناً صفة الاعوجاج فى جانب المشبه به، وتأكيدها فى المشبه .

وفى عبارة النبى ﷺ « براعة فى التشبيه، فالسنامُ أعلى شئ فى البخت، وكذلك الشعر المرفوع أعلى شئ فى المرأة »[٣]. هذا بالإضافة إلى أنّ الحركة التى يُصورِّها التشبيه هذه مقصودة منه؛ حيثُ تُوحى بأنّ

---

(١) وذلك: برفع شعرهنّ فق الرءوس فتصير فى هيئة السنم ثم تميلُ مُتبخترة مزهوة بنفسها قيصبحن مائلات ومميلات لمن يراهنّ، فميل نحوهنّ فينحرف الجميع إلى الرذيلة .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٧ /١٩١.

(٣) التصوير الفنى فى الحديث النبوى د ٠ محمد الصباغ ١٨٠ .

التمايل اللّين فى أسنمة الإبل البُخت يُصوّر التمايل الحادث من طريقة رفع الشعر إلى وسط الرأس، وتدلّيه مما يُؤدى إلى تمايله مع أقلّ حركة، ولذا تميل النفوس الضعيفة إليه مع أقل نظرة !! .

ولذا جاء تصوير النبى ﷺ يحكى أدق التفاصيل، يقول الإمام عبد القاهر[1]:« واعلم أن مما يزاد به التشبيه دقة، وسحراً أنه يجئ فى الهيئات التى تقع عليها الحركات » [2] .

والحديثُ هنا يُقدم لوحة فنية حيث إنّ « ضخم التشوه فى تصوير النساء، وقد تربع فوق كائن ضخم، وهو بحجم سنام الجمل فوق قاعدة، ترتج وتتقلقل وتتذبذب وقد آلت صورة النساء إلى لقطةٍ مكبرة تملأ الأبصار وتحتويها لكونها حركة تشد الانتباه لغرابتها، وأيضاً مشهد الجسد وقبح منظره فى إغواء الناس، واستفزاز الغرائز المريضة » [3].

هذا، وقد « أثبتت البحوث العلمية أنّ تبرج المرأة وعُريها يُعد وبالاً عليها، حيث أشارت الإحصائيات الحالية إلى انتشار مرض السرطان الخبيث فى الأجزاء العارية من أجسام النساء، ولاسيما الفتيات اللاتى يلبسن الملابس القصيرة » [4] .

([1])سبق تعريفه ٣٦ من هذا البحث .

([2]) أسرار البلاغة ١٥٧ .

([3])الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٧٢٢. .

([4]) الإعجاز العلمى فى الإسلام السنة النبوية :محمد كامل عبد الصمد ١١٩ ، الديار المصرية، ط٢ ، ١٩٩٣

وجاء النفى فى قوله ﷺ (لا يدخلن الجنة)، حيثُ نفى عنهم دخول الجنة .

وفى قوله ﷺ (ولا يجدنْ ريحها) تتميمٌ، أفاد حرمانهم من كلّ خير، وأكّد عدم دخولهم الجنة (أنهم لا يجدون ريحها) مبالغة فى تأكيد حرمانهم .

وفى قوله ﷺ (وإنّ ريحها لتُوجد ...) حيث أكّد الرسولُ ﷺ الجملة بـ(إنّ) مع اسمية الجملة، و(اللام) وهذه المؤكدات ليست لإنكار المخاطبين، أو شكهم، وإنّما لانفعال النبي ﷺ بالموقف، وعنايته بالأمر لشدة خطرهِ رغبةً منه فى نقل هذا الشعور إلى المخاطبين لإثارة انتباههم، وتحقيق يقظتهم تجاه منْ فعل هذه المُحذّرات من بُعد عن (دخول الجنة) .

كما أنّ هذه المُؤكدات تدفع الاستهانة بالتعدى على الآخرين، وظُلمهم مباشرة كالضرب بالسياط من (اتباع الظلمة)، أوغير مُباشر كالتبرج والسفورمن(النساء السافرات)؛ فذو الرغبات الجامحة تُجلد بغدائر الحِسناوات السافرات . فما أبشع هذا الظلم !! .

وقوله ﷺ (وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة كذا) إيغالٌ فى صفة إبعادهم وحرمانهم من الجنة، ومن كل خير.

كما أنّ فى عبارتهِ ﷺ (وإنّ ريحها) إشارة إلى عِظم الفضل الذى حُرموا منه، ونبّهت إلى فداحةِ الخُسارة، وأعطت الحرمان المفهوم من

قولـهﷺ (ولا يجـدن ريحهـا) أبعـاداً نفسـية تتوغـل فـى وجـدان المُتلقـى بمضمون المعنى المراد من شدة خُسران، وبُعدٍ عن كل خير .

والكنايـة فى قولـه ﷺ (... مسيرة كذا وكذا) [1] كنايـة عن صفة : طـول المسـافة التـى ينبعث فيهـا عبـق الجنـة، وفيهـا إشـارة إلـى: توغُـل الصنفين فى تباعدهم عن الجنّة .

أو تكون الجملة كناية عن صفة: قُرب المسافة–على سبيل التحسر للصنفين– ففى إخفاء المسافة زيادةُ تحسّرٍ وألمٍ لهما .

كما أنّ فيها إشارة إلى:عظَمة ما أعدّ الله لعباده الصالحين فى الجنة.

وفـى الحـديث حيزٌ فضـائى كـونى كـالأعوام (مسيرة كـذا وكـذا)، حيث إنّ« المسافات شاسعة تمتد فيها الرائحة الزكية، والفراغ الذى يملؤه هذه الرائحة غير محدود، وذلك لأنّ مقياس المسير متفاوت بين إنسانٍ وآخر، أو بين وسيلةٍ وأخرى، ثم إنّها رائحة تتشرف إليها القلوب، أُجملت فيها روائح طيبة للثمار والأشجار، والمشروبات » [2].

ففى هـذا الحـديث الشـريف يُحـذّر الرسـول ﷺ مـن التّـبرج والسّفور واتباع الظلمة حفاظاً على المجتمع، وطهارته، وحرصاً من

([1]) مسيرة :هى: المسافة التي يسار فيها من الأَرض كالمَنْزِلَةِ والمَتْهَمَةِ أَو هو مصدر بمعنى السَّيْرِ كالمَعِيشَةِ والمَعْجِزَةِ من العَيْشِ والعَجْزِ . ينظر اللسان مادة (سير) .

([2]) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٥١٣ .

النبى ﷺ على التبليغ، وتحذيراً لكل الأجيال عبر الزّمان والمكان منْ مغبةِ التردى فى المُهلكات، مما يحمى المُجتمعات المُسلمة من خطرها .

هذا بالإضافة إلى مافى هذا الهدى الشريف من دقةٍ فى تشبيه النبى ﷺ وحُسن اختياره للألفاظ المُعبرة عن المعنى المراد .

تحذيره ﷺ من شر الناس

• عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ . فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِىُّ ﷺ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِى فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ " (١).

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يُعلّم البشرية، فيهديَها طريقةً مُثلى فى معاملة الآخرين، وهى: لينُ الجانب، والملاطفة، والبشاشة مع الناس جميعاً، حتى ولو كان الآخر هذا فاحشاً، غليظ القول، جاف الطبيعة، مما يحمله على الانْصياع والخُضوع، والحدّ من فُحشه. هذا، فضلاً على حرصهﷺ على أُمّته، ورحمته بها، وعلى هداية البشر، وألا يكون المرءُ عند اللهﷻ فى منزلةٍ سيئة لفحشه .

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متُفحشاً ٥ / ٢٢٤٤ ، و صحيح مسلم ،كتاب الأدب، باب مداراة من يتقى فحشه ٤ / ٢٠٠٢ .

التحليل البلاغى:

صدّر النبىُ ﷺ هديه الشريف بهذا الأسلوب الإنشائى غير الطلبى فى قوله (بئس)، والمراد به: الذم، حيث قدّم المُسند؛ وذلك لتخصيصه بالمسند إليه[١]، وللتّحذير من هذا الرجل ، وللتنبيه على عدم الاغترار به .

و(أخو العشيرة)[٢]: كناية عن صفة وهى ملازمتها له، أو يحتمل أنْ يكون مجاز مرسل، علاقته الجزئية .

وتأمل المقابلة المعنوية فى قوله ﷺ (بئس أخو العشيرة) وبين (طلاقة وجهه وانبساطه) إلى عُيينه[٣] . ولا تناقض بين قوله ﷺ وفعله؛ لأنّ موقف الذّم (بئس) يُبين حقيقة عُيينه الذى عُرف بضعفِ الإيمان، فكان لزاماً عليه ﷺ أنْ يُبين ذلك ويُفصح عنه ويعرّف الناس بأمره من باب النصيحة حتى لا يغتروا به، أو يقتدوا بفعله.

---

(١) من أغراض تقديم المسند تخصيصه بالمسند إليه ، الإيضاح ١٠٤ ، والبلاغة فنونها وأفنانها :د٠ فضل حسن عباس ٢٢٩، دار الفرقان، ط٢ ، ١٩٨٩م.

(٢) أخو العشيرة عَشِيرَة الرجل بنو أَبيه الأَدْنَونَ وقيل هم القبيلة والجمع عَشَائر . اللسان مادة (عشْر).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر كنيته أبو مالك الفزاري وقد قيل كنيته أبو عبد الله كانت منه هنة في أيام أبى بكر ثم أصلحها الله ومات في آخر خلافة عثمان . الثقات محمد بن حبان ٣ / ٣١٢، ت : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر،ط١ ، ١٩٧٥.

أيضاً ترى هنا أنّ « النبى ﷺ بذلَ له من دنياه حُسن عشرته، والرفق فى مكالمته، **فلم يُناقض قوله فيه فعله، فإنّ قوله فيه قولٌ حق، وفعلهِ معه حُسن عِشرة** » [1].

وتأمل بلاغته ﷺ النفسية فى لين الجانب لـ(عُيينه) وذلك بما جُلب عليه ﷺ من حُسن الخُلق، فأظهر له البشاشة، وذلك ليقتدى الناس به فى اتقاء منْ هذا سبيله، وقد أراد ﷺ تأليفه حتى يُؤثّر على قومه، ويدعوهم إلى الإسلام، لأنّه كانَ صاحب كلمة فيهم .

ولاتناقض فى هذا الحديث، وبين قوله ﷺ (تجد من شرار الناس ذا الوجهين)؛ لأنّ دلالة الحديث : هو الذى يأتى كل طائفة بما يرضيها، فهى المُداهنة المُحرّمة .

وتأمل تعجب السيدة عائشة ﷺ من قول النبى ﷺ (حين رأيتَ الرجلَ قلتَ كذا وكذا، ثم تطلّقتَ فى وجهه)، لمَا رأتْ من مُخالفة (فعل) الرسول ﷺ مع الرجل (قوله فيه) فى الظاهر، فكان هذا التعجب والاستغراب من السيدة عائشة أمارةَ التردد .

لذا أجابها النبىُ ﷺ وأزال ترددها، فطمْئن قلبها، وأزال حَيرتها، ونزع الشّك من قلبها، كى يأخذ الجوابَ من فهمها وتنطقَ به، فناداها ﷺ (يا

([1]) عمدة القارى ١٨ / ٢١٨ . كما أنّه ﷺ « أبقاهُ على التجريح عند السامع، ثمّ تفضّل عليه بحُسن اللقاء والترحيب لما كانَ يلزمُه ﷺ من الاستئلاف، وكان يلزمه التعريف لخاصته بأهل التخليط، والتهمة بالنفاق » . المصدر السابق ٢٠ /١٤٥ .

عائشة) بـ(ياء النداء)[١] التى للبعيد، والسيدة عائشةﷺ قريبةٌ منه ﷺ، وذلك: للتنبيه على عِظم الأمر المدعو إليه، وعُلو شأنه .

فقد يَسْتَعْمِلُ البليغ أدوات النداء الَّتي للبعيد فينادي بها القريب، وذلك من أجل أنّ المُنَادى رفيع المنزلة عالى المقام، فاللاّئق به أنْ يُنَادَى بأدوات النداء التى للبعيد .

وفى **رواية أخرى للبخارى** (أى عائشة) حيث أتى هنا بالنداء للقريب (أى) حيث ناداها نداء محبةٍ وتلطف، ومُصرحاً باسمها (عائشة) تودداً وتلطفاً منهﷺ .

وأجابها الرسولُ ﷺ إجابةً بلغت المدى فى الفصاحة بقوله(يا عائشة متى عهدتنى فَحّاشاً؟)على سبيل الاستفهام الإنكارى، **وإنّما فعل ﷺ** ذلك من باب التّحذير من فِعال هذا الرجل فـ« استعمال الاستفهام فى الإنكار إمّا كناية أو إنّه من مستتبعات الكلام »[٢].

فالاستفهام الإنكارى جاء لنفي أنْ يكون هنا وقعٌ للحدث(الفحش، أو وجوده أصلاً)؛ لأنّه « لمّا كانَ الأصلُ فى اسم الفاعل واسم المفعول إطلاقهما على ما تحقق فيه الحدث إمّا حالاً اتفاقاً، أو ماضياً » [٣] .

---

(١)من حروف النداء يا، وهى:للبعيد ينظر شرح ابن عقيل ٣ / ٢٥٥

(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٢ /٢٩٥، ٢٩٦، المكتبة الأميرية، بولاق، ط١ ١٣١٧هـ .

(٣) مواهب الفتاح ضمن ضمن شروح التلخيص ٤٨٦/١ .

ففى قوله ﷺ:(**متى عهدتنى فحاشاً**) **وفى رواية**(**متى عهدتنى فاحشاً**) بإطلاق اسم الفاعل،

أمّا(**فحّاشاً**) صيغة المبالغة، تُوحى بأنّ هناك (فُحش) **ولكنْ لمّا جاء الاستفهام الإنكارى فى الروايتين: نفى الفُحش قليله وكثيره. أى: نفىَ المُبالغة وأصلها** .

وجاءت الكناية فى قول السيدة عائشة ﷺ (حين رأيتَ الرجلَ قلتَ كذا وكذا) والكناية: تفيد الذّم لهذا الرجل، حيثُ كَنّت السيدةُ عائشةﷺ عمّا قالهُ النبى ﷺ مما يُفيد ذمّ الرّجل، ولمْ تُصرّح به تلطفاً وأدباً من إسناد ذلكَ لرسول الله ﷺ .

ثم أتبع النبى ﷺ بهذا الإطناب فى قوله (إنّ شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة منْ تركه الناس اتقاء شره) . **وفى رواية أخرى للبخارى** (**اتقاء فُحشه**) حيث تفيد: شموله لأنواع الشرور، والآثام، والخُلق السيئ .

ففى الجملة استئناف بيانى، حيث فُصل بين الجملتين، لمَا بينهما من: شبه كمال الاتصال مما يفيد عموم قطع المعنى .

وأكّد النبى ﷺ الجملة بـ(إنّ) مع اسمية الجملة(شر الناس)؛ للعناية والاهتمام بالخبر، ولما بدا على السيدة عائشة من التعجب والاستغراب، وفيه وعيدٌ شديد لكلّ جافى الطبع سليط اللسان، وفيه دعوةٌ صريحة إلى الحذَر من شرورهم، والدعوة إلى ملاينتهم .

وإضافة كلمة (شرّ) للناس (إنّ شر الناس) يُكّبر ويُعظّم الجرُم الذى جعل صاحبه أكثر الناس شراً ألا وهو: سوء خلقه، وشدة فحشه.

وقوله ﷺ(عند الله) كى يُنبه الأذهان منْ غفلتها، وليُعلمها أنّ مردها ومآلها إلى الله .

وفى قوله ﷺ (اتقاء شره) مفعول لأجله، أى لأجل شرّه فيجب مدارته[١] .

وهذا الحديث من أعلام النُبوءات الخاصة بالنبي ﷺ؛ لأنّ(عُيينه) « ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وجئ به أسيراً إلى أبى بكر رضي الله عنه»[٢].

والمتأمل فى هديه ﷺ يجد أنّ « جمال اللفظ، وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع »[٣].

كما أنّ فى الحديث: نموذج من نماذج الأدب العالى للنبى ﷺ فى معاملته مع الناس، كما أنّه يدعو إلى الحذر من أهل النفاق والغش، ليتجنب المؤمنون غائلة النّفوس المريضة، والمُتربصة بأهل الحق منْ

---

(١) كما أنّ هذه الجملة تفيد « مدارة من يُتقى فحشه، وجواز غيبة الفاسق المُعلن بفسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه »
عمدة القارى ١٨ /١٥٧، وشرح النووي على مسلم ١٦ / ١٤٤.

(٢) المصدر السابق ١٨ /١٥٧.

(٣) دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ١٢٠ ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٦٧م

أهل المكر والخداع ممنْ يدُسّون السّم فى العسل، ويكيدوُن للإسلام والمسلمين .

• عَنْ : • يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِى النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِى النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ أَىْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ »[١].

شرح الحديث:

يكشفُ الرسولُ ﷺ الغطاءَ عن صنفٍ ينخر فى كِيان المُجتمع، فيبُين أنّ هناك بعض الناس يتظاهرون بالصّلاح وهم كالأفاعى، يخدعون الناس بملاسة جلودهم، وقلوبهم كلها غش وخداع، يتصدرون المجالسَ والاجتماعات فهم عُملةٌ رائجة لمنْ يستهونَ الصّوت العالى والصّياح، يُنافقون بعضهم بعضاً، ويُراءون الناس فى أعمالهم، ولذا كان جزائهم ترك الله لهم، فـ« عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك منْ عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »[٢].

التحليل البلاغى:

([١])صحيح البخارى، باب صفة النار وأنها مخلوقة ٣ / ١١٩١ ، و صحيح مسلم، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٤ / ٢٢٩٠.

([٢])صحيح مسلم ، باب من أشرك في عمله غير الله ٤ / ٢٢٨٩.

المصطفى ﷺ يُحذّر من هذا الصنف المُقنّع، وتوعّدَهم بالعقاب المُخزى؛ ذلك أنّ الله لا يحاسب عباده بالمظاهر[1]، فصّدر ﷺ هديه الشريف بالفعل المبني للمجهول (يُجاء) لبيان الإكراه والحملِ على الفعل.

وفى قوله ﷺ (يُجاء) وفى رواية مسلم (يُؤتى)، و(قيُلقى) بالبناء للمجهول؛ لأنّ عدم ذكر الفاعل يجعل العقول تذهب فيه كلّ مذهب، كما يزيد الموقف هولاً على هذا المُرائى بفعله، وأيضاً فى ذلك « عنوانٌ على الإكراه والحمل على الفعل، وكلّ كريهٍ للنفس تُساق إليه سوقاً، ولا تُقدم عليه إرادة »[2]، وهذا يُبين مدى اندفاعهم، وزجّهم إلى جهنم .

وفى بناء الفعل للمجهول فيه: « ميزتان إيماءٌ إلى القوة الخارجية العظيمة التى تصنع ما تصنع، ولفت نظر المُتلقى إلى الحدث نفسه لأهميته التصويرية »[3].

وقوله (بالرجل) فـ(أل) فيها للعهد ، فالحديث ليس قاصراً على نوع من البشر (بعض العلماء) بل يشمل كلّ من يأمر بالمعروف، وينهى عن المُنكر ولا يمتثل به، ولذا حذّر الله ﷻ من القول المجرد عن الفعل

---

(1)قال ﷺ فيما رواه عنه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» صحيح مسلم ١٩٨٦/٤ .

(2) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٦٩ .

(3) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٦٦٣ .

للمؤمنين عامة فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣].

وفى ذكر الرسول ﷺ لـ (الرجل) من باب التغليب[١]، لأنّ الرجال تغلبُ عليهم القيام بالأمر، والنهى. فـ« تغليب الذكور على الإناث بأنْ يجرى على الذكور والإناث صفة مشتركة المعنى بينهما على طريقة إجرائها على الذكور خاصة »[٢] .

كما أنّ فى قوله ﷺ (يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى فى النار) إيجاز بالحذف؛ حيث حُذفت أكثر من جملة، والتقدير :(بعد مُحاسبته وصدور الحكم بتعذيبه) وذلك اختصاراً، وكذلك حُذف الفاعل وذلك : للعلم به، وللاختصار .

وهذه الجملة (فيُلقى فى النار) فيها إشارة إلى: ما فيه من الهوان والاحتقار الذى يلقاه أهل النار حتى قبل أنْ يبدأ عذابهم، كما أنّ التعبير بها يُصور أنّه يدفع إلى النار رغماً عنه، ويُقذَف فيها مصداقاً لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً ﴾ [الطور:١٣].

---

(١) التغليب هو من باب المجاز وهو: إعطاء الشئ حكم غيره . الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢ /٤١ .

(٢) المطول للتفتازانى ١٥٨ .

وفى تخصيصه ﷺ (يوم القيامة) دونَ ذكرِ غيره من أسماء هذا اليوم كـ(الأزفة)، الحسرة.. لأنّه يدل على تهيئة الخلق جميعاً، وقيامهم للمُثول أمام الله ﷻ، واستعدادهم لهول ذلك اليوم .

وفى قوله ﷺ (فتندلق أقتابه فى النار)[1]، تصعيدٌ فى الإثارة والهول باندلاق الأقتاب من البطن، وهو منظرٌ لا يستطيع المرء تصوره إلا ويشمئزَ، ويخجل من نفسه، فما بالك وهذا المشهد على حقيقته يُعرض يوم القيامة أمام الخلائق كلها، حقاً إنّه موقفٍ مُخزٍ ومُرّوع !! .

وفى رواية لمسلم :(فتندلق أقتاب بطنه من النار) حيث أضاف الأقتاب إلى البطن؛ لأنّ الأمعاء لا تكون إلا بداخلها، وذلك من باب التأكيد[2]، زيادةً فى تصوير المعنى المراد، وليُثبت أنّها هى أمعاؤه هو!!.

وذكرَ الرسولُ ﷺ (النار) مرةً أخرى، وكان مُقتضى الحال أنْ يذكرها بالضمير فيقول (فتندلق أقتابه فيها) وإنما وضع الظاهر موضع الضمير؛ تنبيهاً على خطرها، وبياناً لترويعها وإيلامها ، وتحقير هذا المنافق، وتعظيمِ جُرمه .

---

(1) تندلق: اندَلَقَتْ أَقتاب بطنه خرجت أَمعاؤه . اللسان مادة (دلق)، وخروج الشئ من مكانه بسرعة اندفع من مكانه ،المعجم الوجيز ٢٣٢ / وضربه فاندلقت أقتابه . أساس البلاغة ١ / ٢٨٠ مادة (دلق) . أقتاب : جمع قتب بالكسر فلان مبعوج يجر أقتابه: أ معاءه . أساس البلاغة ٢ /٢٧٧ مادة (قتب) .

(2) التأكيد من أنواع الإطناب المطول للتفتازانى ٢٩٩ ،و/ فى علم المعانى د٠ حمزة الدمرداش ٢ /١٥٤، ط ،٣ ١٩٨٩م .

وفى (رواية مسلم) أسقطَ لفظ (النار) (فتندلق أقتاب بطنه)؛لأنّ « مما يزيد فى تصوير العنف بُروزاً: الجمالية الصوتية، إذ انتُقيت أصوات شديدة فى التعبير تندلق أقتابُ بطنه» [١].

ثم يُصور الرسول ﷺ مشهداً آخر أكثر بشاعةً وقبحاً ألا وهو : الدوران كالحمار بالرحى فى قوله : (فيدور كما يدور الحمار برحاه) فهنا تشبيه تمثيلى[٢]، حيث : يُصور الرسولُ ﷺ هيئةَ الرجل وقد خرجت أمعاؤه من دُبره، وشُدّت فيما يُشبه الطّاحون، وهو يدور بها فى النار بهيئة دوران الحمار فى الرحى .

ووجه الشبه : هو الهيئة الحاصلة من الحركة المستمرة، وسُرعة الدوران مع مُقاسة المتاعب والآلام .

والغرض من التشبيه هو: تشويه المشبه[٣]، وتقبيحه تنفيراً وتحذيراً منه .

فالتشبيه التمثيلى هنا: زاد تقرراً لهذه الصّورة البشعة؛ لأنّها صورةً لم تُشاهد من قبل، فقرّب التشبيه هذه الصورة التى تقع فى الآخرة بصورة مُشاهدة للناس، وهذا أدعى لينأوا بأنفسهم عما يُوصلهم إلى ذلك المصير المؤلم، حيث تجد « أنّ المزية فى عبارة التشبيه فى قدرتها على

---

(١) الصورة الفنية ٢٦٢ ، ٦٦٢.

(٢) سبق تعريفه ٢٠ فى (البخل) من هذا البحث .

(٣) من أغراض التشبيه : تشويه المشبه ينظر الإيضاح ٢٤٢ ، وأسرار البيان :د٠ على محمد حسن العمارى ١٠١ .

الإحاطة بالحركة مع وفرتها وتراكبها، وتكاثفها، ثم بلوغها بكنه الصورة قرارَ النفس »[١].

وفى قوله ﷺ (تندلق، يدور) هنا بُنى الفعل فى صورته للفاعل؛ لأنّه « يشير إلى حصولهما منه، فاندلاق الأمعاء إثر انفجار الحاجز، وهو أمرٌ تُحدثه القذفة، والدوران بها إثر الصدمة، وهو أمرٌ تُحدثه الفواجع؛ وكثيراً ما يحدث تلقائياً عند المُباغتة »[٢].

ويلفت النظر التشبيه بالحمار، وسرّ اختياره دون غيره مما يَجّر الرّحى من سائر الحيوان لا يكون إلا تقبيحاً لهذا الرجل، و« إمعاناً بتصوير المهانة، والمذّلة، والجهل»[٣].

وفى قوله ﷺ (برحاه) وفى رواية لمسلم (فى رحاه) فالحمار يدور بالرحى، وليس فيها، واستخدام حرف الجر (فى) أدلُّ على المعنى من (الباء)؛ لأنّه يُبين مدى سرعة دورانه بها، مما يُخيل للرائى أنّه يدورُ بداخلها، وهذه كناية عن صفة هى مُصاحبة الرحى له فى دورانه؛ فـ«

---

(١) التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان د. محمد محمد أبو موسى ٥٢ .

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٦٩.

(٣) من روائع أقوال الرسول ﷺ – أ٠ عبد الرحمن حسن حنبكة ١٦٧ ، دار القلم، ط٦، ١٩٩٥. .

الدوران حركةٌ متكررة فى غاية اليأس والاختناق بإطار الحركة الدائرية »[١].

وقال عبد القاهر : « حركة الرحا والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها،لأنّ الجهة واحدة » [٢]. وصورة الدوران للحمار بالرحى صورةٌ ظاهرة، وهى من الحركات المعتادة فى العيون، فقد لفتت أنظار أهل النّار فتُحقر منْ صاحبها فإذا هو من الآمرين بالمعروف مما دعاهم إلى الاستفهام .

وهناك رواية أخرى للبخارى (يطحن فيها كطحن الحمار برحاه)[٣] فتعبير الرسول ﷺ بـ (يطحن) **أبلغ من** (يدور)؛ لأنّ لها زيادة دلالة إلى جانب الدوران فى بيان الصورة، وإخراجها فى صورة حسية مُشاهدة للعيان، وأنّ هناك شيئاً يطحنه ذلك الرجل المُذنب فى النار، وبخاصة إذا كان المطحون (أقتابه) !! .

حقاً إنّها صورةٌ مُروعة، ومُثيرة للخوف، وللزجر لئلا يقع المرء فى المحذُورات، والمعاصى. وفيه من البشاعة مالا يُوصف، وذلك جزاءً وفاقاً .

وفى تعبيره ﷺ بالمضارعة، واستخدامه لـ(الفاء)فى (يُؤتى، فيُلقى، فتندلق، فيدور، فيجتمع.. فيقولون) دلالةٌ على: سُرعة الأحداث،

---

(١) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٦٦٢.

(٢) أسرار البلاغة ١٥٩ .

(٣) صحيح البخارى، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ٦ / ٢٥٩٨.

وترتبها، وتسلسلها، ولأنّ « السياق دالٌ على استقبال هذه الأفعال المضارعة لتصويرها مشاهد أُخروية، ولكنها قد عبّر عنها بالمضارع المُجرد من أداة الاستقبال لاستحضار صورها فى الحال تقريراً لما تقُص من تلك المشاهد»[1]. حتى كأنها تُدرك ، وتُحس كما يُدرك ويُحس دوران الحمار بالرحى .

وفى إضافة أهل إلى النّار فى ﷺ(فيجتمع أهل النار) دلالة على مُلازمتهم للنار، وأنّهم قد صاروا أهلاً لها؛ لطول مُكثهم ومُقامهم فيها، وهذا تقريعٌ لهم وتهكم؛ لأنّ كلمة: (أهل) فيها معنى الإيناس والقُربى والصلة، أى: إنّهم يأنسون بالنّار إيناساً من نوع خاصٍ يليق بهم وبحالهم !! .

كما أنّ فى(فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ) إيجازٌ بالحذف، والتقدير: يسألونه، كى يستبينوا أمره، ويستقصوا حالته .

وفى رواية لمسلم (فيجتمع إليه أهل النار) حيث قُدم فيها الجار والمجرور(إليه) وذلك للاختصاص[2]. أى إفادة اختصاص اجتماعهم إليه دون غيره، مما يُفيد أنه نادرُ فى النار، ولا يُعذب عذابه أحد، الأمر الذى يستدعيهم للسؤال عن ذلك .

---

(1) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٣٥٨ .

(2) تقديم الجار والمجرور وقد جاء فى كلام مثبت ، وفائدته اختصاص لمجرور دون غيره بإسناد ما بعده من معنى الكلام إليه– الإكسير فى علم التفسير ١٩٢.

وفى قوله ﷺ (فيقولون:أى فلان ما شأنك)؟ (أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر)؟ حيث أتى الاستفهام منهم على سبيل التعجب[١]، والاستفسار عن السبب الذى أدّى به إلى ذلك المصير المؤلم، واستغراباً منهم، وتعجباً واندهاشاً خاصة، وأنّه كان لهم قدوة فى الدّنيا فى الصلاح والتقوى، وهذا واضحٌ من الاستفهام التقريرى فى (أليس كنت تأمرنا...) .

وفى رواية مسلم (مالك يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى...) أىّ: ما الذى حدث لك؟ . حيث عبّر بالمضارعة (تكن تأمر، وتنهى) للدلالة على: استمراريته وتتابعه فى الأمر والنهى ، وأنّ ذلك كان ديدنه .

وفى رواية البخارى: عبّر ﷺ بالماضى (أليس كنت تأمرنا.. وتنهانا) لإفادة تحقق وقوع الأمر، والنهى منه، وأضاف الضمير (نا) إلى الفعل : لإفادة أنّه كان قريباً منهم يتولاهم بذلك.

وفى هذه الجملة إيجاز بالحذف، حيث: حُذف الجار والمجرور(فى الدنيا)؛ وذلك اختصاراً لهول الموقف، ولشدة استغرابهم .

والجملة تفيد: أنّهم جميعاً فى النار (الآمر) الذى لم يعمل بعلمه، وأمره ونهيه، و(المأمور) الذى لم ينصاع للأمر، واستهان به .

---

(١) معانى الاستفهام : التعجب . ينظر الإيضاح ١٤١، والإتقان فى علوم القرآن ٢ /٨٠ .

ولذا، جاء الجوابُ رداً على الاستفهام المُحير لألباب أهل النار: (بلى كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المُنكر وآتيه) [1] حيث لم يكتف بقول(بلى) دون ذكرٍ للجملة بعده، ولكن لمّا كان المقام مقامَ بسطٍ، وتحسّر منه، استدعاه أنْ يُوضح ويُفسر لهم سبب ما يحدث له، ويكشف لهم ما ستر عنهم فى الدنيا من مُخالفة أقواله لأعماله.

وصدق القائل:

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ

وإنْ خالها تخفىَ على الناس تُعلم[2]

حيثُ ظهرت حقيقتهُ فى الآخرة، فمهما طال الزمان فلابد من ظهور ما يُخفيه الإنسان حتى ولو كانَ فى أحشاء جهنم !! .

وجملة(كنتُ آمركم...)حالية، وما بعدها معطوف عليها، حيثُ تُفيد أنّ الأمر بالمعروف يتطلب النهى عن المنكر، فلا يجوز الأمر بالمعروف وترك النهى عن المنكر؛ لأنّه يجعل الجهودَ مُهدرة، وهذا ظاهرُ من المُقابلة[3] بين (الأمر، النهى، والمعروف، والمنكر) .

([1])« عن جرير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون الا عمهم الله ﷻ بعقاب أو قال أصابهم العقاب » مسند أحمد بن حنبل ٤ /٣٦١ .

([2]) ديوان زهير بن أبى سلمة ، ت وشرح :كرم البستانى، دار صادر ، ١٩٦٠ م .

([3])سبق تعريفها ٦٧ فى (المجاهرة بالمعصية) من هذا البحث .

وجاء طباق السلب[١] فى قوله ﷺ(آتيه) و(لا آتيه) . مما ازداد المعنى اتضاحاً، وبياناً

وفى الجملة إرصاد[٢] فى قوله (كنتُ آمركم بالمعروف وآتيه) ووقِف عليها عرَف السامع أنّ الجملة بعده (وأنهاكم عن المنكر وآتيه) لمَا تقدّم من الدلالةِ عليه .

هذا، بالإضافة إلى ما فيها جرسٍ مُوسيقى، ونغمةٍ تطرب لها الآذان، مما يُمكن للمعنى فى ذهن السامع، فينأى عن ذلك الفعل .

والمتأمل فى هذا الهدى النبوى يجد أنّ: الرسول ﷺ ساقَ تحذيراً من خلال السياق بطريق القصة والحوار؛ فيحكى ما سيقع يوم القيامة فى صورة مشهدٍ واقع حىّ يلفت الأنظار إليه، ويُؤثر فى النفس فصّور ﷺ حال هؤلاء(الصنف المُخادع) بما يملأ النفوس غثياناً وخجلاً، واشمئزازاً ، صّوّرهم وقد خرجت أمعاؤهم من أدبارهم، وشُدّت فيما يشبه الطاحون يُديرونها دوراناً لا ينتهى، والناس من حولهم فى النار ينظرون

---

(١)سبق تعريفه ٢٥ فى البخل من هذا البحث .

(٢) الإرصاد: هو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على تمامه، إذا عُرف الرّوى. الإيضاح ٣٥٩، والبلاغة العربية فى ثوبها الجديد علم البديع د٠ بكرى شيخ أمين ٣ /٨١ ، ط٣ ، ١٩٨٣م

و سماه أبو هلال العسكرى التوشيح . ينظر الصناعتين.: ٣٥٩، وتسميته بالإرصاد أولى؛ لأنّ السامع يرصد القافية فى نفسه: أى يعدها بالحدس حتى يحققها بالحس. الإكسير فى علم التفسير ٣١٤.

إليهم، ولا يمنعهم العذاب الذى هم فيه من الدهشة لحالهم وسؤالهم عن السبب الذى أدّى بهم إلى ذلك المصير، مما يدل على أنّ الخزى الذى هم فيه (الصنف المُخادع) سيكون من البشاعة، والشناعة بحيث يُنسي أهل النار ما هم فيه من الآلام، فيجدون الوقتَ للإقبال عليهم، والاستفسار عما أصابهم، ويُديرون معهم حواراً فى أحشاء جهنم!! .

ولذا، فقد وظّف النبىُ ﷺ فى هذا الهدى النبوى الحوارَ الذى كان له دورٌ أصيلٌ فى اكتمال الصورة، فجاء التصوير بالوصف، ويكون ذلك « عندما يكون الموصوف أمراً غيبياً، لا سبيل إلى نقله إلا عن هذا الطريق الذى يتخيلهُ السامع، وكأنّه واقعُ ملموس، كثيراً ما يشترك الحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق مع الوصف فى إبراز الصورة، ومنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذّهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو شهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخصٌ حى، وبذلك يتوفر للصورة كلّ عناصر التخييل » [1].

كما أنّ فى الحديث دقةً فى اختيار الرسول ﷺ للألفاظ المُعبرة عن المعنى المراد، فضلاً عن خفتها على الأذن، وسهولة حفظها .

فما أعظم هدى النبى ﷺ .

([1]) الحوار فى الحديث النبوى تراكيبه وصوره د. عيد محمد شبايك ٢٥٢ .

تحذيره ﷺ من النفاق

• عنْ أبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " (١).

و• عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (أربعٌ منْ كُنّ فيه كان مُنافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهدَ غدر، وإذا خاصمَ فجر"(٢).

و• عن أبى هريرة ﷺ قال (آيةُ المنافق ثلاث.. وإنْ صام وصلّى وزعم أنّه مُسلم "(٣).

شرح الحديث

النفاقُ داءٌ وبيل، وشرُّ الأخلاق، ينخبُ فى كِيان المرء فيجعله أجوفَ، فالنفاقُ لا يعرفه إلا أرباب النّوايا الخبيثة، والمنافق جميلٌ فى ظاهره، قبيحٌ فى باطنه، مُرٌّ فى نواياه، مُشرق فى وجهه. لا تُعرف مسالكَه حتى يُتقى شره، وليس له خيرٌ يرتجى، وما ابتُلى الرسولُ ﷺ فى حياته بمثلِ ما ابتُلى بهذا الصنف من الخلق، ولذا كشف اللهُ تعالى لنبيهِ

---

(١) صحيح البخارى، باب علامة المنافق ١ / ٢١ ، و/صحيح مسلم ، باب بيان خصال المنافق ١ / ٧٦ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢١ .

(٣) صحيح مسلم ، باب بيان خصال المنافق ١ / ٧٦ .

ﷺ النقـــابَ عـــن صـــفاتهم وســـوء نيـــاتهم فـــى ســـورة تســـمى باسمهم(المنافقون).

وقد أخبر الرسول ﷺ عن علاماتهم أيضاً فى السّنة النّبوية [١] .

التحليل البلاغى:

الرسولُ ﷺ رحيمٌ بأُمته، حيث بيّن لها بعض خلال المنافقين للتّحذير منها، وللاحتراس منْ أصحابها حتى لا يقع المرءُ فى مخالبهم، وتحت لسانهم، فقال:(**آيَـةُ الْمُنَـافِقِ ثَـلاَثٌ**) [٢] حيثُ بدأ الرسول ﷺ هذه الجملة بهذا الإجمال، وبالأسلوب الخبرى، بالإضافة إلى اسمية الجملة؛ للدلالة على الثبوت والدّوام. وفى إجماله ﷺ هذا الخبر للتنبيه على أهمية ما يُلقيه، ولتشويق السامع، وتهيئته إلى وعْى ذلك النبأ العظيم .

وفى الجملة أيضاً إيجازٌ الحذف؛ حيثُ حُذف حرف، والتقدير (من) أى من آيات النفاق الكثيرة ثلاث، يُؤيد ذلك رواية أخرى (من علامات المنافق ثلاثة) .

ومن الجائز أنْ يكون المحذوف صفة قولهﷺ (ثلاث) وتقديرها (خصال)، فالحذف جاء « تنبيهاً على أنّ الزّمان يتقاصرُ عن الإتيان

---

(١) عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلاَمَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ وَلاَ يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلاَّ هَجْراً وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ دَبْراً مُسْتَكْبِرِينَ لاَ يَأْلَفُونَ وَلاَ يُؤْلَفُونَ خُشُبٌ بِاللَّيْلِ صُخُبٌ بِالنَّهَارِ » . مسند أحمد بن حنبل ٢ /٢٩٣

(٢) الآيةُ: العَلامَةُ اللسان العرب مادة (أيا) .

بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يُفضى إلى تفويت المُهم »[1]، وليجعل العقل يُفكر فى المحذوف، ويشعر العقل بلذةٍ عند استنباطه.

والعلامة الأولى:(إذا حدّث كذَب)؛ لأنّ الكذب صفة تُفضى إلى الشّحناء، وتدمير علاقات المحبة بين الناس، وزعزعة وتضييع الثقة فيما بينهم .

العلامة الثانية :(إذا وعد أخلف) وهو: باب من أبواب الكذب، حيث رتّب الله تعالى عليه نفاقُ القلوب: فقال تعالى﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥]. ناهيك عن أنّ إخلاف الوعد سرقةٌ من وقت الموعود، وإخلالٌ بنظام حياته، وأعماله .

العلامةُ الثالثة: (إذا ائتمن خان) لأنّ الأمانة : هى كل ما استرعاك الله عليه، ووكلت بحفظه ، وصيانته.

وبين قوله ﷺ (ائتمن) وقوله (خانْ) طباق يُؤكد المعنى، ويُوضحه، ويُشير إلى قُبح فعل المنافق بخيانته من وثِق فيه، وائتمنه .

---

(1) إيجاز الحذف للصفة ينظر الإيضاح ١٨٨، والإتقان فى علوم القرآن ١ /٦٢.

هذا، وقد خصّ الرسولُ ﷺ هذه الصفات دون غيرها من خصال النفاق؛ تنبيهاً عليها لأنها الأصل فى النفاق، والأُسس التى تُبنى عليه، وتنبيهاً على فساد القول والفعل والنية .

وهنا سؤال فى قوله ﷺ (آية المنافق ثلاث) ولمْ يقل (آيات) بالجمع ليوافق ثلاث؟. **الإجابة** هى : « أنّ كلّ واحدة منْ هذه الخصال تُعتبر آية على النفاق، وقيل: لأنّ علامة النفاق لا تحصل إلا باجتماع هؤلاء الثلاث لا بواحدة منها ويؤيد ذلك الرأى رواية **البخارى**(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً) »[١].

ثم اتبع الرسول ﷺ هذا الإجمال بالتفصيل[٢] وهو منْ شأنه : تثبيت الكلام فى الأذهان والتشويق، فيتضح المعنى فى ذهن السّامع، ويتأكد فى فؤاده .

ولفظ (المنافق) تكون (آل) فيها:« قيل للعهد، كما ورد الحديث أى أنّ الرسولَ ﷺ يُريد منافقاً خالصاً بعينه، أو المنافقين الذين كانوا فى زمنه ﷺ، ولأنّه ﷺ فى حال إسداء النّصح أو التعريض بأحد لا يُواجههم؛ وإنّما يقول (ما بال أقوام)، وقيل: إنّها للجنس فيكون على التشبيه والتمثيل »[٣].

---

(١)عمدة القارى ١ /٢٥٢.

(٢) الإيضاح بعد الإبهام من أنواع الإطناب . الإيضاح ١٩٦، والإتقان فى علوم القرآن السيوطى ٢ /٧٢ .

(٣) ينظر عمدة القارى ١ /٢٥٤ .

وفى قول الرسول ﷺ(إذا حدّث كذب) حيثُ عبّر بـ (إذا) بدلاً من(إنْ)؛ لأنّ « أصل (إذا) الجزم بالوقوع، والغالب أنْ يكون الفعل المستعمل معها بلفظ الماضى وللإشعار بتحقق الوقوع » [1].

وفى تكرارهﷺ (إذا) فى الجُمل الخمس (إذا حدث... إذا عاهد.. إذا..) للدلالة على تكرار الفعل، وتحقيق وقوعه، وللتنبيه على أنّ هذه عادة لـه، ومُترسخة فيه .

هـذا، وقـد حُـذفت المفاعيـل مـن الجمـل (إذا حـدث كـذب، وإذا وعـد أخلف،...) وذلك لكونه « معلوماً جلياً عند السامع » [2].

وقد عطف الخاص على العام فى قولـه ﷺ (إذا وعد أخلف) على قوله (إذا حدث كذب) وذلك؛ لأنّ الوعد نوعٌ من التحديث وداخلاً فى (إذا حدث كذب).

ولكنه أفرده بالذكر معطوفاً: تنبيهاً على زيادة قُبحه وأنّه أُسّ النفاق.

وفى رواية البخارى(أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً..) حيث بدأ النبى ﷺ هذا الحديث بالعدد فى قوله (أربع من كن فيه) ، وهو شأنه: لفتُ ذهن المخاطب، وجذبه مما يحقق انتباهه. فالجملة شرطية، وأسلوب الشرط يعمل على إحداث تتابع الاتصال بين المتكلم، ووجدان المخاطب حتى نهاية الحديث .

---

(١) ينظر معانى التراكيب د٠ عبد الفتاح لاشين ١ /٧٨ .

(٢) حذف المفعول ينظر تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ١٧٥.

والمقصود من العدد (أربع) هنا هو: الدلالة التأثيرية؛ لأنّ« السامع حين يسمع لأول وهلةٍ قول الرسول ﷺ آية المنافق ثلاث ينصرف ذهنه إلى تتبع الأمور الثلاثة المنصوص عليها فى يقظةٍ وحرص مُحاذراً أنْ يكون على شئ منها وكأنّ هذه الأمور الثلاثة تسدُّ عليه الأفق، فإذا وجد منها انفلاتاً، فقد استراح، وإذا وقف أمام بعضِ أبوابها فإنّه يجتهد أنْ يدفعه عن وجهه، وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد يُؤتى به فى مُفتتح الحديث، فهو نوعٌ من التحديد الفنى»[١].

وبدأ الرسول ﷺ بالمُسند إليه (أربع) مع كونه نكرة، وذلك تعظيماً لأمره، وتقريراً، وتوضيحاً له، والمسند إليه (أربع) [٢] موصوف بجملة شرطية هى: (منْ كُن فيه) فأسلوب الشرط تتصل جُمله بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً، وهذا الاتصال بين الجُمل يُحدثه تتابع المعنى فى وجدان المخاطب مع المتكلم حتى نهاية الكلام .

---

(١)ينظر البيان النبوى د٠ محمد رجب البيومى ٢٢٥ بتصرف يسير.

(٢)وقال العينى : « قوله (أربع) مبتدأ بتقديره: أربع خصال، أو: خصال أربع، لأنّ النكرة الصرفة لا تقع مبتدأ، وخبره قوله (من كن فيه) فقوله: (منْ) موصولة متضمنة معنى الشرط، وقوله (كن فيه) صلتها، وقوله (كان منافقاً) خبر للمبتدأ الثانى وهو قوله (من كن فيه) والجملة خبر المبتدأ الأول ». عمدة القارى ١ /٢٥٦.

وفى قوله ﷺ (كُن فيه) إيجازٌ بالحذف، حيث حُذف المسند[1]، والتقدير (موجودات) وذلك لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام .

وفى قوله ﷺ (منْ كُن فيه) أسلوب شرط يربط الجزاء بالفعل استُخدم فيه (من) كأداة للشرط كى تُنادى بالتعقل، والتدبر كل إنسانٍ عاقل كى يبعد عن صفات النفاق، وليُطهر نفسه منها حتى لا يشوب إيمانه كدَر النفاق .

وقوله (كان منافقاً خالصاً) جزاء الشرط لمن جمع هذه الخصال .

وعبّرﷺ هنا بالفعل الماضى (كان) ليُؤكد تحقق النفاق لمن جمع هذه الخصال فنسخت إيمانه فخلَىَ منه، وحلّ النفاق محِلّه .

وتعبيره ﷺ (خالصاً) [2] إيغالٌ: أفاد تأكيد النفاق، وتمامه باستيفاء المنافق لكل صفات النفاق.

([1]) من أغراض حذف المسند : الاختصار . ينظر الإيضاح ٨٤، و تسهيل نهاية الإيجاز ١٧٨ .

([2])قال الإمام العينى: « كونه خالصاً ، فلأنّ الخصال التى تتم بها المخالفة بين السّر والعلن لا يزيد عليها » . عمدة القارى ٢٥٧.

وفى قوله ﷺ (من كانت فيه خصلةٌ منهنّ) حيث أتى المسند إليه (منْ) مُعرفاً بـ(الموصولية)، وذلك للتأكيد وزيادة التقرير[١] ، وفى رواية مسلم قال (خُلّة) .

وفى تقديمه ﷺ للجار والمجرور فى قوله (فيه) على الفاعل (خصلة)، وذلك للعناية والاهتمام به، وللاختصاص.

وفى قوله (ومن كانت فيه خصلة منهن) بمجرد قراءة الموصول وصلته عُرف نوع الخبر ألا وهو :(النفاق الخالص).

والمراد بإطلاق النفاق هو:« إنذار المسلم وتحذيره من أنْ يرتكب هذه الخصال فيعتادها فتُفضى به إلى النفاق » [٢].

وفى تكراره ﷺ (فيه) للتأكيد والتهويل، وكما قيل إنّ « الكلام إذا تكرر تقرر»[٣]. وكى يقنع منْ حوله بهذا الخطر، حتى يربأ بنفسه عن الوقوع فى شِباك النّفاق ومخالبه.

وفى جملة (حتى يدعها) جملة خبرية مراداً بها الإنشاء، وصيغتها الأمر أى (فليدعها)، وذلك تحذِيراً من مغبّة النفاق، وخطره على الفرد والمجتمع .

---

(١) من أغراض تعريف المسند إليه بالموصولية . الإيضاح للقزوينى ٤٢.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم :د٠موسى شاهين لاشين ١ /٢٢٣ ، دار الشروق ،ط١، ٢٠٠٢ م .

(٣) البرهان فى علوم القرآن ٣ / ١٠

و(حتى) للغاية، حيث تُؤكد ملازمة صفة من صفات المنافقين لكلّ من اتصف بإحدى الخصال الأربع إلى أنْ يتركها، كما أنّ فى هذه العبارة : إشارةٌ إلى أنّ هذا الدّاء له دواءٌ عليل أتى به النبى ﷺ ألا وهو: قوله (فليدعها) .

وهذا الحديث من باب التعريض[1] ؛ لأنّ النبىَ ﷺ لا يُريد التصريح بإنسان مُعين بل يشير إشارة يعرف به الشخص نفسه .

وفى التعبير (كان، كانت) بالماضى بدلاً من المستقبل دلالة على : تحقيق وقوع الفعل والمبالغة فى حصوله، وإشارة إلى لزوم هذه الخصلة له إلا أن يمحوها بيده .

ثم بدأ الرسولُ ﷺ كشف النقاب عن هذه الخصال قائلاً(إذا حدث كذب...وإذا عاهد غدر...) : العهود بين الناس هى الارتباطات بين الناس على إصلاح فاسد أو تحقيق مصلحة، أو تقويم معوج، والنكوصُ

([1])التعريض: هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازي المثل السائر ٢ / ١٨٦

والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانبه . المصدر السابق ٢ / ١٨٦

عن هذه العهود إيثاراً لمنفعةٍ شخصية ، أو ركوناً للدّعة غدرٌ للعهد [١]، وقد حذّر الرسولُ ﷺ من ذلك فقال: (لكل غادرٍ لواء يوم القيامة) [٢].

(وإذا خاصم فجر): الفجور فى الخصومة : داءٌ وبيل ،يقطع الأواصر وينشر الجرائم، ويفتك بالأخلاق . ولذا، عُدّ من آيات النفاق..

وفى قوله ﷺ (إذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصمَ فجَر) مراعاة نظير[٣]: ففى الجملة تناسبٌ بين الألفاظ و المعانى: فى قوله ﷺ (حدّث- عاهد -خاصم)؛ لأنّها أفعال قولية من معاملات الناس .

وبين قولهﷺ (كذب ، غدر، فجر) تناسب فى الألفاظ والمعانى؛ لأنّها من ناحية الألفاظ : أفعال ماضية. ومن ناحية المعنى : تندرج تحت الصفات القبيحة التى يتصف بها المنافقون، هذا بالإضافة إلى ما فى الجملة من :الترصيع[٤] الذى أحدثَ خفةً على السّمع، وسهولة للحفظ .

وفى قوله ﷺ (عاهد غدر، خاصم فجر) سجع[٥]حيثُ أحدث سهولةً، و لذةً فى النّطق.. وذلك من حُسن السجع .

---

(١) ولذا دعا ﷺ على رعل و ذكوان لغدرهم العهد . ينظر مختصر سيرة ابن هشام. لابن هشام المعافري ٢ /٣٢٩، اختصرها وعلق عليها أعضاء لجنة السيرة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ،القاهرة،ط١ ، ١٩٩٤م.

(٢) صحيح البخارى ، باب إثم الغادر ٣ /١١٦٤.

(٣)سبق تعريفه ١٠ فى (الظن) من هذا البحث .

(٤)سبق تعريفه ٦٨ فى (التبرج والسفور) من هذا البحث .

(٥)سبق تعريفه ٩ فى (الظلم) من هذا البحث .

وفى هذا الحديث : إيضاحٌ بعد الإبهام فى بدء حديثهﷺ (أربع من كن فيه) وهو توشيعٌ بالجمع[1]، حيث جاء (أربع من) جمعٌ مُفسّرٌ بأسماءٍ معطوف بعضها على بعض، وهى (إذا حدّث كذب، ...) . وكون الشرط وجزاؤه أفعالاً يفيد: التجدد والحدوث . وكون هذه الأفعال ماضية يفيد : التحقق مما يُشير إلى انتهاز المنافقُ الفُرصة كلما سنحت له .

و« **الحاصل من خلال الأحاديث: خمس خصال وهى : الكذب فى الحديث، خلف الوعد، خيانة الأمانة، الغدر فى المعاهدة، الفجور فى الخصومة** »[2][3]. **فمن تجمعت فيه هذه الخصال استحق صكاً من صكوك النفاق ألا وهو: المنافق الخالص.**

([1])سبق تعريفه ٦٨ فى (التبرج والسفور) من هذا البحث

([2]) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ /٤٦ .

([3]) والحاصل من مجموع الروايات خمس صفات ، فالرواية الأولى: الخصالُ (أربع) والرواية الثانية، والثالثة: الخصالُ (ثلاث) فكيف يمكن التوفيق بينهما ؟ .أُجيب: « يُحتمل أنّ النبي ﷺ استُجد له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده فأُخبر. وليس بين الحديثين تعارض، لأنّه لا يلزم منْ عدّ الخصلة كونها علامة على أنّ رواية مسلم (من علامة المنافق ثلاث .. وإنْ صلى وزعم أنّه مسلم) فيها ما يدلّ على عدم إرادة الحصر، وهذه الجملة تفيد: التأكيد والتنفير من هذه الصفات، والتحذير من مُلابساتها، وللإشعار بأنّ الصوم والصلاة وبقية الأركان لا تحمى المرء من الزعزعة والضعف، ولا تصرف وصف المنافق عن مُرتكب هذه الصفات » ينظر عمدة القارى ١ / ٢٥٣، و فتح المنعم ١ / ٢٢٠ .

ولذا حذّر النبى ﷺ من النفاق؛ لما له من عظيم الخطر، والضرر على الفرد والمجتمع .

تحذيره ﷺ من الكذب

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا "[1].

شرح الحديث

الصّدقُ صفةٌ حميدة، مدحَ اللهُ تعالى بها الأنبياء لتحلّيهم بها فقال: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** ﴾ [مريم:٤١] ، وقال:﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴾ [مريم:٥٤]، وبيّن تعالى أثر الصدق وفضله، قال: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**... ﴾ [الأحزاب:٢٤] فبالصدق يبلغُ المرء منازل الشهداء كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية الشريفة[2]، كما نهى ﷺ عن الكذب فى الحديث المتقدم وغيره .

التحليل البلاغى:

([1]) صحيح البخارى ، باب قول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } ٥ / ٢٢٦١، و صحيح مسلم، كتاب الصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤ / ٢٠١٢.

([2]) كما في حديث سَهْلَ بْنَ أَبِى أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » . صحيح مسلم، باب استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله ٣ / ١٥١٧.

سلكَ الرسولُ ﷺ طريقاً عملياً فى الدعوة إلى الصدق، وتحرّى مواطنه وغايته السعيدة، والتّحذير، والتنفير من الكذب وعاقبته الوخيمة؛ فصّدر ﷺ هديه الشريف بالجملة الاسمية المُؤَكدة: بـ(إنّ)بقوله(إنّ الصدق يهدى إلى البِر)؛ دلالة على أهمية مضمونه، ولذا عبّر النبى ﷺ بلفظ (الصدق) مطلقاً ليشمل كل أشكال الصدق، وليكونَ المرء حريصاً على الصدق فى أقواله، وأفعاله، ونيته.

وفى تكرار التأكيد بكلمة (إنّ)؛ للتأكيد على مضمون الخبر بأكثر من مُؤكد، عنايةً به، واهتماماً بشأنه، ورغبة فى نقل هذا الاهتمام بنفس الدرجة من المتكلم إلى المخاطب.

كما أنّ فيه تصعيدٌ للمعانى، حيث تتابعت الأحداث فى سلاسةٍ وسرعة حتى وصلت للمسلمات دون جُهد يشعر به المخاطب (إنّ الصدقَ يهدى إلى البر، وإنّ البرَ يهدى إلى الجنة...) فـ « المنطق التصعيدى للمعانى يستحق اسماً بلاغياً يرجع إلى النسيج الفنى، لا إلى الطاقة الدافقة وهو: (ترديد الحبك) إلا أنّ ترديد الحبك يخصّه علماء البديع بالشعر دون النثر » [(١)] .

---

(١)تصعيد المعانى هو: طرد الكلام حثيثاً فى مُقدمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل فى سرعة وسلامة إلى النتيجة، بحيث لا يشعر المخاطب من سرعة التتابع والانقياد للمسلمات بجهد دون غايته . الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٢٥٣.

وفى رواية مسلم[1]**(عليكم بالصدق فإنّ الصدق ...) حيث عبّر الرسول ﷺ باسم الفعل: أى الزموا الصدق؛ وذلك : للحث على تحرى الصدق، والتزامه كى يعتاده المرء فى كل شئٍ فى حياته وترغيباً فى التّخلق بهذا الُخلق الحسن .**

وبدأ الرسول ﷺ بأسلوب الإغراء(عليكم) ليجذب المخاطب، ويملك عليه حواسه تشوقاً لما وراءه، وتطلُعاً إلى سببه، وهذا من شأنه الانتباه لمتابعة الخبر حتى نهاية الكلام .

وصرحَ الرسول ﷺ بلفظ الصدق (فى رواية مسلم) فلم يقل (عليكم بالصدق فإنه يهدى)، حيث ذكر المسند إليه (الصدق) وذلك لزيادة التقرير والإيضاح، وتعظيماً لأمرهِ، ودعوةً إلى التمسك به، ولما فى ذكره من الأُنس، وعذوبة لفظه، ورقته وما تُوحيه هذه الكلمة من جمالٍ، وجلال مُنبثقٍ من جرسها، وموسيقاها، ومنْ معناها .

وفى قوله ﷺ (إنّ الصدق يهدى إلى البر) أتى الرسول ﷺ بالتجسيم، حيث خلع على الصفة المعنوية (الصدق) صفات البشر فشّبه (الصدق) بـ(إنسان)، وحذفه، ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو (الهداية) على سبيل الاستعارة المكنية، ونسبة (الهداية) لـ (الصدق) استعارة تخييلية . فكأنّ الصدقَ إذا امتلكَ القلب لا يعيش فيه وحده، وإنّما يبحث له عن رفيقٍ هو نعم الرفيق ألا وهو: البر.

([1]) سبق تخريج الرواية فى الصفحة قبلها .

والاستعارة أبلغ هنا؛ لأنّها: « تُبرز البيان فى صورة مُستجدة تزيد قدرهُ نبلاً، وتُجبُ له الفضل على فضله، فتجدَ اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد...، وتُعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر...

فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً » [١] .

وفى تعبيره ﷺ بلفظ (يهدى) له دلالة حيثُ يُشير إلى « كنوز الخير فى النفس الإنسانية كأنها تائهة فى متاهاتها ومجاهلها لا يُهتدى إليها إلا بهذا الهادى المُخلص الوفى الذى هو:(الصدق) وكأن الصدق صار فى النفس عرّافاً يهدى إلى أودية الخير التائهة فى كهوف النفس»[٢]**، فالصدق سبب للهداية وهى موصلة إلى الغاية (الجنّة) .**

وفى قوله ﷺ(وإنّ البّر يهدى إلى الجنة) أكّد الجملة بـ (إنّ) مع اسميتها؛ ليُعلىَ من قيمة البر، ويُشير إلى أهميته التى تعود على أهمية الصدق، ويُؤكد أنّه الموصل إلى الجنة .

وفى الجملة تناسب فى اللفظ بين (الصدق، البر، الجنة) لأنّها ألفاظ يتصل بعضها ببعض، وكُلّ منها طريق إلى ما بعده، وبينها تناسب فى المعنى لاقترانِ بعضها بعضهم ببعض فى الخيال .

---

(١) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ٣٣ .

(٢)أحاديث من صحيح البخارى : د٠ محمد أبو موسى ٤٠٦ .

وفى قولهﷺ (البر يهدى إلى الجنـة) استعارة مكنيـة، ومـن شـأنها :أنْ تجعل الأمـور المعنويـة ملمُوسـة مُحسّـة. ولـذا، فـ« الاستعارة أصدق أداة تجعل القارئ يُحس بالمعنى أكمل إحساس، وأوفاه، وتُصور للعين وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوى ملموساً »[1].

ومـن الجـائز أن يكـون (الصـدق) هـو المتسـبب فـى دخـول الإنسـان الجنـة، فيكـون (مجـاز عقلـى)[2]علاقتـه السـببية ، وهـذا المجـاز يُؤكـد أنّ الصّدق هو الدافع إلى الجنّة ونعيمها .

([1]) من بلاغة القرآن : د٠ أحمد أحمد بدوى ٢١٧ ، ط نهضة مصر، ١٩٤٥م .

([2]) المجـاز العقلـى : عرّفـه الإمـام عبـد القـاهر:هو أنْ يكـون التجـوز فـى حُكـم يجـرى على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصوداً فى نفسه ومُراداً من غير تورية ولا تعريض .كما أنّه اعتبره كنزاً من كُنوز البلاغة . ينظر دلائـل الإعجـاز للإمـام عبـد القـاهر الجرجـانى ٢٩٣ ، ت:محمـود شـاكر ، مكتبـة الأسرة، ٢٠٠٠م .

وسمّاه عبد القاهر بـ(المجاز الحُكمـى)؛ لأنّ المجـاز لـيس فـى ذوات الكلـم، وأنفـس الألفـاظ، ولكـن فـى أحكـامٍ أُجريـت عليهـا . ينظـر المرجـع السـابق ٢٩٤ . وهـو: إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل . الإيضاح فى علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع لـ الخطيب القزويني ٢٨ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١، ١٩٨٥ م . .

ومعنى التأويل :أى قرينة صارفة عن إرادة الظاهر إلى غير ما هو لـه . ينظر بغية الإيضـاح لتلخيص المفتـاح فـى علـوم البلاغـة :عبد المتعال الصـعيدي، ٤٢ ، مكتبـة الآداب ٢٠٠٠م. .

=

هذا، وقد جاء الوصل بين (الصدق يهدى إلى البر) وجملة (إنّ البر يهدى على الجنة) لاتفاقهما فى الخبرية واتحادهما فى المُسند مع اختلافهما فى المعنى، فبينهما ارتباط من جهة، واختلاف من جهة، ولذا وصل بينهما ويسمى بالتوسط بين الكمالين . مما يدعو النفوس للتّحلى بهذا الخلق العظيم .

وجاء الوصل كذلك فى (وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى على النار..) مما يدعو النفوس إلى البعد عن هذا الخُلق الذميم.

وفى قوله ﷺ فى رواية مسلم (ومايزال الرجل يصدُق، ويتحرى الصدق)[1]، حيث عبّر بالمضارعة (وما يزال) و(يصدق ويتحرى) دلالةً على مزاولته الصدق فى سلوكه واعتقاده وأقواله، وتحريّه فى كل شئ من أحواله .

وجاء الوصل فى قوله ﷺ (يصدق ويتحرى الصدق) حيث اتفقتا خبراً، واتحدتا فى المُسند إليه(الصدق)، واختلفتا فى المضمون؛ لأنّ قوله

و السكاكى أنكر المجاز العقلى، وأدخله ضمن الاستعارة المكنية . و القزوينى يستنكر ما ذهب إليه السكاكى، وأدخل المجاز العقلى مرةً أخرى فى علم المعانى . ينظر الإيضاح ٣٦ .

([1])التَّحَرِّي القَصْدُ والاجتهادُ في الطلب والعزمُ على تخصيص الشيء بالفعل والقول .اللسان مادة(حرى) .

(يصدق) ليس معنى (يتحرى الصدق) فوصل بينهما ويُسمى هذا الوصل : بالتوسط بين الكمالين[١] .

وكذلك جاء الوصل فى جملة (يكذب ويتحرى الكذب) .

و جاء المسند إليه مُعرفاً (بأل) فى قولهﷺ : (الرجل)، حيث جاءت للعهد الذهنى، وهى التى يُشار بها إلى فرد غير معين من أفراد الحقيقة[٢]، كما أنّ الأمر يشمل المرأة أيضاً .

ولذا، ذكَر الرسول ﷺ النتيجة الحتمية المُترتبة على تحرى الصدق، ومزاولتِه بقوله (حتى يكون صديّقاً) وفى رواية مسلم (حتى يُكتب عند الله صدّيقاً) [٣]، فعبّر ﷺ بـ (حتى) [٤] التى للغاية أى تدرّج فى المنازل حتى صل إلى مرتبة الصدّيقين .

وعبّر النبى ﷺ بالمبنى للمجهول (يُكتب) حيث حذف الفاعل وهم: الكتبة المختصون بكتابة أفعال العباد وأقوالهم، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

---

(١)سبق تعريفه ٩ فى (الظن) من هذا البحث .

(٢) ينظر الإيضاح ٤٩، و معانى التراكيب د٠ عبد الفتاح لاشين ١ /٢٠٠ ، ١٩٩٣ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤ / ٢٠١٢ .

(٤)حتى : حرف يأتي لأحد ثلاثة معان انتهاء الغاية وهو الغالب . مغني اللبيب ١/ ١٦٦ . كما أنّه لا ينتصب الفعل بعد حتى إلا إذا كان مستقبلاً . ينظر مغني اللبيب ١/ ١٧٠ .

لَحَافِظِينَ *كِرَاماً كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، وذلك: لشهرته، ولأنّه مُختص به، ولأنّ المُخاطب لا يحتاج فى فهمه للمعنى إلى التصريح بذكره .

وفى تقييده ﷺ الفعلَ (يُكتب) بالظرف (عند) وإضافته إلى(الله) فيه: تربيةٌ للمهابة، وتعظيم للفعل، وترغيب فى الصدق، وإشادة بالصادق .

والتعبير بالكتابة يفيد: تأكيد الوجوب أى « يُحكم له، والمراد الإظهار للمخلوقين إمّا للملأ الأعلى، وإمّا أنْ يُلقى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم، وإلا فحكم الله أزلي، والغرض أنه يستحق وصف الصديقين وثوابهم »[١] .

وفى تنكيره ﷺ لـ (صدّيقاً) وهى من صيغ المبالغة، وذلك للتعظيم، والتعميم : أى إنّ هذا الصّديق بلغ فى الصدق غايته، ونهايته، مما يدعو النفوس إلى محبّته، ومُصاحبته، ويحُثّ القلوب على مُجالسته.

وكذلك تنكيرهﷺ لـ (كذّاباً) وهى من صيغ المبالغة على وزن (فعّال) وتدلّ على أنّ الكذب صار خُلقاً مكتسباً، ووصفاً لازماً لا يفارقه، وذلك تحقيراً لشأنه وافتضاحاً لأمره، وتجنباً لمُصاحبته . إلا أن الكذب يُباح فى بعض الحالات التى أقرّها الشارع الحنيف، فليس الكذّاب الذى يصلح

---

(١) عمدة القارى ١٨ /١٩٧ .

بين الناس؛ لأنّ فيه دفعُ المفسدة، وقمع الشّر[1] ، وكذلك لا يحلّ الكذب إلا فى ثلاث حالات [2] .

وفى رواية مسلم استخدم الرسول ﷺ التّحذير بلفظ (إياكم) فقال(إياكم والكذب) حيث نفّر وحذّر من الكذب، والتساهل فيه، لما فيه من الضرر، وقبح العاقبة، وذكر أنّه من صفات المنافق[3] ، هذا بالإضافة إلى أنّ حياة الكاذب تتسم بالقلق والاضطراب النّفسى، وباعثه على ذلك هو الخوف الدائم من افتضاح أمره، وعدم الطمأنينة والسكينة.

وأتبع النبى ﷺ هذا التحذير(إياكم) بالمُحذّر منه ألا وهو :(الكذب) بمعنى(احذروا) و(اجتنبوا)، وهو تأكيد للأمر بلزوم الصدق، حيثُ إنّ تقديم صيغة التحذير تجعل المرء مُرتجفاً، ومُترقباً لما بعدها .

وما أروع المقابلة فى حديث الرسول ﷺ بين الخُلق الحسن، والتدرج معه إلى حُسن العاقبة فى قولهﷺ (عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدى إلى البر، وإنّ البر..)، وبين الخُلق الذّميم، والتدرج معه إلى سُوء العاقبة فى

---

(1)كما فى حديثه ﷺ « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » . مسند أحمد بن حنبل ، باب حديث أم كلثوم بنت عقبة ٦ / ٤٠٣ .

(2)كما فى رواية الترمذى « عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس » سنن الترمذي ، باب ما جاء فى إصلاح ذات البين ٤ / ٣٣١ .

(3) ينظر ٨٦ فى (النفاق) من هذا البحث .

قولهﷺ (إياكم والكذب، فإنّ الكذب يهدى إلى الفجور، وإنّ الفجور..)، فقد قابل النبىُ ﷺ بين لفظ (عليكم) و(إياكم) **فى رواية مسلم**. وبين لفظ(الصدق)و(الكذب) وبين لفظ (البر)و(الفجور)، وبين(الجنة) و(النار) .

والمقابلة بين (الجنة والنار) تجعل المخاطب يُفكر قبل أنْ يكذب فيتحوّل من جنة إلى نار، كما يرفع فضيلة الصدق وعاقبتها الجنة، ويقرر خطر الكذب كرذيلة عاقبتها النار.

والمقابلة فى الحديث هنا : حققت الإقناع فى العقل، وبينتْ العاقبة لكل من الطّريقيْن، وأيضاً حققت الإمتاع النّفسى للمُتلقى .

والمتأمل فى الحديث يجد أنّ : الرسول ﷺ يُحث المرء على طهارة قلبه ولسانه، ونقاء وجدانه، وذلك بالترغيب فى الصّدق، والتحذير من الكذب .

كما يجد دقة اختيار النبى ﷺ للألفاظ والمعانى، وترتب بعضها على بعض، وسهولتها وانسيابها مما يُؤدى إلى حفظها وترديدها على الأُذن، والعمل بهديه ﷺ .

التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ

• عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: • تَسَمَّوْا بِاسْمِى وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِى، وَمَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِى صُورَتِى، وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1] .

شرح الحديث :

يُحذر الرسولُ ﷺ من الكذب عليه؛ لأنّ ذلك افتراء على أعظمِ الخلق جميعاً، ومنْ فعلَ ذلك أرصدَ اللهُ تعالى له الهلاك والعذاب .

التحليل البلاغى:

صدّر الرسولُ ﷺ هذا الحديث بأسلوب الشرط (منْ كذبَ علىّ مُتعمداً) مما يُثير التشويق، واليقظة والانتباه لدى المُتلقى حين سماعه إياه، فيتطلع لمعرفة الجزاء .

وقوله ﷺ (مُتعمداً) احتراس[2]: يُخرج من كذبَ ناسياً، أو مُخطئاً من الجزاء، وجاء جواب الشرط، والفاء واقعة فيه .

واللامُ للأمر فى قولهﷺ (فليتبوأ مقعده من النار)[3] وعن ذلك قال

([1])صحيح البخارى ، باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١ /٥٢، ورواه مسلم فى صحيحه فى الشطر الثانى :باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١ / ٩ .

([2]) تعريفه ٣١ فى (السبع الموبقات) من هذا البحث .

([3]) يتبوأ المتبوأ و أباءه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه بمعنى هيأه له وأنزله ومكن =

العلماء: « معناه فلينزل، وقيل ليتخذ منزلهُ من النار . وقال الخطابى : أصلهُ من مباءة الإبل وهى أعطانهم ، وقيل: إنّه دعاء بلفظ الأمر أى بوأه الله ذلك . وقيل: هو خبر بلفظ الأمر أى معناه قد استوجب ذلك فليُوطن نفسه عليه، ثم معنى الحديث أنّ هذا جزاؤه وقد يُجازى به » [١] [٢].

والترجيح بين هذه الأقوال : أنّ قوله ﷺ(فليتبوأ مقعده ..) إما أنْ يكون خبراً بمعنى أنه استحق النار، أو يكون إنشاء بمعنى (الدعاء) أى : اللهم بوأه .

ويلفت النظر إلى أمرِ مهمِ ألا وهو: أنّ التبوء أصل معناه (أعطان الإبل) مما يدلّ على عظم، وقبح فعله ما يقترفه هذا الكاذب من الإثم حتى استحق وصف الرسول ﷺ له بهذا الوصف (فليتبوأ..) .

له فيه اللسان مادة(بوأ) .

(١)شرح النووى على صحيح مسلم ١ / ٦٨ .

(٢)وقال ابن حجر « فليتبوأ أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكناً، وهو أمر بمعنى الخبر أيضاً، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك، أى بوأه الله ذلك، وقال الكرماني: يُحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذَب فليأمر نفسَه بالتبوء ويلزم عليه.. ». فتح البارى ١/ ٢٠١

وعلى هذا الرأى يكون اللفظ فيه استعارة مكنية[1]؛ حيث شُبه المكان الذى ينزل فيه الكاذب بموطن أعطان الإبل، وحذف المشبه أتى بشئ من لوازمه ألا وهو أعطان الإبل، والقرينة هى إثبات لازم المشبه به للمشبه .

ولذا، فإنّ فى الاستعارة المكنية « كمية الخيال فيها أكبر من كميته فى الاستعارة التصريحية من حيث أنّ المكنية صورة خيالية أصلية مُلحقة بها صورة خيالية فرعية هي قرينتها التخييلية »[2]

والاستعارة هنا أبلغ؛ لأنّها بينت، وأوضحت منزلة هذا الكاذب المُفترِى على النبى ﷺ.

وإذا كان معنى (تبوأ) نزلَ منزلاً طيباً فهذا يكون للطيب، أمّا الكاذبُ فيُحمل على المباءة وهى أعطان الإبل .

ففى الحديث : تحذيرٌ من الإقدام، والتّجرؤ على الكذِب على رسول الله ﷺ، وتعظيمَ حُرمة الكذب عليه ﷺ، كما يفيد الحديث تحريمَ رواية الأحاديث الموضوعة، والمُفتراة على رسول الله ﷺ .

---

(1) سبق تعريفها ١٥ من(الظلم) من هذا البحث .

(2)البلاغة الاصطلاحية د٠ عبده عبد العزيز قلقيلة ٦٦ ، دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٨٧ .

• عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ النَّبِىُّ أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى فِى حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

شرح الحديث

الرسولُ ﷺ يُحذّر من العُجب عنْ طريق سرد القصة؛ لما للقصة فى النّفوس من ميلٍ فِطرى، وما تُؤديه من تربية للقيم، وغرسٍ للفضيلة، وتحقيق للعظة والعبرة بدلاً من الأسلوب المباشر فى التحذير من التبختر والإعجاب بالنفس، والتكبر على خلق الله .

وقد ذكرَ الرسول ﷺ عاقبة المتكبر، ووضّح صفات المتكبر فقال(ألا أُخبركم بأهل النار كلّ عُتلٍ جواظ مستكبر) [2].

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ بأسلوب تشويق يثير الانتباه، (بينما) التى تُوحى بحدث، ومُفاجأة تُنتظر، مُستخدماً القصة كإحدى وسائل الإقناع، والتأثير.

([1]) صحيح البخارى، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء ٥ /٢١٨٢ ، وورد أيضاً فى صحيح مسلم، باب تحريم التبختر، ٣ / ١٦٥٣ بلفظ قريب .

([2]) صحيح البخاري ، باب الكبر ٥ /٢٢٥٥ .

واستخدم الرسولﷺ القصّة فى حديثه الشريف؛ لأنّ « القصة الهادفة تقنع العقل وتُمتع الوجدان، وهى إذا اتضح مغزاها النبيل أعمقَ المسارب الإنسانية إلى الهداية والتوجيه»[1]. كما أنّ القصةَ « تُعالَجُ فيها جوانب أوسع، وأحداث أرّحب من أحداث سابقتها، ويشترط فيها من الناحية الفنية أنْ تحتوى على التمهيد للأحداث والعقدة التى تتشابك عندها، وتُشوّق القارئ للحلّ، ثمّ الحلّ الذى يأتى فى النهاية، فيستريح معه القارئ »[2] .

وتنطبق محتويات القصة على هذا الحديث؛ ففى قوله ﷺ (بَيْنَمَا رَجُلٌ يمشى فى حُلة) تمهيدٌ للأحداث، وقوله ﷺ (إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِه)عقدةٌ عندها تتشابك الأحداث، وقوله ﷺ (فَهْوَ يَتَجَلَّجلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) جاء حلّ العقدة فى نهاية الكلام، واطمئن السّامع لمعرفتهِ الحلّ.

ولفظ (رجل) نكرة: تزيد النفوس تشوقاً لتوضيحها مما يجعل المخاطب مُرتبطاً بالمتكلم حتى نهاية الكلام .

وفى تعبيره ﷺ بالمُضارعة فى قوله (يمشى فى حُلة)؛لاستحضار صورة هذا الرجل وهو فى حُلة مُعجباً بنفسه، يختال فى مشيته تيهاً، وتكبراً على من حوله.

---

(1) البيان النبوى د٠ رجب البيومى ١٢٧ .

(2) القصّة والرواية :د.عزيزة مريدن ١٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٠هـ .

والتعبير به أضفى على النّص حركة وحيوية، **وفى رواية مسلم زاد لفظ** (يتبختر) (يتبختر يمشى فى بُرديه) ففيها زيادة على المشى، ووصفٌ لحالة هذا الرجل المغرور .

وفى تعبيره ﷺ بجملة (تُعجبه نفسه) تُؤكد الخيلاء، والصّلفْ، والغرور لهذا الرجل، وتحكى حركة النّفس زهواً، وتكبراً .

وقد عبّر النبى ﷺ فى هذه الأفعال (يمشى، يتبختر، تُعجبه نفسه) بالمضارعة؛ لأنّ «المضارع الخالى من علم الاستقبالُ يعبر به الماضى أو المستقبل لاستحضار صورة مدلوله فى الحال، تقريراً له فى النفس المشاهد »[١]. مما يجعل المُخاطب أكثر تفاعلاً معها، هذا، بالإضافة إلى إفادة هذه الأفعال التجدد، والحدوث ، وتُؤكد أنّ هذا الرجل مُزاولاً لهذه العادة السّيئة فى المِشية وهى اختياله، وإعجابه بنفسه، وغروره بذاته .

وفى قوله ﷺ(مُرجّل[٢] جُمّته)[٣]، وهذه الجملة جاءت اسمية، حيث تُصور وصفاً لهذا الرجل، وتدلّ على ثباته ودوامه على هذا الوصف، أى : أنّ هذا التزين والزّهو صار طبيعة فيه، وسجية راسخةً فى نفسه.

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٣٥٠.

(٢) مُرجّل : المُرَجَّل : الشعر المُسَرَّح . اللسان مادة(رَجل) .

(٣) جمُته:الشعر المتدلي من الرأس إلى المنكبين . مختار الصحاح ٧٣ .

وقد جاءت العبارات (يمشى فى حلة، تعجبه نفسه، مُرجّل جُمتَه) متناسقة، متناهية الانسجام [1] فى فقرات مُتقاربة مما أضفى على القصة جمالاً، وتناغماً ترتاح له القلوب، وتستلذه الأسماع .

وجاء الجزاء فى قوله ﷺ (إذ خسف اللهُ به) فـ(إذ الفجائية)[2] : تُوحى بالمفاجأة الأليمة، وبسرعة المؤاخذة، جزاء وفاقاً.

وجاء الفعلُ بلفظ الماضى (خسفَ): دلالة على تحقق الخسف، وهو الأخذ فى الأرض.

وإضافته إلى (الله) : شعوراً بالرهبة، وعِظم هذا الجُرم وشناعة فعله .

وزاد فى رواية أخرى إلى جانب عقوبة (الخسف) [1]عقوبة أخرى **وهى عدم نظر المولى ﷻ إلى من جرّ ثوبه خيلاء، فقد روى مسلم** «

---

(1) الانسجام: سَجَمَتِ العين الدمع والسحابةُ الماء تَسْجِمُه وتَسْجُمُه سَجْماً وسُجُوماً وسَجَماناً وهو قَطَران الدمع وسَيَلانه قليلاً كان أَو كثيراً، وانْسَجَمَ الماءُ والدمع فهو مُنْسَجِمٌ إذا انْسَجَمَ أَي انصب . ينظر اللسان مادة (سجم) ١٢ /٢٨٠ .
وهو : أن يكون الكلام منحدراً كتحدر الماء المنسجم لسهولة سبكه وعذوبة ألفاظه وعدم تكليفه. ينظر: شرح الكافية البدعية فى علوم البلاغة ومحاسن البديع صفى الدين الحلى ٢٦٤ ، ت: د٠نسيب نشاوى،ط. مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٣م

(2)من معانى إذ أن تكون للمفاجأة نص على ذلك سيبويه وهي الواقعة بعد بينا أو بينما. مغني اللبيب ١ / ١١٥.

عن ابن عمر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: لا ينظرُ الله إلى من جرّ ثوبه خُيلاء »[٢].

وحُذف المفعول به وهو (الأرض) اختصاراً ، وصُرح به في رواية أخرى للبخارى مُؤيدة لهذا الحديث (بينما رجلٌ يجر إزاره من... فهو يتجلجل فى الأرض) [٣]. **وفي رواية مسلم (أعجبته جُمته وبُرداه إذ خُسف به الأرض فهو يتجلجل...)** [٤].

وفى قوله ﷺ (فهو يتجلجلُ) [٥] **أى يتحرك، وينزل مُضطرباً، وفى كونه مُضارعاً يُوحي بتكرار العذاب، وتجدده إلى يوم القيامة . كما أنّ صياغة الفعل (يتجلجل) على وزن (يتفعلل) يُوحى بالاضطراب وشدة الأخذ، وألم الخسف .**

---

(١)والخسف لهذا الرجل: « يُحتمل أنْ يكون هذا الرجل من هذه الأمة وسيقع بعدُ، أو يكون من الأمم السالفة فيكون إخباراً عمّا وقع، وقيل: هو قارون » . ينظر عمدة القارى ١٨ / ٧ .

(٢) صحيح مسلم ، باب تحريم جر الثوب خيلاء ٣ / ١٦٥١.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب اللباس ، باب (من جر ثوبه من الخيلاء) ٣ / ١٢٨٥.

(٤) صحيح مسلم ٣ ١٦٥٣.

(٥)التَّجَلْجُل : السُّؤُوخ في الأَرض أَو الحركة والجوَلان وتَجَلْجَل في الأَرض أَي ساخ فيها ودخل .اللسان مادة(جلل) .

وهذا الفعل يصور حركة الرجل وهو: « يهبطُ من العلو إلى أعماق الأرض المكان الغيبى الذى تمّ الانتقال إليه من الضيق إلى الوسع، والزمن الأرض إلى العتمة فى باطن الأرض، وهى ظلمة مُروّعة ذات مكان غريب، وصورة صوتية تُوائم القوة والرّعب، لأنّ الجلجلة حركةٌ مع صوت شديد، مما يُحدث الهلع البالغ » [1] .

وفى قوله ﷺ (إلى يوم القيامة) حيثُ تُشير إلى طول العذاب، والنّكال بهذا الرجل المغرور .

وفى إضافته ﷺ (التجلجل) إلى (القيامة) للشعور بشدةِ الهول؛ لأنّها من الألفاظ المُوحية بطبيعتها، وما تُثيره فى العقول من مشاهد الآخرة .

ويلفت النّظر التناسب بين الألفاظ والمعانى ففى قوله ﷺ (يمشى يتبختر، تعجبه نفسه) (خسف، يتجلجل) فيه تناسُب ، فـ(المُعجب بنفسه الماشى فى حُلة) يُناسبه (ترجيل الشعر)، و(الاختيال) فى مشيته مُبتهجاً وكبراً، وكذلك فـ(الخسف) يُناسبه (التّجلجل) .

هذا، وقد صوّر الرسولﷺ المعنى بجرس اللفظ؛ لأنّه يُساعد فى رسم الصورة، وإبرازها للمُتلقى كى يكون أكثر اقتناعاً بما يُلقى عليه، وانصياعاً لمضمونه .

والمتأمل فى هذا الحديث يجد أنّ الرسول ﷺ ينأى بالمرء عن أنْ يكونَ مُعجباً بنفسه، مُستعظماً على خلق الله ﷻ؛ لما لهذا الفعل من أثرٍ

([1]) الصورة الفنية قي الحديث النبوي الشريف ٦٥١.

سيءٍ على الفرد؛ لأنّه يُعمى المرءَ عن عُيوبه، ويحولُ بينه وبين الانقياد للحق، ويرى الناس بعين الاحتقار والانتقاص .

تحذيره ﷺ من الكبر

• عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ "[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ بيّن خطر الكبر على العبد، وأنّه يحرمه من دخول الجنة، كما بينّ أنّ حرصَ المرء على حُسن مظهره ليس من الكبر، فالنبىُ ﷺ يُوقف الأُمّة، والبشرية على نوعٍ آخر من الكِبر هو بطر الحق، وغمط الناس الأمر الذى يُؤدى إلى آثارٍ سلبية على الفرد والمجتمع [2].

فالكبرُ خلقٌ مذموم فى الكتاب والسنة، وقد نهانا اللهُ ﷻ فقال ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨]

وقد مدح اللهُ ﷻ التواضع وبيّن عاقبة المتواضعين بقوله ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

---

(1) صحيح مسلم ، باب تحريم الكبر وبيانه ١ /٩٣

[2] وهو « يُثير الغضب والحقد، ويُورث العداوة والبغضاء بين النّاس»من آثار الكبر تصعير الخد، والنظر شزراً، ورفع رأسه، وجلوسه متربعاً أو متكئاً . موارد الظمآن لدروس الزمان خطب وحكم وأحكام /عبد العزيز المحمد السلمان ٤ /٥٣٦ ، ط ٢٠ ، ١٩٩٢.

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص:٨٣]، وفى تفسير هذه الآية الكريمة يقول ابن كثير[١] « يُخبر تعالى أنّ الدار الآخرة ونعيمها المقيم..، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يُريدون علوًّا فى الأرض، أى: ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم، ولا فساداً فيهم»[٢].

وقال الرسول ﷺ « منْ كانَ فى قلبِه مثقَال حبةٍ منْ خردلٍ من كبرٍ كبّه الله لوجههِ فى النّار »[٣].

التحليل البلاغى:

بدأ الرسول ﷺ هديه بأسلوب النفى (لا يدخل) حيث قدّم المُسند المنفى على المسند إليه(مثقالُ..)، بالإضافة إلى كون الفعل(يدخل) مضارعاً مما له بالغ الأثر فى تمكين الحكم على المسند إليه، والتأثير

---

(١) ابن كثير الحافظ هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ، ولد فى قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أبيه إلى دمشق ورحل فى طلب العلم حتى صار من الأئمة المشار إليهم وتُوفى بدمشق٧٧٤ هـ وهو صاحب التفسير المشهور، والبداية والنهاية فى التاريخ .ينظر موسوعة الأعلام ١ / ٤٧٩، موقع وزارة الأوقاف المصرية .

(٢)تفسير ابن كثير ٦ / ٢٥٨ .

(٣) شعب الإيمان.لأبى بكر البيهقى ٦ /٢٨٠،ت محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٠

به، مما يلفت الذّهن إلى خُطورة ذلك الأمر، والاستفهام عن حقيقته . وجاء تعبيره ﷺ بـ(**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر**)[1] دقيقاً، ومُحدداً لما يقول .

وقد تردّدَ السّائل فى فهم المعنى فقال:(إنّ الرجل يُحب أن يكون ثوبُه حسناً ونعله حسنة) فأكّد الجملة بـ (إنّ) مع اسميتها، لكى يُطمْئن قلبَهُ خشية أنْ يكون هذا من الكبر.

ولذا، ردّ النبى ﷺ على ذلك الرجل الذى يُحبّ أنْ يكون هندامه جميلاً ومنسقاً، ونعلُه حسناً، مُؤكداً ﷺ بـ (إنّ) مع اسمية الجملة بأنّ ما قاله الرجل ليس من الكِبر، و مُؤكداً كلامه بنفس درجة تأكيد السامع لكلامه، ولدفع شكّه بقوله(إنّ الله جميلٌ يُحب الجمال) ومُصححاً لتصور السامع الخاطئ-(محبة الثّوب الحسن، والنّعل الحسن من الكبر)-، ومبيناً له بأنّ ذلك ليس من الكبر، بل هو أمرٌ نفسى يتعلق بأمراض القلوب يدفعُ المرءَ للتعالى على الناس، ودفعهم والصّد عنهم بوجهه وكأنّه من طينةٍ أخرى غير البشَر!! .

وصدق القائل:

يا أخى لا تُمل بوجهك عنّى ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقد

أنت فى الثّرى مثلى وإليهِ فلمَ التّيه والصّد[1]

([1])المِثْقال مقدار من الوزن أَيَّ شئ كان من قليل أَو كثير فمعنى مِثْقال ذرَّة وزن ذرّة . ينظر اللسان مادة(ثقل).

وقد حددَ الرسولُ ﷺ مفهوم الكبر بأنّه (الكبر بطر الحق وغمط الناس) [٢] [٣] .

كما أنّ الكبر « شعورٌ نفسى ومرض يحمل المرءَ على احتقار الناس، والنّظر إليهم نظرة الدّونية، وعدم قبول الحق وتضييعه »[٤] .

وجاء الفصلُ بين قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغمط الناس)وقوله (إنّ الله جميل)؛ لأنّها وقعت جواباً لسؤال اقتضته جملة (إنّ الله جميل) فكأنّ السامع حين سمع قول النبى ﷺ سأل: فما الكبر إذن؟ فجاء ﷺ بالجواب الشافى الكافى المُصحح المُطمئن لقلب السامع ووجدانه قائلاً (الكِبر بطر..) وهذا الفصل يسمى بشبه كمال الاتصال[٥]**، وهذا النوع يُعطى النص حيوية، ويُوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، والترابط بينهما..**

وفى قول الرسول ﷺ (إنّ الله جميلٌ) اختلفَ العلماء فى المقصود هنا: قال ابن فورك[٦] **« فأمّا جمالُ الصورة والهيئة على الوجه الذى**

---

(١) ديوان إيليا أبو ماضى، دار مكتبة الهلال، ط١ ، ٢٠٠٦ م.

(٢)هو أَن يجعل ما جعله الله حقّاً من توحيده وعبادته باطلاً .اللسان مادة (بطر) .

(٣)غَمْطُ الناسِ احْتِقارُهم والإِزْراءُ بهم . اللسان مادة (غمط) .

(٤)من أسباب التكبر التفاخر بالأنساب، المال وكثرة العرض، المنصب، والجاه.. دعوة الإسلام إلى التخلى عن الكبر والتحلى بالتواضع. ٢٤٨، ٢٤٩، د. أحمد عمر هاشم، مجلة الأزهر العدد صفر ١٤٣٠هـ، فبراير/ مارس ٢٠٠٨م،ج٢-السنة (٨١)

(٥)سبق تعريفه ٦ فى (الظن) من هذا البحث .

(٦) ابن فورك ت ٤٠٦ هـ وهو: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة =

يستجمله الناظرون على ما يستجملونَهُ من هيئات الخلق، فمما لا يليق بالله سبحانه »[1][2] .

والمتأمل فى هذا الهدى الشريف يجد أنّ النبى ﷺ يُربى الأُمّة على التواضع ، ولين الجانب، والأخلاق الحسنة،ويُحذرها من الكبر؛ لخطره العظيم على الفرد والمجتمع، كما أنّه ﷺ يُريد لها **جمالَ الظاهر** ألا وهو (الثّوب الحسن، والنّعل الحسن) **وجمال الباطن** ألا وهو (التواضع) ، وينأى بها أنْ يكون المرء جميل المنظر، وسئ المخبر .

وبغداد.وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة.وتوفي على مقربة منها، فنقل إليها. له كتب كثيرة : منها: مشكل الحديث وغريبه . ينظر الأعلام ٦ / ٨٣ .

(١) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ٣٣١ ، ت: محمد على موسى ، ط دار الكتب، ط٢ ، ١٩٨٥م .

(٢)وقال النووى: « إنّ معناه أنّ كلّ أمره – سبحانه – حسنٌ جميل، وله الأسماء الحسنى، وصفات الكمال، والجمال، وقيل: إنه بمعنى ذى النور والبهجة أى مالكهما. وقيل: معناه جميل الأفعال بكل اللطف، يُكلفكم اليسير من العمل ويُعين عليه ويُثيب عليه الجزيل ويشكر عليه». صحيح مسلم بشرح النووى ٢ /٩٠ .

تحذيره ﷺ من ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

• **عن أبى ذرٍ ﷺعن النبى ﷺ قَالَ: ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ"**[1].

شرح الحديث

يكشفُ الرسولُ ﷺ النقابَ عن ثلاثة نماذج من عناصر الفساد والتخريب فى المجتمع، ومصدر إيذاء ينتشر ويتغلغل فى جسده، وهى : الكبر والخيلاء، والمنان الذى يُبطل ما أنفق من مال الله، ويؤذى مشاعر أُناسٍ يستحقون العطف والرحمة، والبائع الكاذب المخادع، لذا استحقوا إفصاح الرسول ﷺعنهم؛ لحرصهِ على نقاءِ النفوس وسلامة الصدور، ونقاء المجتمع البشرى من كلّ الجراثيم التى تُسئ إليه .

([1]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالغبطة ١ / ١٠٢ .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ هديهُ الشريف بأسلوب التوشيع[1] فى قوله (ثلاثة...) وهذا الأسلوب يحقق للمخاطب، أو المُتلقى اليقظة والترقب إلى بقية الخبر.

وقدّم الرسول ﷺ العدد(ثلاثة) وهو لفظ نكرة مُبهم يحتاج إلى تفسير. والغرض من تنكيره هو: التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير.

والعدد(ثلاثة) [2] له دلالة تأثيرية فى ذهن المُتلقى، مما يجعله يتطلع إلى من هؤلاء الثلاثة، ويزيدُ من أثرِ التشويق ما صحِبهُ من التكرار المُقرر للإنذار فى مقام الترهيب، لذلك لمْ يصبر أبو ذر، وبادر بالإخبار عنهم بالخيبة والخسران .

وفى قوله ﷺ (لا يكلمهم الله) « مجازٌ عن الاستهانة بهم والسّخط عليهم تقول: فلانٌ لا ينظر إلى فلان: تريد نفى اعتداده به وإحسانه إليه.. لأنّ منْ اعتد بالإنسانْ التفت إليه وأعارهُ نظر عينيه... وإنْ لم يكنْ ثمّ نظر ثمّ جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مُجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر» [3] . فالكناية هنا بينت أنّ منْ غضب الله ﷻ عليهم قطع كلامهم .

([1])سبق تعريفه ٦٨ فى (السفور) من هذا البحث .

([2])سبق تعريفه ٨٩ فى (النفاق) من هذا البحث .

([3]) ينظر الكشاف ١ / ١٩٧، وينظر تفسير التحرير والتنوير–للإمام الشيخ محمد بن عاشور ٣ /٢٩٠ ،دار سجنون للنشر، تونس

وفى قوله ﷺ (لا يزكيهم): كناية عن صفة هى « عدم تطهيرهم، أى لا يُطهرهم من الذنوب، ولا يقلعون عن آثامهم، ويحتمل أن يكون المعنى ولا يُنميهم أى لا يكثر حظوظهم فى الخيرات »[١] .

والمتأمل فى الجمل الثلاث التى وُصفت بها النكرة فى قوله ﷺ (لا يكلمهم ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم) يجد أنّها تُجردُ النكرة (ثلاثة) منْ أجر الثواب، وصالح العمل .

وجاء الاقتباس[٢] فى قوله ﷺ (لا يكلمهم ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم) مُوضحاً عدم اعتداد الله تعالى بمن يختصوا بهذه الأمور من عدم النظر والكلام والتزكية .

وفى تقييد الرسول ﷺ(الكلام والنظر والتزكية) بيوم القيامة فيه تتميمٌ، أفاد زيادةً فى الترهيب، والتخويف لهؤلاء الثلاثة، وافتضاحاً

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٣ /٢٩٠ .

(٢)الاقتباس القَبَس النار والقَبَس الشُّعْلة من النار ، و قبستُ منه ناراً أَقْبِس قَبْساً فأَقْبَسَني أَي أَعطاني منه قَبَساً وكذلك اقْتَبَسْت منه ناراً واقْتَبَسْت منه عِلْماً أَيضاً أَي استفدته .اللسان مادة (قبس) ٦ /١٦٧ .

وهو عند البلاغيين: أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الإجماع . خزانة الأدب وغاية الأرب تقى الدين أبو بكربن حجة الحموى ٢ / ٤٥٥ ، شرح عصام شعيتو ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط١، ١٩٧٨ وهو هنا "من النوع الثانى الذى نقل فيه المقتبس عن المعنى الأصلى. ينظر خلاصة المعانى /ت ودراسة د٠ عبد القادر حسين ٤٨١ .

لأمرهم؛لأنّ « الكلامُ غير النظرة والتزكية أعم من أنْ تكون كلاماً، هذا كله كرره البيان النبوى ثلاث مرات تكريراً لفظياً يُوجبه التقرير، للإنذار والوعيد فى مقام الترهيب ليقتطع جذور الشر الموجبة للحرمان، وليقى الأصحاء من أنْ يختلس الشيطانُ قلوبهم فيمرضوا فيمُوتوا »[1].

والجمل الثلاث فيها تلازم بين بعضها بعضاً من جهة المعنى، فكلّ مفهوم يُؤكد ما سبقه؛ فالمحروم من كلام الله ﷻ محرومٌ من نظره إليه، ومنْ لا يُكلمه الله ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محل تزكيته، ثم منْ كان كذلك كُلّه ليس لهُ إلا العذاب الأليم .

وأيضاً الجمل الثلاث « وُصلت بالواو أما أولاً فللتناسب وعدم المانع، وأمّا ثانياً فلأنّ العطف يقتضى المغايرة ، والمغايرةُ حاصلة بالتنويع، لأنها ألوانٌ من العذاب بعضها غير بعض، ما بين الألم النفسى والمعنوى والحسى، وكونها كذلك أشدّ فى الإيجاع » [2] .

وفى تعبيره ﷻ بالجملة الاسمية (ولهم عذاب أليم) دلالة على الدوام والثبوت، وأيضاً قد تقدّم المُسند (ولهم) ودلّ على ذلك المُسند إليه(عذابٌ أليم) وذلك لتخصيص العذاب بهم، كما جاء العذاب نكرةً (عذابٌ) تفخيماً،

([1]) ينظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٨٧ .

([2]) ينظر المرجع السابق ٨٦ .

وتهويلاً لـه . ووصفه بـالأليم: كـى يقطـع عنـهم كلّ أمـل ولـو كـانَ شيئاً يسيراً .

ثـم فصّـل الرسـولُ ﷺ بعـد هـذا الإجمـال ألا وهـو: أولاهـــم(المُسـبِل إزاره)[١]، وهو كنايـة عن موصوف: وهو المتكبر المختـال المُتعالى علـى النـاس.

وهذه الكناية توضح خطأ مـا عليـه هذا المتكبر من الزهو والغرور، والإعجاب بالنفس، وأنّه يجرّ ثوبه اختيالاً وتكبراً .

ثانيهم: المنّان[٢] وهو الذى يعطى العطيـة وهو يَمُن علـى النـاس بعطفه عليهم، وإحسانه إليهم مما يسبب لهم الإيذاء لمشاعرهم، فضلاً عن كُفره بـأنْعم الله بإبطالهـا بـالمن والأذى، أو يمحـق صدقته بالحـديث عنها تيهاً وعجباً .

و(المنّان) صيغة مبالغة، تدلّ على تكرر هذا المنْ منـه . لـذا وُصِف به .

و(المـنّ): هـو القطـع فهنـا استعارة: حيث شبه الـذى يُعطى شبه (المنّ) الـذى هو القطـع الـذى يتعلـق بـالأمور الحسية لمن يضيع ثوابـه

---

(١) أسبل الستر والإزار:أرسله وهو من السبيل ،والمرأة تسبل ذيلها . أساس البلاغة ١/٤٢٠مادة (سبل).

(٢) المنان : أَن تَمُنَّ بما أَعطيت وتعتدّ به كأَنك إنما تقصد به الاعتداد والأَذى أَن تُوَبِّخَ المعطَى .اللسان مادة(منن)

بالحديث عنه قهراً، وتيهاً بجامع فعل ما يمنع من الخير فى كل ذلك على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة أبلغ؛ لأنّها أوضحت هذا المنان المُضيع ثوابه بلسانه، وبتفاخره أمام الناس بإحسانهِ للمُحتاجين .

ثالثهم: (المُنفق سلعته بالحلف الكاذب) أى : المُرّوج سلعته كذباً كي يقتطع بها عرضاً زائفاً؛ وذلك كى يُحقق أعلى الأرباح لنفسه فى الظاهر[1] [2] ، ولذا، فإنّه يحبط عمله، ويخسر دينه، لأنّه غاشٍ مُرّوج لسلعته باسم الله ﷻ .

وهذا الأمرُ مما عمّت به البلوى، وتفشّى بين كثيرٍ من الناس من خلال التجارة والبيع، ولذا استحقت كلّ هذه الأصناف النّكال، والعقاب من الله ﷻ، وتحذير الرسول ﷺ منها؛ لضررها البالغ على الفرد وكيانه، وعلى المجتمع وبُنيانه .

---

(1) وهذا يُؤكد كلام الرسول ﷺ ،حيثُ قال:« لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِى الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ صحيح البخارى ، باب قول الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا .. واتقوا الله لعلكم تفلحون }٢ / ٧٣٣.

(2) هذا بالإضافة إلى جزاء آخر ألا وهو : أن الحلف الكاذب ممحقةٌ للبركة، منفقةٌ للسلعة، والتعريض إلى غضب الله تعالى؛ وذلك على طريق التشبيه بأنّه (ممحقة للبركة، منفقة للسلعة) عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة) .صحيح البخاري ٢ /٧٣٥ .

تحذيره ﷺ من المشقة على الرعية

• عَنْ عَائِشَةَ قالت سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِى بَيْتِى هَذَا: اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[1].

شرح الحديث:

يُبين النبىُ ﷺ أنّ منْ ولِىَ شيئاً من أمر المسلمين، وأرهقهم، وشقّ عليهم فى معاشهم، وحاجتهم استحق مشقة الله تعالى عليه، ومنْ ولِىَ شيئاً من أمر المسلمين وكانَ رفيقاً بهم استحق أنْ يرفق الله تعالى به.

التحليل البلاغى:

بدأ النبىُ ﷺ بهذا النداء، وسلك مسلكاً خاصاً فى التّحذير يتّسم بالعموم، وينزع فى علاجه منزعاً نفسياً من خلال الأساليب البلاغية التى وظفها للدلالة على المعنى المراد، ففى قولهﷺ (اللهم) هنا أسلوب النداء، وهذه الصيغة لها خصوصية على غيرها؛ حيث إنّها تتصدر عظائم الأمور، وأعظم ما ينُادى منْ أجله وتختص بأعظم مُنادَى .

([1]) صحيح مسلم ، كتاب الأمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ... ٣/ ١٤٥٨ .

وفى دعائه ﷺ بقوله(اللهم) لما لها من خصوصية فى حديثه ﷺ؛ وذلك لحرصه على أهمية هذا الأمر، ورفعه إلى الله ﷻ من بيدهِ أمر كلّ شئ .

وفى ندائه ﷺ بـ(اللهم) تفخيمٌ وتعظيم؛ لأنّ « أصل الأسلوب(يا الله) حذفت أداة النداء، وعُوض عنها الميم فى آخر لفظ الجلالة »[1] .

وجاء أسلوب الشرط فى قوله ﷺ (منْ ولىَ من أمر أُمّتى) بعد صيغة التوجه إلى الله ﷻ، و تُوحى بعظم ما سُيلقى من الكلام بعدها، وأهميته، وهذا النداء (اللهم...) يكون سوطاً وراء كلّ من وُلّى أمراً من أُمور الناس يحميِه من نفسه الأمّارة بالسوء ، ويحمى النّاس منْ جوْرهِ عليهم، وظلمِه إياهم .

واستخدام الرسول ﷺ لفظ (منْ) [2] فى قوله (منْ ولى من أمر أُمّتى) فهى اسم موصول بمعنى الذى، وذلك كى تشمل كلّ والٍ وُلّى أمراً ، كما أنّها تعنى استغراق العمل الصغير، والكبير .

([1])الأساليب الإنشائية وأسراره البلاغية فى القرآن الكريم د٠ صباح عبيد دراز ٢٧٩ .

([2]) وقد يكون الموصول لفظه مفرداً مذكراً ومعناه مثنى أو مجموعاً أو غيرهما وذلك نحو من وما إذا قصدت بهما غير المفرد المذكر فيجوز حينئذ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . شرح ابن عقيل ١ / ١٥٣ .

وفى قوله ﷺ (أُمّتى) حيث أضاف الأُمّة إلى نفسه ﷺ مما يُوحى بشمول الحكم لكل من انطبقت عليه هذه الصفة (المشقة) لكونهم جميعاً من أُمّته .

وجملة(فشّق عليهم) معطوفة على الشرط (اللهم منْ ولى) وهى جملة تُوجه التحذير المنطلق من النداء فى قوله ﷺ(اللهم) وما بعدها إلى ساسة الناس، وولاة الأمور مما يجعل الأسماع تتطلع، والقلوب تخشع لمعرفة خبرهم، وتُوجل ممن صفتهم (المَشقة على الأُمّة).

هذا، وقد عُطفت جملة الجواب فى قولهﷺ (فاشقق عليه) معطوفة على (فشّق عليهم) وذلك جزاءً وفاقاً لهم، لأنّ الفعل (اشقق) جاء مُضعّفاً؛ وذلك مُبالغة فى العذاب، غير أنّ مشقة اللهﷻ عذابٌ لا يُتصور، ولا يعلم مداهُ إلا هوﷻ .

وتشمل مشقة الوالى الجائر : احتجابه عن رعيته[1]، وبُعده عنها فى برجٍ عالٍ، وأيضاً عدم نُصحه لرعيته، وتوجيهها نحو الرشاد،

---

(1) "عن القاسم بن مخيمرة أخبره أن أبا مريم الأزدي أخبره قال : دخلت على معاوية فقال ما أنعمنا بك أبا فلان وهي كلمة تقولها العرب فقلت حديثا سمعته أخبرك به سمعت رسول الله ﷺ يقول من ولاه الله ﷻ شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره " سنن أبي داود ٢ /١٥٠ .

وإلى ما فيه نفعها وسعادتها. ولذا يكون منْ ضمن جزائه تحريم الجنة عليه[1] .

(1) فقال ﷺ « ما من عبد يسترعيه الله رعيةً فلم يُحطها بنُصحه إلا حرّم الله عليه الجنّة » . صحيح البخارى، كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ٦ / ٢٦١٤ .

وعلى النقيض تماماً أطلق الرسولُ ﷺ سهماً آخر من كنانته تجاه الوالى العادل لرعيته الرّفيق بهم فى قوله ﷺ (ومَنْ ولِى منْ أمر أُمّتى شيئاً فرفقَ بهم فارفقْ به) حيث تنبعث منها وُرودً ورياحين هفّافة، ومشاعر جياشة رفرافة، وعطر وعبق يُحيط بهذا الوالى العدل الرفيق بسبب دعوة النبىِ ﷺ له فى كل زمانٍ ومكان.

هذا، فضلاً عن اندراج هذا(الوالى العادل) تحت ظلّ عرش الله تعالى يوم القيامة [١].

وفى تنكيره ﷺ المفعول بهِ(شيئاً) وذلك لإفادة التقليل، وفيه إشارة إلى أنّ: الحُكم ينال كل من ولى أمراً من أُمور المسلمين قليلاً أو كثيراً ، حيث لم تدع هذه العبارة شخصاً ذا منصَب فى المجتمع المسلم يباشر من خلاله أمراً صغُر أو كبُر إلا ولحقته دعوة النبى ﷺ ، فكانت سيفاً على رقبته إنْ شقّ ، أو نبع حنانٍ إنْ رفق بهم، ورقّ .

وتبدو براعة النبى ﷺ فى مُطابقته بين مادة (الشّق) فى قوله ﷺ (فشق عليهم) وبين مادة (الرّفق) فى قوله ﷺ (فرفق بهم) حيث يُوضح مدى الفارق بين والٍ تُطارده المشقة أينما حلّ وارتحل بمشقته على رعيته، وبين والٍ تُحيط به عناية الله على منْ رفق بهم .

---

(١) فى قوله ﷺ « سبعةٌ يُظلّهم اللهُ بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : إمامٌ عادل ... » المصدر السابق ، كتاب الجماعة و الإمامة، باب من جلسة في المسجد ينتظر الصلاة وفصل المساجد ١ / ٢٣٤.

والمُتأمل فى هذا الحديث يجد دقة اختيار النبى ﷺ للألفاظ المُوحية، والمُعرة عن المُراد، كما أنّ أسلوبه ﷺ له: بُعدٌ نفسى يتمثل فى أنْ يُراقب هذا الوالى الله تعالى لوجدانِه، مما يدعوه إلى مُراقبة الله تعالى فى معاملته لرعيته، والنّصح لها، والرّفق بها -فما أعظمك يا سيدى يا رسول الله -ﷺ .

• عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ . قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ •»[1].

شرح الحديث :

الرسولُ ﷺ ينأى بأُمّتهِ أنْ تهبَّ مع كلّ ريح، ويُخبر بأمرٍ غيبي عن حال أُمّته، وما ستصير إليه أُمّته عندما تضلّ سبيلها، وتنعدم شخصيتها فى المجتمع، وتصير ذيلاً فى رِكابِ الأُمم تنساقُ وراءها دون أدنى تفكير، تاركةً منهج ربّها، وسنّة نبيها ﷺ .

التحليل البلاغى:

بدأ النبىُ ﷺ هديه الشريف بالأسلوب الخبرى، ومراده التحذير، بقوله (لتتبعن)، ومُؤكداً إياه بـ(اللام)، ومُصوراً طوائف المسلمين بعضها يسير وراء اليهود، وبعضها وراء النصارى، فالأُمّة أصبح أمرها بين شِقىّ الرّحى، وليس لها من دون الله كاشفة.

وفى قوله ﷺ (شبراً بشبر، وذراعاً بذراع) كناية عن صفة هى المُوافقة لليهود، والنصارى. ويكون « المراد بالشبر والذراع وجحر

([1])صحيح البخارى، كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٣ / ١٢٧٤، وصحيح مسلم ، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٤ / ٢٠٥٤ .

الضب التمثيل بشدة المُوافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ »[1] .

أما الموافقة فى الأمور النافعة كالاختراعات الحديثة، والتكنولوجيا الحديثة التى تُفيد البشرية جميعاً فلا مانع من ذلك .

وجمال التعبير بالكناية؛ لأنّها أخرجت الشئ المعنوى فى ثوب المحسوس المُشاهد، وهذا أوقع لدى المُتلقى، وأعلق فى ذهنه « وأغلب ما تكون الكناية مصحوبة بالدليل إذا كانت عنْ صفة أو نسبة »[2].

وفى قوله ﷺ (شبراً بشبر) تذييل[3]، يُحقق معنى ما قبله، ويؤكده، وينفى توهم المُبالغة، حيثُ إنّ « للتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان

([1])شرح النووي على مسلم ١٦ / ٢٢٠ .

(٢) الكناية د٠ حمزة الدمرداش زغلول ٢٤ ، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط٢ ، ١٩٨٨م .

([3])التذييل هو: أن يُذيل المتكلم كلامَه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام.. ويُؤتى به للتوكيد والتحقيق . تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر، لابن أبى الإصبع ٣٨٧، ت: د٠حفنى شرف :ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التراث الإسلامى . والتّذييل يكون فى المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة، لأنّ تلك المواطن تجمع البطئ الفهم والبعيد الذّهن، والثّاقب القريحة ، والجيد الخاطر . الصناعتين ٤١٣ .

شـــريف خطيـــر، لأن المعنـــى يـــزداد بـــه انشـــراحاً والمقصـــد اتضاحاً »[١] .

وحجر الضب: هو « ثُقبه وحفرته التى يعيش فيها »[٢] .

وتأمل فى سرّ تعبير النبى ﷺ بـ(**حُجر الضّب**)؛ وذلك لشدة ضيقه ورداءته، ونتن ريحه وخُبثه، **وما أروع هذا التعبير الذى صدّق معجزة الرسول** ﷺ، فالناس تُشاهد الآن تقليد الأجيال، وشباب الأُمة لغيرهم فيما هم عليه من أخلاقٍ سيئة، وعادات فاسدة، تفوحُ منها رائحة النّتن، وتمرّغُ أنف الإنسانية فى مُستنقع الرّذيلة والمعاصى، وتُنذر بشرٍ مستطير .

وفى تعبير الرسول ﷺ (حتى لو سلكوا حُجر ضب لسلكتموه) كناية عن صفة، ألا وهى: شدة الموافقة لهم فى كلّ ما هو على غير عقيدتنا، وديننا، ودلتْ على ذلك **رواية مسلم** (لو دخلوا .. لأتبعتموهم) .

وجاء حُسن التعبير بالكناية فى هذه الجملة ؛ لأنّها تدل على غياب العقل فى تقليد المسلمين لغيرهم من الأُمم، وحقارة الشئ المُقلَد، وإلى تعطيلهم شرع الله ﷻ، وسنة الرسول ﷺ وكونهم فى ذيل الأُمم!!.

وفى تعبيره ﷺ بـ(سلكوا حجر ضب) **وهى أبلغ من** (دخلوا)؛لأنّ فيه دلالة على فقدان العقل، والانسياق وراء الآخرين .

---

(١) عمدة القارى ١٣ /٩٧ ..

(٢)المصدر السابق ٤١٣

وفى رواية مسلم (دخلوا) وهى تعنى مُجرد الدخول من التبعية، والانقياد، والاستسلام .

وفى قول الصحابة (اليهود والنصارى) ؟ على سبيل الاستفهام، والاستفسار من الرسول ﷺ بناءً على فهمهم قول الرسولﷺ (الذين من قبلكم)، ولذا عيّنهم الرسول ﷺ عن طريق الاستفهام فى قوله (فمنْ) حيث جاء الاستفهام على وجه الإنكار، أى ليس المراد غيرهم، –وما حال الأُمّة وواقعها غير ذلك– وصدقَ رسول الله ﷺ .

ففى الحديث تحذيرٌ من خلال السّياق؛ لأنّ الرسول ﷺ يُريد من أُمته أنْ تُوطّن نفسها على استقلال الشخصية، وعدم التبعية لأحدٍ، والانسياق وراء الأهواء، والمشى فى ركاب الأُمم دون عقل [1]. كما يدعو المُسلمين إلى التمسك سنة نبيهم، وتشريعهم، والبعد عن البدع[2]، ومُضلات الفتن .

([1])فعن حُذيفة قال : قال رسول اللهﷺ : «لا تكونوا إمّعة، تقولونَ إنْ أحسنَ النّاس أحسنّا، وإنْ ظلمُوا ظلمنا، ولكنْ وطّنوا أنفسَكُم، إنْ أحسنَ النّاسُ أنْ تُحسنوا، وإنْ أساءوا فلا تظلِمُوا» سنن الترمذى، باب ما جاء فى الإحسان والعفو ٤/٣٦٤.

([2])« عن العرباض :صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و إن كان عبداً حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة » . المستدرك ١ /١٧٦ .

المبحث الثانى

الأسرار البلاغية فى التحذير من تقطيع الأواصر الاجتماعية.

تحذيره ﷺ من سب الرجل والديه

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضى الله عنهما- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ " [1] .

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يدعو إلى ضبط النفس، والتعقل فى الأُمور، والنّظر الثاقب فى كلّ ما يلفظُ به الإنسان، أو تجرحه يداه، وإلى عدم التطاول على الآخرين بالأذى، والسّب، فتعود الكرّةُ عليه ويُلصق به الأذى، ويتعداه إلى آبائه وأُمهاته، ويكون الإنسان عاقاً لوالديه، وآذياً لهما .

([1]) صحيح البخارى ،كتاب الإيمان ، باب لا يسب الرجل والديه ٥ / ٢٢٢٨ ، و/صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ١ /٩٢ .

التحليل البلاغى:

استخدم النبىُ ﷺ أسلوب التشويق فى الحديث، حيثُ صدّره بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إنّ) [١] (إنّ منْ أكبر الكبائر) [٢] ومن شأنها: تأكيد مضمون الخبر فى نفس المخاطب، واستقراره .

وتصدرت (إنّ) الكلام؛ لأنّ « الخبرَ بأمر يبعد مثلهُ فى الظن، ولشئٍ قد جرت العادة على خلافه »[٣] .

واتبعَ النبىُ ﷺ التوكيد بـ صيغة أفعل التفضيل (أكبر)، وإضافتها إلى الكبائر مما زاد فى تصوير المعنى، ووضوحه، حيث جعلتْ لعن الوالدين من الكبائر، ثم رفعته إلى درجةٍ جعلته أكبر الكبائر.

هذا بالإضافة إلى تقديّمه ﷺ (المسند) وهو الجار والمجرور(منْ أكبر الكبائر) وذلك للاختصاص، وتأكيداً له فى قلوب السامعين مما يدعوهم إلى البعد عن هذه الكبيرة .

---

(١)من أدوات التأكيد : إنّ، واللام ، وقد، واسمية الجملة وتكريرها، ونون التوكيد، وأما الشرطية ، وحروف التنبيه . ينظر المطول ٤٧ ، ومعانى التراكيب د٠ عبد الفتاح لاشين ١ / ٨٦ .

(٢)تعريف الكبائر هى كل ذنب اقترن بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. عمدة القارى ١٨ /١١٨.

(٣)دلائل الإعجاز ٣٢٥ .

ومقصود (اللعن) هنا: السّب والشتم، وهو ما فُسر بعد قوله ﷺ (يسُّب الرجل أبا...) ويؤيد ذلك رواية مسلم (من الكبائر أنْ يشتُم الرجل والديه) حيث وضّحت المعنى المراد

ففى هذا الحديث : قدّم الرسولُ ﷺ أمراً يستثير السؤال، فدار الحوارُ بينه ﷺ وبينَ صحابته، ولذلك سُئل سؤالاً من الصحابة فى بعضها، وتابع التّكلم بالجواب توفيراً للسائل أنْ يسأل فى بعضها الآخر؛ لأنّ شتمَ الرجل والديه أمرٌ عجيب ، ومستقبح .

والمُتأمل فى عبارة (إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه) يجد أنّ : « تقديم الخبر العجيب عند السامع لعدم جريه على المألوف العام من القواعد والعادات، فتشرأبُ إليه القلوب مُتمثلة فى الأسماع والأنظار. وتدرك ما وراءه طلباً منه ﷺ لتقرر المعنى »[1].

وبهذا الإخبار النبوى الذى دعا السّامع إلى الاستفهام بادئاً استفهامه بهذا النداء : (يا رسول الله)؛ وذلك للتعظيم والإجلال، ومُتبِعاً استفهامه الإنكارى[2] بقوله: (وكيف يسبّ الرجل والديه) ؟! مُتعجباً، ومستبعداً أنْ

([1])الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٣٨٧.

([2]) من معانى الاستفهام : الإنكار للتوبيخ بمعنى ما كان ينبغى أنْ يكون أو لاينبغى أنْ يكون. ينظر الإيضاح ١٤٢ . و الإكسير فى علم التفسير :للطوفى البغدادى ، ١٩٨ ت: د٠ عبد القادر حسين، دار الأوزاعى للطباعة، ط٢، ١٩٨٩م .

يحدث مثل ذلك (سبّ الرجل والديه)؛ لأنّ « الطبع السليم يأبى ذلك »[١]. وأيضاً؛ لأنّه منافٍ للفطرة، ومثيرٌ للعَجب .

ولذا، أجاب الرسولُ ﷺ مُفصلاً وشارحاً لما أجمَلهُ بقوله (يلعن الرجل والديه) فأكّد لصحابته حصول ذلك الأمر فى صورةٍ غير مقصودة ألا وهى(يسبُّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه... أمه) وهنا استراحت العقول من عناء فهم ذلك الأمر المهُول، ووضح المعنى لدى المُتلقى .

وفى قولهﷺ (يسبُّ) بصيغته بالمضارعة؛ وذلك: لاستحضار الحالة بين المُتسابين، وتبادلهم للشتائم، واللعنات، بغرض تقبيح الفعل، والتّنفير منه .

ففى هذه العبارة تحذيرٌ من النبى ﷺ من التطاول على الوالدين، وعقوقهما فبدلاً من أن يعبر النبى ﷺ أسلوب النهي (لا تسبوا) عبّر بالخبر(أنْ يسبُّ) حيث« إنّ إخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيدٌ للأمر وإشعار بأنّه مما يجب أنْ يُتلقى بالمُسارعة إلى امتثاله »[٢].

وفى قوله ﷺ (أن يلعن الرجل والديه) مجازٌ مرسل، وعلاقته المسببة، حيث أطلق المُسبب، وهو (لعن الرجل والديه)، وأراد السبب، وهو (سبّه لوالدىّ غيره) .

---

(١) عمدة القارى ١٨ /١١٨.

(٢)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى الخوارزمي ١ /١٣٧، دار المعرفة للنشر.

والتعبير بالمجاز أبلغ من التعبير باللفظ الصريح؛ لأنّه أفاد المبالغة فى خطر سبّ الآخرين، وجعله لعناً للوالدين، بغرض التنفير، والتحذير من عاقبته، وكى ينأى عن فعلهِ هذا، ويرجع عن كبيرته .

وفى تعبيره ﷺ بالمصدر المُؤول(أن يلعن الرجل) أبلغ من التعبير بـ(لعن الرجل)؛ لأنّ « الجملة الاسمية تُفيد الثبوت، والفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث، وشتم الرجل أبويه أمرٌ لا يُراد ثبوته فضلاً عن كونه غير ثابت، ولا مُستأصل فى العادة بدليل استنكارهم حصوله، وكأنه ﷺ يقول من الكبائر أنْ يحدث هذا وإنْ لم يكن موجوداً، وإذا عُلم أنّ المضارع يستحضر الصورة غير الحاضرة فى الأذهان كأنّها ماثلة وقت النطق به علمت قيمته التعبيرية هنا، ولذلك فزَع الأصحاب واستنكروا لتصورهم هذه الصورة القبيحة واقعة فى الحال »[1].

وفى تكرار النبى ﷺ للفعل(يسب، فيسب، ويسب) ثلاث مرات، إشارة إلى أن الرجل الذى يسب غيره هو السبب فى وقوع السّب على والديه، ولجعلِه ملءَ الأسماع، و لتقريره فى الذهن، وللّتحذير من هذا الفعل المستقبح .

فكان يكفى أنْ يقول (فيسب أباه وأمه) ولكن التكرار يوحى بأنّ لكلّ من(الأب والأم) سببٌ مستقل عن الآخر، فلذا كُرر النبىُ ﷺ هذا الأمر لخطورته، ولأهميته، ومدى شناعته، حتى ينأى المرء عن سب الوالدين

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٢٠١، ٢٠٢.

حقيقة، أو التسبب فى سببها، كما فى قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴾ [الأنعام:١٠٨] .

فـ « التكرار من أقوى طرق الإقناع، وخير وسائط تركيز الرأى، والعقيدة فى النفس الإنسانية على هينةٍ وهوادة ، دون استثارة لمخالفيها بالجدل أو المُشادة »(١).

وفى عبارة (يسب الرجل) أتى النبىُ ﷺ بأقل الأشياء. فما بالك إذا تعدّى الرجل بالفعل المؤذى كالضرب والاعتداء، لكان أعظم، كما أنّها تُفيد عدم المساس بالآخرين، وإلحاق الضرر بهم ولو بالكلمة .

وقد ذكر ﷺ الأُمّ :(يسب أُمّه)؛ لزيادة تعظيم خُطورة الأمر، فلا يكتف المسبوبُ بسبّ أباه، ولكنْ عدىَ على أُمّه أيضاً، وهذا فيه من الإيذاء، والنكاية بالسّاب ما فيه.

وكما قال الشافعى(٢):

---

(١) مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب أ٠أمين الخولى ١٥٩، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣ م .

(٢) الإمام الشافعى هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان... بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشى المطلبى الشافعى، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف المذكور، وباقى النسب إلى عدنان معروف، وكان الشافعى كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول =

ومنْ هابَ الرجال تهيّبوه ومنْ هانَ الرّجال فلن يُهابا[1]

وجعلَ النبىُ ﷺ السّب من الكبائر؛ لأنه نوعٌ من العقوق، وإساءة للوالدين، وكُفرانٌ، وجُحود لحقهما فى مقابلة إحسانهما وعطفهما، لذا حذّرﷺ من هذا الفعل القبيح(السباب)، ويدعو إلى الأخلاق الحِسان ، وسلامة وصون اللسان.

ﷺ ، وكلام الصحابة ﷺ وآثارهم .. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٤ / ١٦٣، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١ .

(١) ديوان الإمام الشافعى ، ٤ ، مكتبة القدس (ب.ت) .

• عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا . قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: • الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: • أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ " قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ " [١].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يُحذّر من أُمهات المعاصى التى تقطع الأواصر بين الناس، ويُظهر عند ذكرها الاهتمام بها أكثر من سواها، وبخاصة شهادة الزور لما لها من خطرٍ عظيم على الفرد وكيانه، والمجتمع واستقراره، وبُنيانه .

التحليل البلاغى:

وظّف الرسولُ ﷺ فى هذا الحديث الشريف أسلوبَ التدريج البلاغى للمعنى، فاستخدم عدة ألوانٍ بلاغية منها: الاستفهام بلفظ (ألا) [٢] **الدالة على تنبيه المُخاطب، وعلى تحقيق ما بعدها .**

([١])صحيح البخارى ،كتاب الشهادات، باب ما قيل فى شهادة الزور ٥ /٢٢٣٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب بيان الكبائر ٩١/١.

([٢]) ألا : بفتح والتخفيف على خمسة أوجه أحدها أن تكون للتنبيه فتدل على تحقق ما بعدها..ويقول المعربون إنها حرف استفتاح فيبنون مكانها ويعملون معناها ، وإفادتها التحقق من جهة تركيبها من الهمزة و(لا) وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادتها التحقيق . ينظر مغنى اللبيب ١ / ٩٥ .

وكذلك تعبيره ﷺ بلفظ (النبأ)[1]، حيثُ زاد المُخاطب تشويقاً؛ لأنّ « مادة الفعل (أنبئكم) تعنى الخبر العظيم، فالخبر إذا كانَ مُحقق الوقوع ذا فائدة جليلة يحصُل به علم أو غلبة ظنّ يطلق عليه بهذه القيود نبأ، فحقّ الخبر الذى يُقال له نبأ أنْ يتعرى عن الكذب كخبر الله تعالى وخبر نبيه ﷺ والتواتر»[2]. ولذا سمى اللهُ تعالى القرآن وما فيه (نبأ): فقال﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ [النبأ ١-٢] .

وأيضاً جاء التكرار فى قوله ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) [3] ؟ تأكيداً، ولرفع درجة الشعور والإحساس بالخطر المتوقع من هذا التكرار، وأيضاً إنّ:« تقديم السؤال فى الحديث قبل الدعوة إلى مضمونه التشريعى(ألا أنبئكم) ؟ لقَرعٌ للأجراس إلى دعوة هامة تستلزم الانتباه»[4] .

واستخدام النبىُ ﷺ أفعل التفضيل (أكبر)، وأضافه إلى الجمع (الكبائر) مما يجعل المُخاطب فى قمة التشويق، والانتباه، ويملك عليه فهمه، وسمعه، وذلك منْ أجلِ تحقيق الانتباه إلى الخطأ، وأخْذ الحذَر من الوقوع فيه، وبيان عظمِه، وعاقبته .

---

(١)النَّبَأُ : الخبر والجمع أَنْبَاءٌ وإِنَّ لفلان نَبَأً أَي خبراً . اللسان مادة(نبأ) .

(٢) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية : د٠ صباح عيد دراز ،٧ ، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٨٦ م .

(٣) سبق تعريف الكبيرة . ينظر ١١٨ فى (سب الرجل والديه) من هذا البحث .

(٤)البيان النبوى: د٠محمد رجب البيومى، ١٩٥ ، دار الوفاء للطباعة .

وفى تكراره ﷺ (ثلاثاً)، وذلك: لرفع درجة التشويق، والإثارة التى تهُزّ الوجدان، وجعلْ المخاطب فى قمّة التّرقب لقوله ﷺ، ولم يبدأ بالمُحذّر منه إلا بعد ثلاث [١] .

فـ: التكرار يلفتُ المخاطب إلى أنّ « للمُتكلم عنايةً واهتماماً بهذا الذى يُعيده، ويكرره بلفظه ومعناه، ويحمِلنا على أنْ نبحث عنْ مُراده منهُ، وما قصدَ إليه به ،احتياطاً لمعناه، وتقريراً له، ولمغزاه فى أنفسنا وأنفس المُخاطبين به »[٢].

ولذا، سارع الصحابة بقولهم (بلى يا رسول الله) ﷺ بعد أنْ هيأ القلوب والعقول .

---

(١)بل قدّم عليه ما رسخ فى أذهانهم قُبحه، وما استقر فى طبائعهم عِظمَهُ، ليكون مقصود النبى ﷺ مقترناً بالمعلوم لديهم، فيصغوا لما بعد ذلك . ومنْ شأن النبى ﷺ تكراره الكلام ثلاثاً ليُفهم عنه ، فـ «عن أنس عن النبي ﷺ : أنه كان إذا سلم ثلاثا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً» . صحيح البخاري، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ١ /٤٨ .

(٢) التكرار بلاغة : د٠إبراهيم عبد الله الخولى ، ١٤٧ ، دار الأدب الاسلامى ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م .

وهنا أفاضَ الرسولُ ﷺ مُفصّلاً كلامه، فبدأ بقوله: (الإشراك بالله)[1][2] فهو خبر لمبتدأ محذوف :أى أكبر الكبائر (الإشراك بالله)؛ لأنّه ليس بعد الكفر ذنب .

وحُذف المسند إليه (أكبر الكبائر) لضيق المقام[3] ، وإنّما خصّه الرسولُ ﷺ بالذكْرِ هنا؛ لغلبته فى الوجود؛ حيث عطفه الرسولُ ﷺ على الإشراك بالله تعالى؛ دلالة على شدة وفظاعة أمره. ففى الجُمل وصل : حيث عُطفت على ما قبلها لوجود المناسبة وعدم المانع من الوصل، وهو التوسط بين الكمالين[4].

وقوله ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) فيه إجمالٌ فى التعبير، وقوله: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين..) تفصيل بعد الإجمال أحدث تطلعاً، وتشويقاً؛ لأنّ « النفس تتطلع دائماً إلى إيضاح المبهم وإلى تفصيل المجمل، فإذا بدء الكلام بالإجمال ترقب النفس وتشتاق إلى بيانه، فإذا ما جاء التفصيل صادف نفساً مُهيأة مترقبة فيتمكن فيها، ويثبت، وغالباً ما يكون فى الأمور المهمة »[5].

---

(1) المراد به جعل مع الله إله آخر، ولذا فنهاية الإشراك بالله قوله تعالى {فتقعد مذموما مدحورا} الإسراء :٢٠

(2) سبق الحديث عنه ينظر ٢٩ فى (السبع الموبقات) من هذا البحث .

(3) من أغراض حذف المسند إليه . الإيضاح ٣٨ .

(4) سبق تعريفه ٩ فى (الظن) من هذا البحث .

(5)التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ٥٦ ، ط. مطبعة الحسين الإسلامية(ب.ت) .

وفى اقتصار النبى ﷺ على شهادة الزور فى قوله (ألا وشهادة الزور)[١]؛ لأنّ الإشراك بالله ينبو عنه قلب المؤمن، وكذلك عقوق الوالدين .

أمّا (شهادة الزور) فقد كررها ﷺ هى و(قول الزور)؛ للتنبيه على خطرها، وتعظيماً لقبحها، وأكثر الناس يتهاونون فيها [٢].

وجملة: (وجلس وكان مُتكئاً) جملة حالية. وفى رواية مسلم وأخرى للبخارى (وكان متكئا فجلس)[٣] .

*** ولعل سائلاً يتساءل عن تصرُفه ﷺ من اعتداله وجلوسه عند ذكره (شهادة الزور) رغم أنّه ذكر قبلها الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين، وكلاهما خطير، ولم يعتدل عند ذكرهما، ولم ترتفع نبرة حديثه، ولم يكرر مقالته ؟ .**

والإجابة: هو أنّ الجملة الحالية(وجلس وكان مُتكئاً) تعكسُ العناية، والاهتمام الشديد بالخبر، وخُطورته، فالرسول ﷺ يريد التحذير من قول الزور، وتعظيم خطره على الفرد والمجتمع؛ لأنّ شهادة الزور، قول الزور أكثر الأشياء وقوعاً من الناس، والتهاون بها أكثر؛ وجلوسه ﷺ المُفاجئ

---

(١) فى رواية للبخارى (شهادة الزور) ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٥ /٢٢٣٠.

(٢) ولأنّ « الدواعى إليه كثيرة وأسهل وقوعاً على الناس، والشرك ينبو عنه المسلم، وعقوق الوالدين ينبو عنه الطبع » عمدة القارى ١٨ /١٢٣.

(٣) صحيح البخارى ، باب عقوق الوالدين ٥ / ٢٢٢٩.

المصاحب لحديثه بعد أنْ كان متكئاً (وجلسَ وكان مُتكئاً) يُحقق الالتفات، والتنبيه لكل المخاطبين، ويشير إلى خطر، وعِظم ما سيُلقه ﷺ – بعد جلوسه – ويجعل المخاطب مُترقباً متطلعاً، ومرتبطاً بالمتكلم بحاسة البصر والسمع مما يُحقق للخبر المُلقَى الثّبات فى النفس، وأدعى إلى البُعد عن قول الزور، والنأى بالنفس عن الوقوع فى شراكها . وأيضاً لأنّ الحوامل كثيرة [1] .

واستخدام الرسول ﷺ وسيلة من وسائل التصعيد الفعلية ألا وهى: الحركة فى جلوسه قبل التكلم وشهادة الزور(وكان متكئا فجلس)؛ لأنّه « قد يكون الفعل قبل العبارة لافتاً ومُشوقاً، فإذا تبعه البيان ازداد الغرض تقرراً لا يسهُل فى العادة نسيانه، فإذا ظُنّ به النّسيان كذبت الظنَّ المناسبةُ والحقيقة التى سرْعان ما تُبرزه جلياً كيوم تلقّيه »[2].

وفى رواية (ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور)[3]**، حيث عطفَ الشهادة على القول وذلك :عطف تفسير من باب التأكيد ، لما بينهما من**

---

(١) وقال العينى: إنّ « الحوامل عليه كثيرة : كالعداوة والحقد والحسد فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، والشرك مفسدته قاصرة، ومفسدة الزور متعدية »، أمّا الإشراك بالله فمفسدته قاصرة على الفرد ؛ بشرط ألا يكون مُفسداً لغيره . عمدة القارى ١٨ /١٢٤.

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٧٧ .

(٣)الزُّور : الكذب والباطل وقيل شهادة الباطل .اللسان مادة (زور) ، وهو فى الأصل: الانحراف ، وفى الاستعمال هو : تمويه الباطل بما يُوهم أنه حق . عمدة القارى ١٨ /١٢٤.

كمال الاتصال، فالأولى مُبينة للثانية، وليس من عطف الخاص على العام .

وقد فصلَ الرسولُ ﷺ بين المتعاطفات وهى: (الإشراك بالله)، (عقوق الوالدين)، (وشهادة الزور) بقوله ﷺ (ألا) للتنبيه (ألا وقول الزور)؛ وذلك: تعظيماً لشأن قول الزور، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته .

ومن كثرة تكراره ﷺ أشفق عليه الصحابة الكرام، ودلّ على ذلك تمنيهم سكوته ﷺ فى عبارة (فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)، حيث عبّر بالمضارع الدال على الاستمرار مع استحضاره للصورة فى قوله(يُكررها) وقبله عبر بالفعل (ما زال) الدال على الاستمرارية.

واستخدم الرسول ﷺ (حتى) التى تدل على الغاية: أى أنّ الأمر بلغ غايته.

وجاء الفعل (قلنا) متصلاً ضمير الفاعلين(نا): إشارة إلى عموم الإحساس لدى الصحابة بمدى انفعاله ﷺ، وتجاوبهم وجدانياً مع حديثهﷺ حتى أشفقوا عليه من شدة تأثيره

وآثر الصحابةُ الكرام التعبيرَ بـ (ليته) **بدلاً من** التعبير بـ(لعله)؛ لأنّ (ليت) تستخدم فى تمنى البعيد، والمستحيل، فمن طُول ما كرر النبىﷺ ، وشدة انفعاله، وتأثره ﷺ استخدموا (ليت) التى جعلت سكوته أمراً بعيد الحصول .

والمتأمل فى عبارة (سكت) على لسان الصحابة الكرام، حيث جاء التعبير بالخبر(ليته سكت)، فى موضع الإنشاء : (اسكت)؛ وذلك تأدباً من الصحابة الكرام مع الرسول ﷺ ، فهُم لا يقدرون على النّطق إجلالاً له ﷺ ، واحتراماً له، وحباً له، وإشفاقاً عليه من انفعاله ﷺ .

وفى رواية (حتى قلتُ لا يسكت) أى الراوى، وذلك لما حصلَ لهم من الهلع والخوف من هذا التكرار لاستدعاء المقام له، ولخُطورة وقبح شهادة الزور، وأثرها الوخيم على الفرد والمجتمع .

فالرسول ﷺ كرّر تحذيره من شهادة الزور، ونبّه على خطرها ، وهذا يدلّ على سعة أفقه ﷺ، وإدراكه لهذا الخطر، وحفاظاً على المجتمع من الانهيار، ولعدم تفكُك رباط الأمان، أو حدوث خللٍ فى البنيان الاجتماعى .

تحذيره ﷺ لمن قتل معاهداً

• عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضى الله عنهما- عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا "[١] .

شرح الحديث

أعطى الإسلامُ عهْدَ أمانٍ لمن دخل فى بلاد المسلمين ممنْ ليسوا على دين الإسلام، فهم رحمٌ بيننا فى الإنسانية، ولذا، يُحذّر الرسولُ ﷺ من نقض هذا العهد المبرم، أو الضّربِ بصك الأمان هذا عرضَ الحائط، وإيذاء النفس، أو الاعتداء عليها، أو ظلمها حقها، أو الانتقاص منها، حيث قال ﷺ « ألا منْ ظلم مُعاهداً، أو انتقصهُ حقّه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذَ منه شيئاً بغير طيبِ نفسٍ فأنا حَجيجُه يوم القيامة»[٢]، وكذلك قال ﷺ فى رعاية النفس البشرية بصفةٍ عامة، حينما مرّت به ﷺ جِنازةٌ فقامَ لها، فقال الصحابةُ: إنّها جنازةُ يهودىّ، فقال ﷺ (أليستْ نفساً)[٣].

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الديات، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ٣ / ١١٥٤ .

(٢) سنن أبى داود ، باب تعشير أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ ٢ / ١٧٨.

(٣) صحيح البخارى ، باب من قام لجنازة يهودى ١ / ٤٤١ ، و/ صحيح مسلم ، باب القيام للجنازة ٢ / ٦٥٩.

التحليل البلاغى:

بدأ النبىُ ﷺ هديه الشريف بأسلوب الشرط (منْ قتل مُعاهداً) [1][2]، وذلك :لإفادة العموم، وتنكير المفعول به فى جملة الشرط (مُعاهداً) فى قوة عموم اسم الشرط لشمول الحكم كلّ فرد منها بحيث يشمل أىّ (قاتل) لأىّ (مُعاهد) فهنا تحذيرٌ، وترهيب من ذلك الفعل الشنيع .

وقد جاء جوابُ الشرط جملة فعلية فى قول الرسول ﷺ (لمْ يُرحْ رائحةَ الجنّة)؛ وذلك: استحضاراً لصورة الجنة أمامه، والتحسر على حرمانه من رائحتها .

وهذه الجملة: كناية عن صفة عدم دخوله الجنّة، وحرمانه منها أبداً .

---

(1) المعاهد :المُعَاهَدُ الذِّمِّيُّ وأَهلُ العهدِ أَهل الذمّة فإذا أَسلموا سقط عنهم اسم العهد. اللسان مادة(عهد) .

والعهد : الأمان واليمين والموثِق والذمة . مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي بن عبد القادر الرازي ، باب العين ، ٢٥٣ ، دار الحديث، القاهرة .

(2) وفى رواية أخرى :(نفساً مُعاهدة) . المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله محمد النيسابورى ، كتاب الإيمان ١٠٥/١ ،و صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه ت: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٠م . فـ « التأنيثُ باعتبار النفس ، والأول باعتبار الشخص ويجوز فتح الهاء وكسرها، والمراد به من له عهدٌ بالمسلمين سواء كان بعقد جزية أو هُدنه من سلطان أو أمانٍ من مسلم » . عمدة القارى ١٩ /٣٥٦ .

والتعبير بالكناية أبلغ من التصريح؛ لأنّها أخرجت المعقول فى ثوب المحسوس، وهذا أثبت فى ذهن السامع، وآكد للمعنى لديه، وذلك بتوظيف الرسول ﷺ للكناية بتخيُرِه للألفاظ السهلة والمتناسقة، وحُسن إيقاعها مما أضفى على المعنى البهاء، والجمال ، فلا بد « أنْ تكون التراكيب والعبارات ذات نغمة عامة ملائمة لما يُوصف »[١] .

وفى تعبيره ﷺ بجناس الاشتقاق[٢] فى فى قوله (لم يُرِحْ رائحة) فالمتأمل فى هذه الجملة يجد « جمالاً مُوسيقياً مُنبعثاً من اللفظ، كما يُعبر عن تمام الفعل، وحقية حُدوثه، وكأنما تُصوّر الحاء احتكاك هذه الرائحة بما تَمُرّ به وبحّتها تُفيد العمق، وغاية التأثير»[٣] .

وفى تعبيره ﷺ بـ(رائحة الجنة)، حيث إنّ الرائحة لها رسوخ فى المفهوم الإنسانى، وعموم فى التأثير لديه .

وفى قوله ﷺ (وإنّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) **وفى رواية** (سبعين عاماً)[٤] **وأخرى**(خُمسمائة عام)[٥] ، وفى **رواية**(مائة

---

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية:د٠أحمد الشايب ١٠٦، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٨٨ م

(٢) سبق تعريفه ١٢ فى (الظلم) من هذا البحث .

(٣) ينظر الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٥١٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، باب حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ٢٧ /١٣٥ .

(٥)(٦) المصدر السابق ٣٤/ ١٤٢،و ١٤٨ .

عام)[1]، وكلُّ **هذه الروايات** تُوسع المسافة بين الجنـة، وبين منْ حُرِمَ منْ رائحتها.

ووجه الجمع بين هذه الروايات: هو تقريب المعنى إلى الأفهام لكى يكشف لهم الغطاء جُزئيات من الأمور الغيبية .

وفى جملة (وإنّ ريحها توجد من مسيرة) إيغال : أفاد نكتة بلاغية، وهى: المبالغة فى حرْمانه من الجنّة ، وعدم دخولها جزاءً وفاقاً .

وفى قوله ﷺ(من مسيرة أربعين عاماً) « مسافات شاسعة تمتد فيها الرائحة الزكية، والفراغ الذى تملؤه هذه الرائحة غير محدود، حيث يتفاوت مقياس المسير بين إنسان وآخر، أو بين وسيلة وأُخرى... » [2] .

وفى هذا الحديث ذُكر (**أربعين عاماً**) فالعدد هنا : « يُحتمل ألا يكون العدد بخصوصه مقصوداً ، بل المقصود المبالغة والتكثير » [3] [4].

ففى هذا الحديث يُوجّه الرسولُ ﷺ تحذيراً شديد اللهجة من خلال سّياق هذا الحديث، وفيه دقة فى انتقائه للألفاظ المُوحية، والمُعبرة إلى

([2]) الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٥١٣ .

([3]) عمدة القارى ١٩ /٣٥٦ .

([4]) وأيضاً لأنّ: « الأربعوُن أقصى أشدّ العمر، فإذا بلغها ابن آدم زاد عمله ويقينه ، واستحكمت بصيرته فى الخشوع لله تعالى على الطاعة والندم على ما سلف فكأنه وجد ريح الجنة التى تبعثه على الطاعة وتمكن من قلبه الأفعال الموصلة إلى الجنة، فبهذا وجد ريح الجنة على مسيرة أربعين عامًا » . المصدر السابق ١٢/ ٢٣٢ .

من يتعدى على غيره، أو يُزهق روحه، مُبيناً جزاءه يوم القيامة، كما أنّه يدعو ضمنياً إلى الحفاظ على إبرام العهود مع غير المسلمين، وأرواحهم، ورعاية من لهم حقّ الأمان والجوار فى بلاد المسلمين، وهذا مبدأ قرآنى حيثُ قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾ [التوبة:٦].

فأحرى بالبشرية جميعاً أنْ تُطبّق هذا الهدىّ المُحمدى، والمنهج الرّبانىّ فى إعطاء صكوك الأمان، وحُسن الجوار لغير المسلمين فى بلاد المسلمين .

- فما أعظم الإسلام ونبيه- ﷺ .

تحذيره ﷺ من قطع الرحم

• عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهَا مَهْ . قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ . قَالَ أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ . قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَذَاكِ لَكِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ " [1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يُوجه دعوةً عالمية إلى الترابط والتماسك، والتواصل بين الأفراد، والأقرباء، والإحسان إليهم ، وبذل يد العون لهم ، مما يسودُ المجتمع كله القوة والإخاء والتآزر، والتماسك، فبشّر النبى ﷺ بأنّ فى صلة الرحم: زيادةَ الأعمار والأرزاق[2].

وحذّر من قطع الرحم وهجرها؛ لأنّ فيه حرمانٌ من الجنة، فقال:(لا يدخل الجنة قاطع)[3].

التحليل البلاغى:

([1])صحيح البخارى، باب تفسير سورة محمد ﷺ ، ٤ / ١٨٢٨، وصحيح مسلم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤ / ١٩٨٠.

([2]) حديث من سره أن يبسط له فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه، البخارى، باب من بسط له فى الرزق ٥/٢٢٣١.

([3]) صحيح البخارى ، باب إثم القاطع ٥ / ٢٢٣١ .

هذا الحديث يحكى حواراً طريفاً يُثير الأذهان، ويُشوّق النفوس إليه، بين الرحم، وبين اللهﷻ ، يُبين من خلاله منزلة صلة الرحم عند الله تعالى، وعِظم قدرها.

وقد بدأ الرسولﷺ هديه الشريف بهذه الجملة الخبرية، (خلق الله الخلق فلما فرغ من خلقه) وفى رواية (إنّ اللهَ خلقَ الخلق فلما فرغ منه) [١] **مُتبعًا إياها بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وفراغه: إتمامه للعمل؛ لأنّ اللهﷻ لا يشغله شئٌ عن شئ .**

وصدّر الرسولُ ﷺ حديثهُ بلفظ الجلالة (الله) كى يُربى المهابة، ويُضفى على السّياق قُدسية تُوفر عليه إذعاناً، وقبولاً، وخضوعاً .

(وخلق الخلق) جناسٌ مستوفى[٢] **؛ لأنّ اللفظين مُختلفان أحدهما فعل، والآخر اسم، ومن شأنه: توكيد المعنى فى الذهن، وجذبُ السمع، وإثارة العقل .**

وفى رواية (فلما فرغ منه) قال العينى[١]**: هو« مجازٌ عن قضائه وإتمامه فإنّ الله لا يشغله شأن عن شأن، أو يطلق عليه الفراغ الذى هو**

---

(١) الفَراغُ : الخَلاءُ . اللسان مادة(فرغ) . وفرغ من الشئ: أتمه . المعجم الوجيز ٤٦ / مجمع اللغة العربية، ط١٩٩٣.

(٢)الجناسٌ المستوفى : هو أنْ يكون اللفظان المتفقان من نوعين اسم ،وفعل أو اسم وحرف، أو فعل وحرف . ينظر المطول ٤٤٦ ، ولباب البديع د. محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية،ط١ ،١٩٨٦ .

ضد الشغل »[٢] . ونوع هذا المجاز: استعارة تبعية حيث : شبه القضاء والإتمام بالفراغ ، بجامع الانتهاء فى كل .

وفى رواية (قالت الرّحم) **وفى رواية مسلم وأخرى للبخارى:** (قامت الرّحم) **قال العينى**[١]: « إسناد القول إلى الرحم يحتمل أن يكون بلفظ الحال، ويحتمل أنْ يكون بلفظ المقال. **وقيل** هو في الحقيقة ضرب مثل واستعارة إذ الرحم معني، وهو إيصالُ القربى بين أهل النسب، وهى استعارة تمثيلية وهى التى الوجه فيها مُنتزع من أمور متوهمة للمشبه المعقول بما كانت تابعة للمشبه المحسوس، وذلك أنّه شُبهت الرّحم وما هى عليه من الافتقار والصلة والذّب عنها من القطيعة ، بحال مستجير يأخذ بذيل المستجار منه وحقو إزاره، ثم أُدخل صورة حال المُشبه فى جنس المشبه به واستُعمل فى حال المشبه به من الألفاظ بدلائل قرائن الأحوال .

ويجوز أنْ تكون **الاستعارة هنا** : **استعارة مكنية** بأنْ« يشبه الرّحم بإنسان يستجير بمنْ يحميه ويذُبّ عنه ما يُؤذيه، ثم انعقد على

---

(١)بدر الدين العيني هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين،أصله من حلب، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس.وولى في القاهرة الحسبة ..ونظر السجون، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفى بالقاهرة، من كتبه عمدة القارى فى شرح البخارى . الأعلام ٧ / ١٦٣ .

(٢) عمدة القارى ١٨ /١٢٩.

سبيل الاستعارة التخيلية ما هو لازم المشبه به من القيام، ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم رشُحت الاستعارة بأخذ الحقو »[١] .

والأرجح : أنْ يُحمل هذا القول على الاستعارة التمثيلية؛ لأنّ ذلك أنسب للمعنى وألصق بطبيعة السياق وغرضه، مما يحفظ للصورة خصوصيتها المُستمدة من ارتباطها بأجواء ذات دلالة عميقة، ومغزى .

ومما يُرجح كونها تمثيلية أشار د/ أبو موسى بقوله: « لأنّك حين تعتبرها تمثيلية إنما تتناول حالة بكل أطرافها، وأحداثها ومقدماتها، ونتائجها تعتبر قصة كاملة فتُدمجها في مثلها، وتذكر قصة أو حالة لتدل بها على قصة أو حالة ...، ولكنك تحرك شيئا أوسع تُحرك أحداثاً مترابطة وأحوالاً متماسكة لتدمجها فى مثلها»[٢].

وفى رواية للبخارى (فأخذت بحقو الرحمن) [٣] حيثُ استعير ذلك مجازاً للرّحم فى استعاذتها بالله من القطيعة . فهنا استعارة تمثيلية فشبه حالة الرحم وما هي عليه من الافتقار إلى الصلة والذّب عنها بحال مُستجير يأخذ بحقو المُستجار به ثم أُسند على سبيل الاستعارة التخييلية

---

(١) ينظر عمدة القارى ١٢٩/١٨.

(٢) التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان د٠محمد محمد أبو موسى ٢٢٩، ٢٣٠ ، دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٩٧٦م

(٣)الحقو: الإزار ، مختار الصحاح، (باب الحاء) ٩١، وشدّ إزاره على حقوه: أى على خصره ، أساس البلاغة ١ / ١٨٩مادة (حقو).

ما هو لازم للمشبه به من القيام فيكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ثم رشحت الاستعارة بالقول والأخذ وبلفظ الحقو.

والاستعارة هنا بما فيها من الجمال والتشابه والامتزاج من: « النّوع الجيد لما فيها من امتزاج وتناسب وتشابه بين اللفظ المُستعار والمعنى المُستعار له » [1] .

(فقال له: مَهْ) [2] **« هذا القول من الله تعالى، مُوجهٌ إلى من عاذت الرّحم بالله من قطعه إياها »** [3] **سواء كانت استفهاماً أو زجراً. وليس متوجهاً للرحم؛ لأنّها مستجيرة بالله تعالى فكيف يقول لها (مَه)؟ ، والاستفهام هنا: المراد منه : « الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام، فإنّه يعلم السّر وأخفى »**[4].

(قالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة): أى المُستجير الملتجئ بك دون غيرك .

([1])الإكسير فى علم التفسير ١٥١ .

([2])مَهْ: اسم لفعل الأمر مبنى على السكون معناه: اكفف، مختار الصحاح ، باب الميم ٣٤٣ .

([3])عمدة القارى ٢٠ /٣٥٦ .

([4])المصدر السابق ١٦ /١٦.

وفى الجملة : مجاز مرسل[١]، حيث أطلق المسبب (القطيعة)، وأراد السبب(الهجران)، فالعلاقة المسببية . والتعبير بالمجاز أبلغ؛ لأنّه بيّن حالة هذه الرحم، وافتقارها إلى المحبة والوصل . وهنا « يستفاد اسم العلاقة من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة على سبيل المجاز فإنْ كانت الجزء جُعلت العلاقة جزئية، وإنْ كانت الكل جُعلت الكلية »[٢].

وفى تعبيره ﷺ باسم الإشارة (هذا) للقريب؛ ليُشير إلى المقام، والمقام شئٌ معنوى، وإنّما أتى الرسول ﷺ بـ(هذا) ليجعل المُشار إليه كأنّه حاضرٌ فى الذهن، ومُشاهد للعيان مما يُعطى الخبر مزيداً من القوة والتقدير، والالتفات لشأن الرّحم، وحُسن صلتها .

ولذا،(قال: ألا ترضين أنْ أصل من وصلك..) وفى رواية للبخارى(أمَا ترضين)[٣]هنا: كناية عن صفة، وهى عظيم إحسان الله ﷻ .

و(القطع) فى تعبيره ﷺ (وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ): كناية عن حرمان الإحسان .

---

(١) من علاقات المجاز المرسل المسببية: وهى : تسمية المسبب باسم السبب ينظر الإيضاح ٢٧٩ .

(٢) علوم البلاغة (البيان، المعانى، البديع) أحمد مصطفى المراغى ٢٦٣ ، دار الفكر العربى، ط٧، ١٩٧٢ .

(٣) صحيح البخارى ، باب من وصل وصله الله ٥ /٢٢٣٢ .

وهذا التصوير الرائع الذى أعطى للرّحم منزلة خواصّ الملك يدخُلون عليه متى يشاءون، ويطلُبون منه ما يُريدون، وذلك تكريماً وتنويهاً بفضل صلة الرحم .

(والوصل والقطع) استعارتان، لأنّ الوصل[1]، والقطع[2] من الأمور المحسوسة .

وفي تعبيرهﷺ بـ(الوصل) دلالة على: منزلة واصل الرّحم، وعُلو قدرها عند الله ﷻ وفى تعبيره ﷺ بـ(القطع): دلالة على: حُرمة وعظم حق الرّحم، وعقاب قاطعها. والمراد من الاستعارة : تعظيم شأنْ وفضل واصل الرحم، وإثم قاطعها .

ولذا أتى بالاستفهام[3] بـ(ألا ترضين) مُنبهاً ومُقرراً لها، ومُطمئناً لها بالوصل أو القطع، مما دعاها إلى الرضا مُقرةً بقولها (بلى يارب) [4] .

([1]) من المجاز قولهم وصل رحمه وأمر الله بصلة الرحم . أساس البلاغة ٢ /٥١١ مادة وصل .

([2]) من المجاز قولهم: قطع أخاه، وقاطع ، واحذر قطيعة أخيك . أساس البلاغة ٢ /٢٦٢ مادة (قطع).

([3]) من المعانى المجاز ية للاستفهام: التقرير . ينظر المطول للتفتازانى ٢٣٥.

([4]) بلى إيجاب للنفي وتقع جوابا للسؤال المحجوب كقولك أما خرج زيد فيقال بلى . حروف المعاني لـ:أبو القاسم الزجاج ١/ ٦ ت: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٤.

وهنا إيجاز بالحذف، حيث حذف الفعل: (أرضى) للدلالة عليه، ولذا استجاب الله تعالى لها فقال: (فذاك لك) .

وفى رواية مسلم:(قال فذاكِ): إشارة إلى(الرضا) فى قوله(ألا ترضين أنْ أصل من وصلك..).

وفى رواية أخرى للبخارى :(فذلك لك)[١] والإشارة هنا للبعيد: لتعظيم ذلك الحق وكأنه مُشاهد حاضر، حيثُ « جعل بُعد الإشارة ذريعةً إلى التعظيم »[٢] .

وفي رواية أُخرى للبخارى(فهو لك) وهنا أتى بالضمير(هو): لجذب انتباه السامعين، ولفت أنظارهم إلى هذه الرّحم، وحُسن عشرتها. فالضمير(هو) يُصور ما سألت مُحققاً مملكاً لها بلام المِلك[٣] المتصلة بكاف الخطاب، وذلك عزاً وكرامة لها.

ولعِلمِ الرسول ﷺ بأثر هذه الوشيجة على المجتمع، وأمنه واستقراره، أردفها ﷺ بقول الله تعالى﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [محمد :٢٢]. فالآية هنا تُعلى من شأن

---

(١) صحيح البخارى، باب قوله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ٦/ ٢٧٢٥.

(٢) من أغراض تعريف المسند إليه بالإشارة : التعظيم . ينظر الإيضاح ٤٦ .

(٣) (اللام) معناها الملك والإستحقاق . الأصول فى النحو لـ/أبى بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ، ١ / ٤١٣ ، ت :د٠ عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨ .

الرحم، وترفع درجة الإحساس بالخطأ (قطع الرحم) لينأى الناس عن ذلك، ويعيشوا كياناً واحداً مُتحابين.

ففى الحديث تحذيرٌ من خلال السّياق من قطع الرّحم، يدعو للحثّ على وصلها، ليصبح المجتمع بنية قوية متماسكة، ويداً واحداً، لايُنال من وحدته، أو يُضعف من قوته .

• عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ . فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِىَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْىٌ عَنِ الْمُنْكَرِ "[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يبثُ الأمنَ الأخلاقى، والرّقى السلوكى فى المجتمع؛ ولذا أرسى حقّ الطريق، ومهّد للمارّة طريقهم، وللجالسين عليها ما عليهم من حقوق لديها. فحذّر منَ الجلوس فى الطريق؛ مراعاةً لآدابه، وسداً للذرائع التى تُفضى إلى مالا يُحمد عُقباه .

التحليل البلاغى:

صدّر الرسولُ ﷺ هديه الشريف مُخاطباً السامعين بلفظ التّحذير (إياكم) [2] الذى يرفع الضوء الأحمر دلالةً على الخطر قبل وقوعه، والتنبيه عليه قبل الوصول إليه، وذلك من شدة حِرصه ﷺ على

([1]) صحيح البخارى، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها على الصعدات . ٢ /٨٧٠ ، و صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهى عن الجلوس فى الطرقات وإعطاء الطريق حقه . ٣ /٧٥، ٧٦

([2]) ينظر ٤ فى (الظن) من هذا البحث .

لفت الأنظار إلى تهذيب سلوك الإنسان فى الحياة، وفى علاقاته مع الآخرين، فالطريق ملكٌ للجميع يجب عليهم مراعاة هذا الحق وصيانته، سداً للذرائع والفتن.

وفى نهيه ﷺ (إياكم والجلوس فى الطرقات) وفى رواية لمسلم (اجتنبوا مجالس الصعدات)[١] [٢] حيث جاء أسلوب التّحذير مُجملاً لم يتطرق إلى علةٍ داعية إلى هذا التحذير، وذلك : كى يشُدّ القلوب إليه، فيحملهم على إعمال العقل والفكر .

وفى رواية (على الطرقات) [٣] ، حيث: تفيد العلو، والاستعلاء، وإرشاد الرسول ﷺ هنا مقصودُ به الأماكن البارزة، والمعالم الواضحة التى لا غنى للناس عن المرور بها .

وفى هذا الحديث تصعيدٌ بطريق الحوار حيث بدأه الرسولُ ﷺ بـ « أمرٍ غريب يستوجب سؤالاً، ثم يجيب عنه بما يُثير سؤالاً، حتى ينتهى إلى ما يريد غرسه فى الصدور من حُبّ شئ وإجلاله، أو المهابة من شئ والنّفور منه » [٤].

---

(١) صحيح مسلم ، ٣ /٧٥، ٧٦ .

(٢) الصعدات: هى جمع صُعُدٍ وصُعُدٌ جمعُ صَعِيد ، مأْخوذ من الصَّعيدِ وهو التراب. ينظر اللسان مادة(صعد) .

(٣) سنن أبى داود ، كتاب الأدب، باب الجلوس بالطرقات ٢ /٦٧١ .

(٤) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٢٥٦ .

وهذا ما دعى الصحابة إلى الإخبار بعدم استغنائهم عن الجلوس فيها، مُوضحين العلة من ذلك الجلوس بقولهم (ما لنا بدٌ، إنما هى مجالسنا نتحدث فيها). **وفى رواية مسلم** (ما لنا بدٌ من مجالسنا نتحدث فيها) مستخدمين أسلوب القصر، ليُوضح مدى أهمية انعقاد المجالس، والاجتماعات، وعقد الصفقات والبيع والشراء .. وغيرها .

هذا، وقد جاء الفصلُ بين قوله ﷺ (إنّما هى مجالسنا) وقوله: (ما لنا بدٌ) لمَا بينهما من كمال الاتصال؛ حيث جاءت الثانية بياناً للأولى «فلا يصح الوصل هنا؛ لأنّ الجملة الثانية نزلت مع الجملة الأولى منزلة الشئ الواحد، والشئ لا يجوز عطفه على نفسه» [١].

وقد أتى النبى ﷺ بأسلوب القصر(فإذا أبيتم إلا المجالس) لمّا رأى تشبثهم بموقفهم، وضرورة مجلسهم، وأنّه لا يُوجد بدلاً عنه، أى إذا لم تستطيعوا إلا الجلوس، فعليكم أنْ تلتزموا الذوق والأدب . وفى رواية للبخارى ومسلم (المجلس) وفى رواية (فإذا أتيتم إلى المجلس) ليُفيد أنّ ذلك مما يجوز فيه الرخصة فى الجلوس بشرط – وأنّ التحذير ليس لذات المجالس، ولكنْ منْ أجل حُرمة الطريق، وصيانته– .

وبيّن الرسولُ ﷺ الشّرط ألا وهو (فأعطوا الطريق حقها) حيث أتى بالكلام مُجملاً مبهماً كل ذلك؛ ليُلين المشاعر، ويُلهب العواطف حتى يستقيم لها فهم المعنى، فتتقبله . مما دعاهم إلى السؤال (وما حق

(١) تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ١٦٢ .

الطريق)؟ (فأعطوا) أسلوب إنشائى ورد بصيغة الأمر، والغرض منه : التعليم، والنصح، والإرشاد .

وفى قول الرسول ﷺ (فأعطوا الطريق حقها)، استعارة مكنية : حيث خلعتْ هذه الاستعارة على الجماد صورة الإنسان الذى له حق يجب الالتزام به على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا أدل على المعنى، وأوقع فى النفس، وله تأثير السّحر فى النفوس، والإقناع للعقول، وأدعى لمراعاة ذلك الحق، وهذا من جمال الاستعارة . لأنك: « ترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً.. » [1]. حيث تراها نقلت بصنيعها « السامع من حد العيان إلى حد البيان »[2] .

وفى رواية للبخارى (فأعطوا الطريقَ حقه) حيث أتى بالضمير للمذكر وذلك، مراعاة للمارّ فيه . أما رواية (حقها) بالضمير للمؤنث، وذلك: مراعاة للمجالس وحملاً على معنى المجالس[3].

وفى قول الصحابة (يا رسول الله): إشارة إلى تأدبهم، وتوقيرهم للحبيب ﷺ، وتُوحى بامتثالهم لما يقوله ﷺ، وتهيئتهم قلباً ووجداناً لما سيُلقيه على عقولهم .

---

(1) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانى ٣٣ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى،٣ /٤٣٣ ، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩١ هـ .

(3) الحمل على المعنى تأنيث المذكر . ينظر الإكسير فى علم التفسير ١٨٤.

وجاء السؤالُ من الصحابة (وما حقُّ الطريق؟) بذكر الاسم الصريح (الطريق) بدلاً من الضمير (حقها)، حيث وضع الظاهر موضع المضمر[١] وذلك : لكمال العناية بأمره، والتقرير والتمكين لهذا الحق لدى المُتلقى .

ولذا، أتى الرسولﷺ بـ الإيضاح بعد الإبهام حيث قال: (غض البصر و كف الأذى، وردّ السلام، وأمر بالمعروف، نهى عن المنكر) ومنْ شأنه :« أنْ يتمكن المعنى فى الذهن فضلَ تمكن لأنّ المعنى إذا أُلقى على سبيل الإجمال والإبهام، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح »[٢] .

حيث بيّن الرسول ﷺ حقوقاً تعود على الفرد نفسه ألا وهى: (غض البصر)-والمقصود به :السلامة من التّعرض للفتنة بسبب من يمُرّ من النساء، فربما هذا النّظر يجعلُ الجالسَ فى الطريق يشتهى الغاديات أو الرائحات ، ويتعلق قلبهُ بهنّ، مما يدعوه إلى ارتكاب ما لايُحمد عقباه بالقول أو الفعل فى الطريق العام ...

---

(١) وضع الظاهر موضع المضمر ، سبق تعريفه ١٢ فى (الظلم) من هذا البحث .

(٢) الإيضاح ١٩٦ .

وحقوقاً على الآخرين هى(كف الأذى)أى بجميع أنواعه : مثل حجر، أو شوكٍ ؛ لأنّ إماطة الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان [١]، كما أنّ رفع الأذى من الطريق صدقةٌ [٢].

وحقوقاً بالنّفع المُشترك على الجميع ألا وهى:(ردّ السلام، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) [٣].

وفى هذه الجملة: استعارة تصريحية أصلية، حيث: شبه (غض البصر، وكف الأذى، ولزومها، ووجوبها على الجالسين) بالحق الواجب أداءه، واستُعمل لفظ المُشبه به فى المشبه.. وهذه الاستعارة جاءت لتؤكد

---

(١) قال ﷺ « الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق » صحيح مسلم ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها ١ /٦٣ .

(٢) فقد وردَ « عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ » . صحيح البخارى ٢ / ٨٧٤ .

(٣) فـ(ردّ السلام) على من يراهُ من المارّين فى الطريق فيه إشاعةٌ للسّلامةِ والمحبة بين الناس، وسيادة الأمن بينهم ..

(الأمرُ بالمعروف) أىّ نوعٍ من المعروف كالدلالة على الخير، ومدّ يد العون و المُساعدة للمارين فى الطريق، ومعاونتهم إلى عُبور الطريق ..

(والنهى عن المنكر) كأنْ يرى الإنسانُ رجلاً يرتكبُ فعلَ فاضح فى الطريق العام –كما يحدث الآن وعلى الملأ !!– أو يفعل شيئاً يُخلّ بالقيم والأخلاق، والآداب العامة فلابدّ أنْ ينهاهُ .. .

هذا الحق عند الجلوس، فيكون الكلام أوقع فى النفس حتى تكون الاستجابةُ بين العقل والقلب .

كما أنّ **هذه الاستعارة** تدلّ على ألا يتعرضَ المرءُ للفتن، وألا يُلزم نفسه بشيءٍ لا يقدرُ عليه، وصيانةً للفتيات الشّابات فى الطريق، وعدم تقليب النّظر فيهنّ ، لئلا يتأذى الماشى فى الطريق من ذلك، لذا كانَ نهىُ النبى ﷺ عن ذلك حسماً للوقوع فى المفاسد، والوقوع فى حق الله تعالى، وحق العباد .

هذا، بالإضافة إلى ما فى هذه الجملة من إيجاز يُسمى بـ(إيجاز القِصر)[١]، حيث جاءت العبارات قليلة الألفاظ ، كثيرة المعانى، وذلك لإفادة المُبالغة فى مراعاة الأدب فى كلّ شئ، لاسيما فى الطريق .

وقد جاءت هذه الجمل(غض البصر، كف الأذى، ورد السلام) كلها مُتعاقبة متآخية مع بعضها مما تكسب الأسلوب جمالاً، وروعة، ثم المُقابلة بين الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، مما يُفيد الشمول والعموم .

كما أنّ فى قوله ﷺ (أمرٌ بالمعروف ونهى عن المنكر) ذكرٌ للعام بعد الخاص .

---

(١) سبق تعريفه ٥٥ فى الوقوع فى الحمى من هذا البحث .

وفى رواية أخرى للبخارى ومسلم (والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) أى حكم خاص للطريق، ومراعاة آدابها . وهذه الجملة الاسمية تفيد :الثبوت والدوام والاستمرار.

وفيها أيضاً إشارة إلى: أنّ (الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر) واجبٌ طالما أنّ الإنسانَ يعيش على ظهر الأرض .

والمُتأمل فى هذا الحديث يجد المُقابلة المعنوية فالرسولُﷺ **(حذّر) أصحابَهُ فى أول حديثه الشريف**، فقد أرشدهم إلى طريق النّجاة، بأنّه إذا وُجد دافعٌ ضرورى للجلوس فى الطريق؛ فعلى المرء أنْ يُعطيها حقها، ويجلسَ فى الطريق .

وفى آخر حديثه الشريف (رغّب) فى أنْ يكون الإنسان داعياً إلى الله تعالى فى كل وقت، وحين، حتى ولو كان واقفاً فى الطريق .
ولذا، يحثّ الرسولُ ﷺ على مراعاة آداب الطريق .

تحذيره ﷺ من الدخول على النساء

« عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟. قَالَ: " الْحَمْوُ الْمَوْتُ »[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ يدُقّ ناقوس الخطر للبشرية كى تحتاط، وتنتبه فى سُلوكها وتصرُفاتها، فحذّر من الدّخولِ على النساء فى غياب الزوج؛ منعاً للفتن، وحفاظاً على الأعراض، وعلى كِيان الأسرة، وسلامة بُنيانها، وحُرمات البيوت، وعلى المجتمع، وسلامة أركانه وُصولاً بالأُمّة إلى برّ النجاة، والأمان، والطهارة .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ ذلك الهدى الشريف بالتّحذير (إياكم) أى احذروا، وقد « حذفوا الفعل من إيّاك لكثرة استعمالهم إيّاه فى الكلام فصار بدلاً من الفعل » [2].

([1]) صحيح البخارى، باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة ٥ / ٢٠٠٥ ، وصحيح مسلم ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٤ /١٧١١ .

([2]) الكتاب لسيبويه ١ /٢٧٤، ت: عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط٣ ، ١٩٨٨م .

وأتبعُ الرسول ﷺ لفظ (إياكم) بالمُحذّر منه ألا وهو: الجملة الاسمية (الدخول على النساء) ومن شأنها: إفادة الحدوث، والدوام .

ويلفت الذّهن لفظ (إياكم)؛ لأنّ « تصدير الكلام بصيغة التحذير تعجيلً بالإنذار وإعلان الخطورة، ليلتفت السامع بكل ما يملك إلى المُحذّر منه، والتعجيل فى هذه الصيغة مُستفادٌ من بنائها على الإيجاز بحذف الفعل والفاعل، لتكون علماً بذاتها على الخطر»[1].

وهذا التحذير أثار سؤالاً للنبى ﷺ سأله رجل من الأنصار مُستفسراً عن قوله ﷺ (أفرأيت الحمو)[2] .

فأجاب النبى ﷺ بهذا التشبيه البليغ، والتصوير المُنفر وبهذه النتيجة المروعة بقوله (الحمو الموت)؛لأنّ الخُلوة بالحمو إنْ وقعت المعصية أفضتْ إلى فساد الدين، أو الموت، أو تطليق الزوجة ففى كل الأمور هو موت . فما أدق تعبيره ﷺ بهذا اللفظ المُعبر عنه المعنى .

وشّبه الرسولُ ﷺ (الحمو) بـ(الموت) ، وجه الشبه: الهلاك فى كل . تشبيهاً مُجملاً مُؤكّداً، ومنْ شأنه: أن يزيد المعنى بياناً ويبعث النفس على التخيل .

---

(1) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٦٥.

(2) الحمو: حَمْوُ المرأَة وحَمُوها وحَماها أَبو زَوْجها وأَخُو زوجها وكذلك من كان من قِبَلِه يقال هذا حَمُوها ورأَيت حَمَاها ومررت بحَمِيها .. وكلُّ من وَلِيَ الزوجَ من ذي قَرابته فهم أَحْماء المرأَة وأُمُّ زَوجه . اللسان مادة (حمو) .

والمُتأمل فى لفظ (الحمو) وكونه (موتاً) يحصدُ الأرواح إذا دخل على النساء أو تغشّى سِترها . وبهذا التشبيه البليغ « تتضاعف قوة المبالغة وتفسح المجال للخيال لتصور الصفات المشتركة »[١] .

ويلفتُ العقل تخصيص النبى ﷺ (الحمو) دون غيره؛ لأنّ أقارب الزوج ممن يحلّون للزوجة لو لم تكن متزوجة، ولتساهلهم فى الدخول عليها، والحديث إليها .

ولذا، جاء الرسولُ ﷺ مُحذراً بحديثٍ آخر مُتممٍ للفائدة هنا، ومُؤكدٍ لها، وفيه زيادة على الدخول،ألا وهى (البيات عند الزوجة) فى **رواية لمسلم** (ألا لا يبيتنّ رجلٌ عند امرأةٍ ثيب إلا أنْ يكون ناكحاً أو ذا محرم) [٢]. حيث بدأه الرسول ﷺ بهذه الأداة (ألا) المراد بها التنبيه، والاستفتاح، كى يقرع الأذهان، ويُهيئها لما سيُلقيه بعد ذلك .

ثم اتبع النهى بهذه الجملة الخبرية (لا يبيتنّ رجل) ومُرادها الإنشاء[٣]. (أى لا تباتوا) وذلك : لقصد المبالغة فى الطلب، والتنبيه إلى سرعة الامتثال، وحملُ المُخاطب على استعجال تحصيل المطلوب .

---

(١) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان/ أحمد على الحجار ١١٨ ، دار الاتحاد العربى للطباعة .

(٢) صحيح مسلم ، باب تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا ٤/ ١٧١٠.

(٣) التعبير بالخبر موضع الإنشاء: المطول للتفتازانى ٢٤٦ ، و لباب المعانى د. محمد حسن شرشر ٢ /١٣٧، ١٩٨٨.

و جاء المُسند (رجل) نكرة، وذلك لقصد العموم، وليشمل أى رجلٍ داخل على النساء .

وفى تخصيص الرسول ﷺ الوصف بـ(ثيب)؛ لأنّ الثّيب يتساهل الناس فى الدخول عليها، والكلام معها، أمّا البكر فعادةً مصونة ، وجوهرة مكنونة .

ولذا، أردف النبى ﷺ بهذا الاستثناء، وهذا القصر[1] (إلا أنْ يكون ناكحاً أو ذا محرَمْ) حيث قصر صفة (الدخول على الزوجة) بالموصوف وهو (الزوج أو ذو محرم) وذلك؛ ليُبين مخرجاً حلالاً لاقتحام سور النساء، والدخول عليهنّ .

وجاءت رواية أخرى لمسلم، حيث خصّ فيها الرسول ﷺ (المُغيّبة) فحذّر مُصرحاً بذلك، وناهياً من الدخول على المغيبة: (لا يدخلنّ رجلٌ بعد يومى هذا على مغيبةٍ إلا ومعه رجلٌ أو اثنان) فأسلوب القصر هنا : جاء ضماناً للأعراض، وحفاظاً على السُّمعة، ولأنّ الرجل أو الاثنان مع الرجل الداخل لا يجتمعون على ضلالة[2] .

---

(1) أداة القصر والاستثناء ، ينظر الإيضاح ١٢٤، و الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ،٢ /٤٩ ، دار نهر النيل (ب.ت) .

(٢) مصداقا لحديث النبي ﷺ الذي رواه عنه ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: « لن تجتمع أمتى على الضلالة أبدا فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » . المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ١٢ / ٤٤٧ ، ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل،ط٢، ١٩٨٣

=

فتحذيراتُ الرسول ﷺ فى هذه الأحاديث جاءت؛ لإغلاق بابٍ من أبواب الفتن، والنأى بالأُمّة عن ولُوج هذه الأبواب، وحفاظاً على حُرمات البيوت، والأمنْ الأخلاقى للأسرة ، وللمجتمع. فما أعظم الأدب النبوى ﷺ .

تحذيره ﷺ من خطبة الرجل على أخيه

• عن ابْنَ عُمَرَ-رضى الله عنهما- كَانَ يَقُولُ: نَهَى النَّبِىُّ ﷺ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ، أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ»[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ حريصٌ على رباط الألفة والمحبة بين الناس. فيُحذّرهم من بعض دواعى الحقد والتباغض والإيذاء، فى قوله: لا يبع الرجل على بيع أخيه، وصورة هذا البيع كأن يقول للبائع: افسخ هذا البيع، وأنا أبيعك مثله بأقل من السعر الذى اشتريت به، أو يقول للبائع: افسخ بيعك وأنا أشترى منك بأكثر مما بعث به .

وكذلك: حذّر ﷺ من خطبة الرجل على خطبة أخيه، وصُورته: أنْ يخطب الرجل المرأة ويتفقا على صداقٍ معلوم، ولم يبق إلا العقد، فيجئ آخر ويتقدم للخطبة وهو يعلم بكل هذا، ويزيد فى صداقها .

التحليل البلاغى:

بدأ الرسولُ ﷺ حديثه بجملة خبرية (نهى رسول الله ﷺ عن أنْ يبيع..) وأتبع هذه الجملة الخبرية بجملة إنشائية (ولا يخطبْ الرجل)

---

(1) صحيح البخارى ، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ٥ /١٩٧٥، وصحيح مسلم، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ٢ /١٠٢٨ .

وكان حقُ الجملة الثانية أنْ تأتى دون عطف؛ لأنّه لا يصح عطف الإنشاء على الخبر، ولكن صحَ هنا العطف؛ لأنّ الجملة الإنشائية فى تقدير الخبرية، أى: وقال (لا يخطب الرجل) .

فالمراد من نهيه ﷺ عن البيع فى قوله (ولا يبيع على بيع أخيه) « ليس المراد من نهيه ﷺ عن البيع على بيع الأخ، ليس النهى عن نفس البيع، لأنّه مُستجمع لشرائط الصحة؛ وإنّما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع » [١] .

وفى تعبيره ﷺ (بالبعض) فى قوله(ولا يبيع على بيع أخيه) دون الرجل كما فى قوله (ولا يخطبْ الرجل)، وذلك ليشمل بيع الجماعة أو الفرد .

وقد ورد النهى هنا بلفظ الخبر، والمرادُ به النهى، وهو أبلغ فى النهى من التّحذير الصريح؛ لأنّ « خبر الشارع لا يُتصور وقوعَ خلافه، والنهى قد تقع مُخالفته فكان المعنى عاملوا هذا النهى معاملة الخبر المُتحتم »[٢].

ويلفت الذهن تعبير النبىﷺ بـ(الأخ) فى قوله (خطبةِ أخيهِ)؛ جرياً على الغالب، وأدعى لسرعة الامتثال لنهيه ﷺ ، وأبعد عن الإيذاء، والتقاطع بين الأُخوة، وللتلطف والعطف؛ ولأنّ المراد من الأخوة « الأخوة

---

(١) ينظر عن الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٣٢١ .

(٢)شرح النووي على مسلم ٩ / ١٩٢ .

فى الإنسانية، ولو نُفذت واتبعت، لأرستْ قواعد المحبة والإخاء فى المجتمع الذى ينشده الإسلام [١] .

وقيّد الرسولُ ﷺ (إباحة الخِطبة على الخطبة) بترك الخاطب الأول، أو إذنِه للخاطب الثانى منعاً للضغينة فى النفوس، وإيذاء الخاطب، وفساد العلاقات بين الأُسر فقال(حتى يتركَ الخاطبُ قبلَه، أو يأذن له الخاطبُ)، وأكدت رواية مسلم هذا فى قوله ﷺ « المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلّ للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»[٢].

وفى تكرار ذكره ﷺ للمسند إليه (الخاطب) زيادة تقرير وإيضاح[٣]، للمعنى، وأنّ الخاطب هو صاحب القرار، وأنّه مختصٌ بالترك – الخطبة – أو الإذن للرجل .

والعِلــةُ فى تحذيره ﷺ من هذه المنهيات؛ لأنها تُوغر الصدور، وتُورث الشحناء ، وتُولد البغضاء فى المجتمع، وتسعى به إلى الهاوية.

---

(١) من بلاغة الحديث النبوى ، محمد أحمد سحلول ٢ /١٩٢ ، دار الاعتصام، ط٢ ، ١٩٨٥ م .

(٢)صحيح مسلم ، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك ٢ / ١٠٢٤ .

(٣) من أغراض ذكر المسند إليه :زيادة التقرير والإيضاح ، ينظر الإيضاح للقزوينى ٣٩ .

تحذيره ﷺ من سؤال المرأة طلاق أختها

• عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا "[1].

شرح الحديث

النبىُّﷺ يدعو للأمْنْ الأُسرى، والاستقرار الزوجى، مُحذراً من العداوة، والتفريق بين المرء وعشيرته. فبعدَ أنْ **حذّر الرجال**، ونهاهم عن التشاحُن مع الرجال، بخطبتهم على خطبتهم.. **حذّر النساء** من التعدى على النساء، فلا يحلّ لامرأة أنْ تسأل رجلاً، أو تشترط عليه عند الزواج بها طلاق زوجته، **كما فى رواية البخارى** (لا تشترط المرأة طلاق أختها)[2]. أختها فى الإنسانية، أو فى الدين، فلا يكنْ غرضها من هذا السؤال أنْ تحظى هى بهذا الرجل وتستأثر به وحدها، وعليها أنْ تعلم أنّ ما قُدر فى الأزل لها سيكون، وألا تُخرِب على غيرها، فُيخرَب عليها [3].

التحليل البلاغى:

([1]) صحيح مسلم، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ٢ /١٠٢٨ .، وصحيح البخارى،كتاب النكاح ، باب الشروط التى لا تحل فى النكاح ٥ / ١٩٧٨ .

([2]) صحيح البخارى،كتاب الشروط، باب الشروط فى الطلاق ٢/ ٩٧١.

([3]) فقد ورد عنه ﷺ أنّه قال: « ليس مِنا منْ خبب امرأةً على زوجها، ولا عبداً على سيده » ، سنن أبى داود ١ / ٦٦١ .

فى هدى النبى ﷺ إيجازٌ رائع وتعبيرٌ بليغ عن المعنى الذى أراد توصيله فى الأذهان، فبدأ الرسولُ ﷺ بهذه الجملة الخبرية فى قولهِ (لا يحلُ...) والمراد منها: التحذير والتنفير من ذلك الفعل. وفى رواية للبخارى جاء النهى صريحاً(لا تسأل) [١] .

وهنا إيجاز بالحذف، حيث حُذف مفعول(تسألُ): للاختصار[٢]والتقدير زوج أختها.

والمتأمل فى قوله ﷺ (طلاقَ أختها) يجدُ دقة تعبيره ﷺ حيثُ عبّر بلفظ (الأخت)، كى يزيدها حناناً عليها، ويُشعرها بألم ما اقترفته يداها بسؤالها طلاق أختها، والاستحواذ على زوجها، فالأختُ : تشتمل على الأخت فى النسب، والإسلام وغيره، فهى لا تسأل حتى طلاق كافرة التى هى أُختها فى الإنسانية .

وجاء الفعل فى قوله ﷺ (لتستفرغ صفحتها) موصولاً بـ(اللام)[٣] ليُبين علة التّحذير، ونهيهِ ﷺ عن سؤال المرأة طلاق أختها .

وفى قوله ﷺ (لتستفرغ): استعارة تمثيلية حيث: شُبه النصيب والبخت بالصفحة وحظوظها وتمتُعها بما يُوضع فى الصفحة من الأطعمة اللذيذة، وشُبه: الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصفحة من الأطعمة، ثم استعمل المُشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

---

(١) صحيح البخارى، باب { وكان أمر الله قدرا مقدورا }، ٦ /٢٤٣٤.

(٢) من أغراض حذف المفعول . ينظر الإيضاح ١١٢.

(٣) من معانى اللام: التعليل ، تسهيل الفوائد ١٤٠ .

وقد عمدَ الرسولُ ﷺ إلى هذا التعبير المحسوس، وهذا التصوير الرائع، وتقريبه للأفهام ليكون رادعاً، وزاجراً لمن تُسول لها نفسها بتحويل حياة الآخرين إلى جحيم وخراب، وهذا أدعى للامتثال إلى ذلك النهى، وتوجيه ﷺ ، والرضا بقضاء الله وقدره.

(لتستفرغ صفحتها) هنا كناية « مبنية على مجاز، ولو أُخذت على الحقيقة وهى الحصول على إنائها أو طعامها، لهزُل المعنى بين أمرٍ جليل كالطلاق، وأمرٍ سطحيٍ عابر، والإناء رمزٌ للنفقة ... وقصرْ الكناية على باب القليل الدّال على الكثير، والإناء رمز للنفقة، فالأمر أبعدُ من الناحية الاقتصادية، ومعروف أنّ المرأة وعاء الرجل جنسياً وعاطفياً، فهى مستودع لنسبه ومشاعره فالمقصود ما يحتويه جسدها من ملذات تشتمل على الطعام والشراب والجنس، فضلاً عن الإمتاع الرّوحى، كل هذا عبّر عنه بالإناء تعبيراً لطيفاً، مُشيراً إلى الإنفاق الكُلى، والمُتعة الحسية والرّوحية فى الزواج »[١].

ويُؤيد ذلك رواية للبخارى (لتستفرغ صفحتها ولتنكح)[٢]. هنا زاد على علة سؤالها (ولتنكح) زيادةً على خراب ذلك العش الهادئ ، تقتنص هذا الرجل لنفسها .

([١])ينظر الصورة الفنية فى الحديث النبوى الشريف ٢٧٣ .

([٢]) صحيح البخارى، كتاب القدر ، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ٦ /٢٤٣٥ .

وفى رواية مسلم(لتكتفئ صفحتها ولتنكح)، **وفى رواية أخرى للبخارى**(ولتستكفئ إناءها)[1]. والمعنى هنا (كبّتهُ): **ففى هذه الروايتين**: كناية عن سلب ما للزوجة من المنفعة، والعشرة ، وكل ما لها من حقوقٍ عند الزوج، وتُبين مدى عداوتها، وأنها تُريد هدم هذا العشَ الهادئ !!.

* **فالمُتأمل فى هذه الروايات يجد** أنّ: هدفَ المرأة هو : الخراب، والهدم، أو الخراب، والاستيلاء على الزوج .

وفى تعبيرهﷺ (فإنّما لها ما قُدر لها)، أفادت (إنّما) الاختصاص فى المبتدأ؛ لأنّ الخبر مقدمٌ على المبتدأ. **قال عبد القاهر**:« إنْ تركت الخبر فى موضعه فلم تقدمه على المبتدأ كان الاختصاص فيه، وإن قدمته على المبتدأ صار الاختصاص الذى كان فيه فى المبتدأ»[2].

وجاء ﷺ فى قوله(فإنّما لها ما قُدّر لها) مُطمئناً لتلك-(المرأة السائلة طلاق أختها)- كى يُنزل عن عاتقِها عناء ذلك الفعل، ولتُرح قلبها، وتُوكل الأمر لله تعالى، ولتُحد منْ عداوتها بذلك القصر(إنّما)[3]، حيث قصر(ما قُدر لها) بكونه(لها) هى دون غيرها(قصر صفةٍ على

---

(1) المصدر السابق ، باب ما لا يجوز من الشروط فى النكاح ٢ / ٩٧٠ .

(2) دلائل الإعجاز ٣٤٥ .

(3)من طرق القصر إنما، و لطريق إنما مزية على طريق العطف وهى أنّه يعقل منها إثبات الفعل لشئ ونفيه عن غيره دفعة واحدة ، ينظر الإيضاح ١٢٥، ١٣٠

موصوف) كى يُرفق قلبها على أُختها، وأفاد الاختصاص ذكر الضمير (لها).

وليكون لسانُ حالها :

ولنا أرزاقٌ مُتفرقاتٌ فمنْ لم يأتهِ منا أتاها[1]

وفى رواية أخرى للبخارى(فإنّ لها ما قُدر لها) حيث نُزل خالى الذهن منزلة المتردد فأكّد ﷺ الخبر بـ(إنّ) وبتقديم الجار والمجرور، وإعادة الضمير(لها) كلّ هذه المُؤكدات ليدعُوها للرضا، والإيمان بربِّها، وحبّ الخير لأختها كحُبه لنفسها، وبذلك تسعدُ الأسرةُ بالاستقرار، وينعم المجتمعُ بالهدوء .

– فما أعظم أدبَ النبى–ﷺ .

([1]) قاله عبد العزيز الدرينى .

تحذيره ﷺ من الغيبة

• عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟. قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ "[1].

شرح الحديث:

الرسولُ ﷺ بيّن فى هذا الهدى مفهوم الغيبة حتى ينأى كل مسلم عن الوقوع فى براثن الغيبة؛ لأنّها من الآفات النفسية التى تقطع الأواصر بين الناس، ولذا حضّ ﷺ على تجنبها وتجنب مُسبباتها، وقد نهى الله تعالى عن الغيبة فقال﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢] .

([1]) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة ٤ /٢٠٠١.

التحليل البلاغى:

فى هذا الحديث دارَ حوارٌ بينَ الرسول ﷺ وصحابتهِ الكرام، ولغة الحوار هذه « تترجمُ مشاعرهم، وتُجّسدُ أحاسيسهُم، وهذا هو المستوى الرفيع فى العمل الأدبى »[١].

وبدأ الرسولُ ﷺ حديثه بهذا الاستفهام (أتدرون) والمراد منه: التشويق والتنبيه، بغرض إثارة المخاطب، واستحضار هذا اللفظ فى ذهنه، وذلك تمهيداً لتصحيح المفهوم له إنْ كان به خطأ، أو تعريفه به إنْ كان لا يعرفه .

ومما يزيد الأسلوب تشويقاً أنّ لفظ (الغيبة) معلومٌ فى ذهن الإنسان، وصدور الاستفهام(أتدرون) عنها يُوحى بشئ جديدٍ يُلقيه الرسول ﷺ على أسماع المخاطبين .

فالاستفهام « يُهيئ النّفس لتتلقى من السّياق ما يجيش به من خواطر، ومشاعر وصور هى التى جاشت فى نفس مُتلقيه »[٢] .

وفى إيثاره ﷺ التعبير بـ(أتدرون)؛ لأنّ « مقام السؤال يدورُ مضمونه حول قضيةٍ تتصل بالعلم، واليقين، وكأنّ الجهل بها من باب الغفلة

---

(١) من أسرار النظم فى القصص النبوى :د٠ أحمد محمد على الصابونى ٥٤ ، دار الهداية (ب.ت) .

(٢) دلالات التراكيب د٠محمد محمد أبو موسى ٢٤٤، مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٨٧ م ٠

الشديدة عن أمر مهم، وكان الجانبان معاً متعلقين بالدراية، وعدمها، فأنسب ذلك أن يكون مضمون السؤال بقوله (أتدرون) » [1].

فالاستفهام هنا جاء « استدراجاً للمخاطب يوقفه على خطأ فِهْمِه أو نقصه، وأنّه حريٌّ أنْ يُراجع نفسه »[2].

ثم عرّف الرسولُ ﷺ (الغيبة) قائلاً: (ذكرك أخاك بما يكره) فهنا تعبيرٌ موجز، موضح لمفهوم الغيبة؛ لأنّها تأخذ بيد الإنسان إلى قطعِ المحبة، والألفة بين الناس .

وجاء حذف المسند إليه (الغيبة) فى قوله ﷺ (ذكرك أخاك بما يكره) وذلك لدلالة السؤال عليه: أى الغيبة ذكرك .

وفى تعبيره ﷺ بالمصدر (ذكرك) دون الفعل (تذكر) لإفادة الدوام والثبوت مما يُوحى بالقصد إلى الغيبة، والإصرار على ذكر مثالب الآخرين، والتنقيص من قدرهم وشأنهم .

وفى إضافة(كاف الخطاب) إلى المُسند (ذكرُك) إشارةٌ إلى أنّ الغيبة هى ذكر المغتاب لعيوب الناس مُتعمداً، لا مجرد السماع غير المقصود .

---

(1) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٣٨١.

(2) ينظر: من الخصائص البلاغية واللغوية فى أسلوب الحديث النبوى الشريف د. فتحية فرج العقدة ٥٦ .

وفى تعبيره ﷺ بالأخوة فى قوله(أخاك) يزيد فعل المغتاب شناعة وفظاعة .

كما أنّ إضافة (كاف الخطاب) إلى لفظ(الأخ) يكشفُ عن قُبح الفعل، ويدعو إلى وجوب رعاية حق الإخوة من الستر، والحفظ ، والرعاية، وعدم النهش فى عرض أخيه .

وفى تعبيره ﷺ بالمضارعة (يكره) فى قوله (ذكركَ أخاك بما يكره)[١]، وذلك لإفادة التجدد والاستمرار، فكلما تجدد الاغتياب تجدد الكره .

وعبارة الرسول ﷺ هذه دعتْ المخاطب إلى السؤال بقوله (أفرأيت إنْ كان فى أخى ما أقول؟) .

ولذا، استخدم الرسولُ ﷺ فى ردّه على السائل أسلوب الشرط بقوله (إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)[٢]حيث جاء طباق السّلب [٣] هنا مُبيناً الفرق بين المفهومين، ومشاكلةً لأسلوب السائل، ومُحدداً الفرق بدقة بين دلالتين متقاربتين

---

(١) " عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَأْتِيَ بنفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ " . المعجم الكبير للطبراني ٢٠ /٢٧٣ .

(٢) البهت: الباطل الذى يتغير منه، والبهت: الكذب والافتراء. ينظر: النهاية فى غريب الأثر المبارك بن محمد الجزرى، ت: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود الطناحى ١ /١٦٥ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت، ١٩٧٩م .

(٣) تعريفه ينظر ٢٥ فى (البخل) من هذا البحث .

(الغيبة، البهتان) لأنّهما تتفقان فى الانتماء لصفة واحدة منهى عنها، وهي ذكرُ الناس، والخوض فى أعراضهم .

ولذا حذّر الرسول ﷺ منها حفاظاً على الفرد وكيانه، والمجتمع وبنيانه .

وفى الحديث تناسق بين ألفاظه، ومعانيه، كما أنّ فيه نغمٌ صوتى بين كلماته، وعبارته .

• **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ** »[١].

شرح الحديث :

يُحذر النبى ﷺ من صنفٍ ينخر فى كِيان المجتمع، وبِنائه فهو شرٌ محض، ويقطع الأواصر بين الناس وبعضهم، لذا سلطَ الرسول ﷺ عليه الضوء، وبيّن وصفَه حتى يأخذ المرءُ حذرَه، ويتسلّح بسلاحه ضده؛ لأنّ هذا الصنف مُداهن، وسُمى بذلك «لأنّه يُظهر لأهل المُنكر أنّه عنهم راضٍ فيلقاهم بوجهٍ سمحٍ بالترحيب والبِشر؛ وكذلك يظهر لأهل الحق فيخلطه لكلتا الطائفتين، وإظهاره الرضا بفعلهم فلذا استحق اسم المداهنة »[٢].

التحليل البلاغى:

بدأ النبىُ ﷺ تعبيره مُخاطباً السامع بهذا الأسلوب الخبرى كى يستقبله، ويسترعى سمعهُ وانتباهه، وذلك فى تعبيره ﷺ بـ(تجدُ من شرّ) حيثُ جاء الخطاب[٣] للمخاطب المفرد، وقد يأتى للجمع إذا « أُرِيد العموم

---

(١) صحيح البخارى، باب ما قيل فى ذى الوجهين ٥ /٣٢٥١ .

(٢) عمدة القارى، ١٨ /١٧٢ ، و شرح النووى على مسلم ١٦ / ١٥٦ .

(٣) أصل الخطاب أن يكون لمعين وقد يترك إلى غير معين . الإيضاح ٤١ .

للقصد إلى تفظيع حالهم وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها »[1].

وفى رواية لمسلم وأخرى للبخارى (تجدون شرّ الناس)[2] جاء الخطاب بصيغة للجمع، مع زيادة (مِنْ)عند مسلم ، وفيها دلالة على أنّ : هذا الصنف معدودٌ فى زُمرة الأشرار المُفسدين، وليس رئيساً فى الشّر، والفساد .

وفى رواية أخرى للبخارى ومسلم جاء الخبر مُؤكداً بـ(إنّ) فى قوله ﷺ (إنّ شرّ النّاس..)[3] غير أنّ الآخر زاد لفظ (من)، وفى تصدير صيغة التفضيل (شرّ) دلالة:على العقاب، وأيضاً كى « تُثير النفس لمعرفة الخاسر كلّ الخُسران، فإذا تمّ الكلامُ بالخبر بعد التطلع إليه مدت هذه الصيغة له البصر تقيس أعمالها بمقياسه ، حتى تُجانب ماعساها أنْ تكون قد لابستْه من صفته »[4] .

([1]) المصدر السابق ٤١ .

([2])صحيح البخارى، باب قول الله تعالى يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ٣/ ١٢٨٨، و صحيح مسلم ٤ /٢٠١٠ .

([3]) صحيح البخارى، باب مايكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك ٦ /٢٦٢ ، وصحيح مسلم ٤ /٢٠١٠.

([4]) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٤٠٥ .

وفى تقديمه ﷺ (المسند) الجار والمجرور(منْ شر الناس) وتأخيره للمفعول (ذا الوجهين) للدلالة على اهتمام المتكلم بما يُلقيه، ولأهمية الخبر، وعِظم خطره على الفرد والمجتمع، ولكى يُؤهل المُتلقى إلى الإصغاء، وحضور ذهنه إلى ذلك الأمر الجلَل .

وفى قولهﷺ (ذا الوجهين): تعبيرٌ منُفر، حيث أخرج (المنافقَ) فى صورة مُحسة ومُشاهدة للعيان، وهذا أحرى أنْ يتجنبه الناس، ويعلمون صفته، وألا يتّسمُوا بها.

وفى قوله ﷺ (تجد من شر الناس يوم القيامة) ترى أنّ « تقديم الوعيد الشديد بالعقاب، لتُقدر النفس قيمة الفعل، فتفرّ منه هرباً»[١]. فالمراد من الناس هنا« يُحتمل أنْ يكون المراد مَنْ ذكر من الطائفتين خاصة فهو شرهم كلهم، والأولى أن يُحمل على عمومه فهو أبلغ بالذم»[٢].

وفى ذكره ﷺ للظرف الزمانى (يوم القيامة) وتقييده بها؛ لأنها وقت الجزاء، وأنّ الله تعالى سيحاسبه، ويجازيه على ما عمله يوم القيامة .

وفى قوله ﷺ (عند الله) لكى يُنبه الأذهان منْ غفلتها، وليُعلمها أنّ مردها ومآلها إلى الله تعالى، وإذا تيقّن المرء من ذلك فإنّه سيكون حذِراً، ومُتجنباً شرار الناس .

---

(١) المرجع السابق ٣٨٨ .

(٢) عمدة القارى ١٨/ ١٧٣.

وقولهﷺ(عند الله)« تقييد بالظرف المكانى الذى يملك المُجازاة، وقيد بالظرف الزمانى (يوم القيامة) الذى لا يقدرُ منْ يدعي مُلكاً فى الدنيا أنْ يدّعىَ فيه شيئاً وقد اختص بقوله تعالى: لمن الملك اليوم؟ ليقطع أوهامَ الواهمين ويُسقط طمع المتجبرين »[1].

وقد جاء النبى ﷺ بالإجمال فى قوله (ذا الوجهين) وكأنّ سائلاً سأل: (منْ ذا الوجهين)؟ .

فجاء الجواب منه ﷺ بهذا البيان بعد الإبهام؛ وذلك تشويقاً للمُتلقى ليُعرف منْ هو صاحب هذه الصفة البغيضة .. فقالﷺ (الذى يأتى..) حيث نزّل الرسولُ ﷺ غيرَ السائل منزلة السائل، وذلك « للاهتمام بشأن الخبر لكونه مُستبعداً، والتنبيه على غفلة السامع »[2].

وجاء الفصل بين (ذا الوجهين) وقوله (الذى يأتى هؤلاء بوجه..) وذلك لكمال الاتصال حيث جاءت الثانية توكيداً للأولى، فهى بمنزلة نفسها، ولذا فُصل بينهما.

وفى تعبيره ﷺ (يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) إيجازٌ بالحذف؛ حيث حُذف الفعل (يأتى) هنا، وذلك لدلالة الأول عليه.

ولذا ذكرَ الرسولُ ﷺ هذه الصفة الدالة على هذا المُنافق ألا وهى: النميمة التى تُسبب الحقد، وتُربى الجواسيس .

---

(1) ينظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٠٢.

(2) ينظر بغية الإيضاح ٣٦/١ .

وكذلك حُذف الفاعل(الضمير المستتر)، كى تنتبه النفس، وتُعمِل فكرها لمعرفته ، فيكون أبلغ فى التّحذير منه، والبُعد عنه .

والمتأمل فى حديثه ﷺ يجد أنّ فيه تحذيراً من خلال سياقهِ، وذلك للتنفير من صاحب الوجهين؛ لضرره على المجتمع ، وعِظم خطره.

• عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: • إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهْىَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ"[1].

شرح الحديث:

والأصل فى الأُمّة الإسلامية أنْ تكون يداً واحدة لأنّها قائمةٌ على توحيد الله ﷻ، والاعتصام بحبله، قال ﷻ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، لا أقطاراً مُتفرقة، أو جماعات مُتبددة، وهذا الافتراق أمرٌ عارض. ولابد أنْ يهُبّ الجميع لرأب الصّدع، وعدم التشرذُم، والتّفرق. وقد أخبر الرسولُ ﷺ بأمور غيبية تتعلق بمستقبل الأُمّة المسلمة تحذيراً من التفرق، وزعزعة الاستقرار الأمنى، وإشاعة الفوضى فيها[2] .

([1]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣ / ١٤٧٨ .

([2])فعن أبى هريرة ﷺ: عن النبى ﷺ أنه قال: " منْ خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فماتَ، ماتَ ميتة جاهلية ، ومنْ قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبةٍ أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومنْ خرجَ على أُمتّى يضربُ برّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مُؤمنها، ولا يفى لذى عهد عهده، فليس منى ولستُ منه" . صحيح مسلم ١٤٧٦/٣.

التحليل البلاغى:

استخدم الرسول ﷺ عدة ألوان بلاغية لرفع راية خطر التفرق، وتصحيح هذا الخطأ حفاظاً على روح الجماعة المُسلمة ووحدتها، وتحذيراً من كل أشكال التّفرق والتشرذم .

فبدأ ﷺ قوله(إنّه ستكون) بأسلوب التوكيد (إنّ) تأكيداً لمضمون الخبر؛ لأنّه يتعلق بأمرٍ غيبى يتعلق بمستقبل الأمة .

وضمير الشأن المتصل بـ(إنّ) يفيد التشويق والإثارة فضمير الشأن « يُؤتى به على جهة المُبالغة وتعظيم الأمر بذكره مبهماً ثمّ تفسيره»[١].

وفى تعبيره ﷺ بالفعل المضارع (ستكون) واتصاله بحرف (السين)[٢]، للدلالة على الاستقبال، كما أنّ فيه إشارة إلى قُرب ذلك المستقبل .

وهذا الأسلوب الذى بدأ به النبى ﷺ هديه الشريف يُثير مكامن الأشواق، ويبعث اليقظة، والانتباه للمُتلقى لمتابعة الخبر؛ لأنّ النفوسَ شغوفة بمعرفة ما فى المستقبل .

---

(١)ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :يحيى بن حمزة العلوى ٢ / ١٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت

(٢) السين المفردة:حرف يختصُّ بالمضارع، ويُخلّصه للاستقبال، وينزلُ منه منزلةَ الجزء ، مغني اللبيب ١٨٤/١ .

والسين وسوف للاستقبال القريب والبعيد : أسرار النحو فى ضوء أساليب القرآن :د٠محمد يسرى زعير القسم الأول ٣ /٣٦٢ ط ١٩٧٧ م .

وفى قوله ﷺ (هنات وهنات)[1] كناية عن صفة ، وهى ما سيحدث منْ فتنٍ تُصيب الأُمّة، واضطرابات تزلزل أركانها. والغرض من هذه الكناية : هو التّحذير، وللاهتمام بمستقبل هذه الأمة.

والكناية أبلغ من التصريح؛ لأنّها أعطت المعنى بالدليل القاطع، وهذا أدعى لثباتهِ فى الذهن، وأحرى للتمسك بوحدة الأُمّة الإسلامية، وأدعى للعمل بدعوة الرسول ﷺ للاتحاد والتآزر، وهذا من حُسن الكناية؛ لأنّ « الصفة إذا أتيتَ بها غير مكشوفٍ عن وجهها ولم تُصرح بذكرها مدلولاً عليها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها »[2].

وفى قوله ﷺ (فمنْ أراد أنْ يُفرق أمر هذه الأمة فاضربُوه بالسّيف) أسلوب شرط، حيث بينت جملةُ الشرط الخطأ فى قوله ﷺ (فمنْ أراد) الذى يُوقع الأُمّة فى خطرِ التّمزق ألا وهو: (تفريق الجماعة) وجملة الجواب (فاضربوه) صححت ذلك الخطأ، ووصفت له العلاج النافع، والدواء الناجع .

---

(1) هنات: أى : شُرورٌ وفَسادٌ وواحدتها هَنْتٌ وقد تجمع على هَنَواتٍ وقيل واحدتها هَنَةٌ تأْنيث هَنٍ فهو كناية عن كل اسم جنس وفى حديث سطيح ثم تكون هَناتٌ وهَناتٌ أَي شَدائدُ وأُمور عِظام . اللسان مادة(هنا) . و« الهناتُ :جمع هنَة وتطلق على كل شيءٍ، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة » . شرح النووي على مسلم ١٢ / ٢٤١ .

(2)دلائل الإعجاز ٣٠٦

وفى ربطه ﷺ لأسلوب الشرط بـ(الفاء) (فمن أراد) كى يُلغى الفارق الزّمنى بين حُدوث الفتن، والتّصدى بكلّ القُوى لمنْ يُحاول تمزيق الأمة، مما يُعلى بشأن الاتحاد والترابط، ويرفع أهميته فى الأُمّة.

وفى تعبيره ﷺ لفعل الإرادة (فمنْ أراد) دون(فرّق) فيه دلالة على: ضرورة الأخذ على يد المُفرِّق، وردعِه قبل أنْ يشرع فى الفعل، ويحدث مالا يُحمد عُقباه، والإرادة وحدها تُوحى بخطر الأمر وهوله .

وجاء مفعول الإرادة في قوله ﷺ (فمنْ أراد أنْ يفرق) مصدراً مُؤولاً دون المصدر الصريح (تفريق)؛ لأنّ صيغة المضارع تدلّ على التجدد والحدوث، واستمرار الصورة فى الحال، مما يُصور الأُمّة فى اتحادها حالة مُحاولة هذا العابث تفريق هذا الجمع، وتمزيق التّرابط بين جماعة الأُمّة، مما يُجسد خطر هذا الفعل، ويُعظّم جُرمهُ .

وفى تعريفه ﷺ للأُمّة باسم الإشارة (هذه)[١] وذلك تعظيماً لشأنها.

وقد جاءت جملة الحال (وهى جميع) مُعترضةٌ بين الشرط (فمن أراد) والجواب (فاضربوه) وذلك لغرضٍ بلاغى هو : التتميم[٢].

---

(١) من أغراض تعريف المسند إليه بالإشارة ينظر ١٣٤ فى (قطع الرحم) من هذا البحث .

(٢)التتميم : تَمَّ الشي يَتِمُّ تَمّاً وتُمّاً وتَمامةً وتَمَّمَه واسْتَتَمَّه بمعنىً وتَمَّمَه الله تَتْميماً وتَتِمَّةً وتَمامُ الشيء وتِمامَتُه وتَتِمَّتُه ما تَمَّ به . ينظر اللسان مادة (تمم) ١٢ /٦٧ .

وفى اصطلاح البلاغيين هو: أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة بلاغية كالمبالغة ، ينظر الإيضاح ٢٠٥ .

وقد أفاد هذا التتميم: الإشارة إلى أنّ الأصلَ فى الأُمّة هو الاتحاد والترابط، وأنّ المُستحق لجزاء الشرط هو ذلك القاصد لتفريق كِيان الأُمّة المتحدة، والمترابطة .

و(الفاء)[1]جاءت فى جملة الجواب فى قوله ﷺ (فاضربُوه بالسّيف) وذلك لسرعة تعجيل العقاب لذلك المُفرّق للأُمّة [2]، فالفاء للترتيب والتعقيب؛ حيث جاء بعد حدوث نقاط الضعف نتيجة خصال السوء، وكان تعقيب ذلك القصاص الذى نتج عن إرادة تفريق هذه الأُمّة ، والإرادة فيها عزمٌ وتصميم، ولذلك يكون الحد الفاصل فى عقابها هو السيف .

وفى قول الرسول ﷺ (فاضربوه) كناية عن صفة القتل، واستعمال الحسم والحزم معه، كما أنّ فى تعبيره ﷺ بالضرب يفيد : الأخذ على يد هذا المُفسد بمنتهى السّرعة لئلا تتفاقم الأمور بتركه .

وفى تعليق الجار والمجرور(بالسيف) بفعل (الضرب) يُؤكد ضرورة تطهير المجتمع من أمثال هؤلاء المفسدين فى الأرض، والمُفرقين لأمر الأُمّة .

([1])الفاء تكون جواباً فى الجزاء والأمر والنهى :كتاب الأزهية فى علم الحروف/على محمد النحوى البغدادى ٢٤١ .

([2]) ويُؤيد ذلك قوله ﷺ : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ » صحيح مسلم ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣ / ١٤٧٨ .

وفى قول الرسول ﷺ (كائناً منْ كان)إيغال[١]، أفاد: التأكيد على وجوب تنفيذ الجزاء على كل من تُسوّل له نفسه ذلك الفعل البشع مهما كانَ شأنه، ومنصبه، أو جاهه.

وفى قوله ﷺ (إنّه ستكون هنَات) التفاتٌ[٢] حيث انتقل الضمير من الغيبة إلى الخطاب (فاضربوه بالسيف) وذلك لخطورة الأمر، وأهميته، وليدرك المُتلقى عِظم هذا الخطر. ومن فوائد الالتفات « تطرية الكلام، وصيانة السّمع عن الضجر والملل، لما جُبلت عليه النفوس من حُبّ التنقلات، والسّآمة من الاستمرار على منوال واحد»[٣].

ولذا، حذّر الرسول ﷺ من التّفريق بين الأُمّة الإسلامية .

---

(١) تعريفه ينظر ٣٣ فى(السبع الموبقات) من هذا البحث .

(٢) تعريفه ينظر ٤١ فى (جليس السوء) من هذا البحث .

(٣) معترك الأقران :للإمام جلال الدين السيوطى ٣٧٧/١ ت: على محمد البجاوى، دار الفكر العربى .

خاتمة البحث

حمداً لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى، ولاسيما النّبى المُصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه، ومنْ سار على الدّرب واقتفى.

وبعد...،

فهذه دراسةٌ فى بعض تحذيراته ﷺ فى {{ صحيحى البخارى ومسلم }} وهى مُوجهة للأُمّة الإسلامية، والبشرية جميعاً إلى قيام الساعة، وفيها قُمت بتحليل الأحاديث تحليلاً بلاغياً، ومن خلال مُعا يشتى لها وجدتُ جمالاً، وجلالاً، ووجدتُ ما يروى ظمأ القلوب، ويَمسّ شغافها، حيث حاولت الدراسةُ عرضَ رؤية الرسول ﷺ للمُجتمع المُسلم الذى يجب أنّ يتصف بالعفة، والكرامة، والنزاهة، والطُهرِ من العيوب وذلك بإبعاده عن المُحرمات، وعرضَ وسائل تربيته ﷺ لهذا المجتمع على الأخلاق الكريمة، والشّمائل المُحمدية، وحمايته منْ كلّ ما ينخرُ فى كِيانه، ويهدد أركانه، ويُزعزع أمْنه واستقراره .

فالنبى ﷺ يُريد للأُمّة الإسلامية، وللبشرية جميعاً(**الأمنَ الأخلاقى**)كما فى تحذيره ﷺ من (الجلوس على الطرقات..) . و(**الأمنَ الأُسرِى**) كما فى تحذيره ﷺ من الدخول على النساء، وسؤال المرأة طلاق أختها ... و(**الأمنَ السياسى**) كما فى تحذيره ﷺ من(قتل المُعَاهد، والتولى يوم الزحف..)، وذلك من خلال تنظيمهﷺ لحياة الإنسان، وتهذّيبه لسلوكه مع نفسه، ومع أفراد مجتمعه، ومع خالقه ﷻ بمراقبتهِ الله ﷻ فى تصرفاته، كى يعيش الأنامُ فى سلامٍ، وأمان.

كذلك يُريد الرسول ﷺ **الحفاظ على** دين المرء، وعقله، وعلى نفسه، وماله، وعلى عِرضهِ، وأيضاً حفاظه على أمن الوطن، واستقراره وهذا واضحٌ من خلال تحذيره ﷺ من (السّبع المُوبقات) **فى قوله** ﷺ(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ...)، وقد سبق تحليل الحديث . كذلك يُريد الرسول ﷺ **الحفاظ على نفس غير المسلم**، كما فى تحذيره ﷺ من(قتل المُعاَهد) حيثُ قَالَ(مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) .

هذا، وقد استخدم النّبىﷺ عدة أساليب بلاغية فى الحديث النبوى كُلها مُوظفةٌ لمقاصد الرّسالة السّماوية، ومن هذه الأساليب أساليب التّحذير التى تنوعت فى هذا البحث ، حيث وظّفها النبى ﷺ فى التعبير عما يريد بيانهُ .

ومنها التّحذير باللفظ الصّريح كلفظ (إياكم) التى ترفع إشارات الخطر، وتُشير للخطر فى مهده، والوقاية منه، كما فى قوله ﷺ (إياكم والظنّ) (إياكم والجلوسَ على الطرقات..) (إياكم والدّخولَ على النساء) .

ومنها التّحذير بلفظ الأمر الصّريح كما فى قوله ﷺ (اتقوا الظلم).

ومنها التّحذير بلفظ النهى الصّريح كما فى قوله ﷺ (لا تسأل المرأة طلاقَ أُختها..). **ومنها التّحذير من خلال السّياق** كما فى قوله ﷺ (لتتبعنّ سننَ من قبلكم شبراً بشبر...) .

وفى تنّوعهِ ﷺ لهذه الأساليب يُؤكد مدى حرص النبى ﷺ على تبليغ المعنى إلى عقل السامع، وقلبِه، وهذا أحرى إلى العمل بهديه ﷺ.

وأيضاً فى قوله ﷺ (فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا) فى تحذيرهِ ﷺ من سؤال المرأة طلاق أختها فى **مجال العلاقات الاجتماعية** .

هذا، وقد استخدم النّبىﷺ عدة أساليب بلاغية فى الحديث النبوى كُلها مُوظفةٌ لمقاصد الرّسالة السّماوية، ومن هذه الأساليب **أساليب التّحذير** التى تنوعت فى هذا البحث ، حيث وظّفها النبى ﷺ فى التعبير عما يريد بيانهُ .

ومنها التّحذير باللفظ الصّريح كلفظ (إياكم) التى ترفع إشارات الخطر، وتُشير للخطر فى مهده، والوقاية منه، كما فى قوله ﷺ (إياكم والظنّ) (إياكم والجلوسَ على الطرقات..) (إياكم والدّخولَ على النساء) .

ومنها التّحذير بلفظ الأمر الصّريح كما فى قولهﷺ (اتقوا الظلم).

ومنها التّحذير بلفظ النهى الصّريح كما فى قوله ﷺ (لا تسأل المرأة طلاقَ أُختها..). **ومنها التّحذير من خلال السّياق** كما فى قوله ﷺ (لتتبعنّ سننَ من قبلكم شبراً بشبر...) .

وفى تنّوعهِ ﷺ لهذه الأساليب يُؤكد مدى حرص النبى ﷺ على تبليغ المعنى إلى عقل السامع، وقلبِه، وهذا أحرى إلى العمل بهديه ﷺ.

و أيضاً **الإيجاز** الذى امتازت به البلاغة النبوية، وإيجازه ﷺ فى

منطقه لا يأتى إلا منْ نفسٍ قد امتازت بروعةِ الفصاحة، وعُذوبة اللفظ، وسلاسة النّظم. وأيضاً لجأ النبى ﷺ إلى فنْ التّصوير؛ لأنّه لونٌ مُجّسم للأشياء، ونافعٌ فى إبلاغ المعانى، والتأثير فى وجدان المُتلقى. فمن ذلك توظيف النبى ﷺ **لفنّ التشبيه**، حيثُ اشتمل على مساحةٍ كبيرة فى صُور الحديث النبوى وذلك؛ لأنّ البلاغةُ النبوية تلجأُ إلى المُقارنات المُقنعة والمُؤثرة فى تشبيهه ﷺ ، ولأنّ الأفكار هى التى تتطلب الشكل الفنى المُوائم لها من تشبيه، وغيره، **ومن أمثلة التشبيه التمثيلى** قول النبى ﷺ عن (المُنفق والبخيل) بقوله (مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا)، وأيضاً حديثهﷺ عن(الرجل الذى يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المُنكر ويفعله)، فوظّف النبى ﷺ **التشبيه التمثيلى** فى هذه الأحاديث الشريفة، وغيرها من الأحاديث لبيان المعنى الذى يُريد أن يُوصله للمُتلقى، كى يعمل بمُوجب هذه الأحاديث، ويعمل بمقتضاها، وينأى بنفسهِ عن الصفات المذمومة .

والاستعارة فى الحديث النبوى تُعدّ لوناً من ألوانِ التّصوير الذى يمزِجُ بين الأشياء الحسية والمعنوية، مما يُثير الخيالات العظيمة، والواسعة فى النفوس، وأحرى للنفس أنْ تُصدّق، وتعمل بُمقتضى بيانِ النبىﷺ .

ومنها استعارة مكنية منْ أمثلتها **فى** حديثه ﷺ عن (الجلوس فى الطرقات) بقوله(أعطوا الطريق حقها) فوظف النبى الاستعارة لبيان كيفية إعطاء المارةُ الطريقَ حقّهُ من عدم الجلوس فى وسط الطريق،

ومُضايقة المارّين فيه . **ومنها** استعارة تصريحية أصلية ، منْ أمثلتها حديث السفينة فى قوله ﷺ (مثل القائم على حدود).

هذا، وقد تعددت **خصائص هذه الاستعارة** فى الأحاديث النبوية، ومنها :**التجسيم**، وذلك لتقريب المعانى الذهنية المجردة، والمعنوية، وإخراجها إلى المعانى الحسية المُشاهدة، والغائبةِ فى معرِض الحاضر، كقوله ﷺ(إياكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذبُ الحديث).

ومنها: **التّشخيص** له دورٌ فى تصوير العوالم الغيبية، والجمادات، والأعاجم، والمُجردات، ووصفها بصفات بشرية، كقوله ﷺ(اتقوا الشّح فإنّ الشّح قد أهلك منْ كانَ قبلكم) . فالاستعارة أصدق أداة تجعل القارئ يُحس بالمعنى أكمل إحساس، وأوفاه، وتُصور للعين وتنقل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوى ملموساً ، ولذا فقد وظّفها النبى ﷺ، بأنواعها فى التعبير عما يُريد بيانهُ للناس . وأكّدت الدّراسةُ الطابع الحسىّ **للكناية**، وأهمية الحسّ في مُعاملة النفس البشرية، واستنتج البحث أنّ أغلب كنايات أحاديث النبى ﷺ قد وُظّفت للتهذيب النّفسى والخُلُقى، وقد دلّ الحديث النبوى على قُدرةٍ فائقة فى انتقاء عناصر الطبيعة، ومُواءمتها للصورة التعبيرية، لأنّ الطبيعة تمثلُ عموم تأثير الصُورة، واستمرارها، ومصدَاقيتِها . وأيضاً قوله ﷺ (... والتولى يوم الزحف) فى حديثه ﷺعن(السبع المُوبقات) .

كذلك توظيفه ﷺ **للمُحسّنات البديعية** اللفظية كالسجع مثل قولهﷺ (ولا تجسسوا ولا تحسسوا)، ورد الأعجاز على الصدور مثل قوله

ﷺ (منْ أخذ أموال النّاس يُريد إتلافها أتلَفهُ الله)، وغيرها من الأمثلة، وذلك لما لهذه المُحسنات من دورٍ هام فى أداء المعنى، ووصوله إلى ذهن المُتلقى، وهذا أدعى إلى العمل بما فى حديثهِ ﷺ من توجيهاتٍ، وإرشادات فيها سعادةٌ للبشرية .

ومراعاة نظير بين(الظن، والتحسس، والتجسس، التباغض، والتدابر..) فى تحذيره ﷺ من(سوء الظنّ) . وأيضاً مراعاة نظير فى قوله ﷺ (إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصمَ فجَر) فى تحذيرهﷺ من (النفاق).

والقصصُ فى الحديث النبوى يُعدّ تمثيلاً للأفكار الدينية مع أنّه حقائق تاريخية واقعة، والقصةُ غنية بمعانيها العامة، وطاقاتها الوجدانية، وأسلوبها المتميز، حيث وظّف النبى ﷺ **أسلوب القصة** المُصورة للأحداث، وهذا أبلغ من الأمر الصّريح، أو النهى الصريح؛ لما للقصة من تأثيرٍ فى القلوب، ونفاذٍ إلى العقول، و تأكيد للمعنى، وترسيخٍ فى الذهن .

من أمثلة ذلك تحذيره ﷺ من الكبر والتبختر فى قوله (بينما رجلٌ يمشى يختالُ فى مشيته، تعجبه نفسه، مُرجّل جُمّته إذ خُسف به فهو يتجلجل...) . **كذلك توظيفه ﷺ أسلوب الحوار** فى الدلالة على المعنى المراد، مثلَ: حديثهﷺ عن (أَكْبَرِ الكبائر) فى تحذيرهِ ﷺ من (سبّ الرجل لوالديه).

أيضاً من **وسائل التدرج للمعنى توظيفه ﷺ لمُتعلقات الفعل**

وهى التقييد بالظرف الزّمانى (يوم القيامة) كما فى قوله ﷺ (ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا ينظرُ إليهم يوم القيامة...) فحرمانُ هؤلاء الثلاثة من كلام الله ونظره عذابٌ لهم يُصعّدُ الإحساس بهذا العذاب، فتقييده ﷺ بالظرف (يوم القيامة)؛ لأنّ فى هذا اليوم لا يملكُ أحدٌ نفع أحدٍ، أو يدفعَ عنه شيئاً، هذا،بالإضافة إلى إيحاءات اللفظ من خوفٍ وترقّب لكل نفس.

كذلك من **وسائل التدرج للمعنى** توظيفه ﷺ **للحركات التعبيرية**، وغيرها للدلالة على المعنى، مما يتحقق التنبيهُ للمُخاطب، وإصغائه لما يُقال، وأيضاً يتحققُ للخبر الذّيوع، والانتشار، وسهولة حفظ أحاديثه ﷺ . ومثال ذلك قوله ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) وكررها ثلاثاً، وجلس، وكانَ مُتكئاً).

كما تُؤكد الدراسة أنّ :أحاديث النبى ﷺ تتميزُ بشمُولية الأسلوب لمَا يحويهِ من **عناصر الحركة** كـ:الإشارة، والتصوير للأشياء وتخيلها، كما فى توظيفهﷺ للإشارة فى قولهﷺ (ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، وأشار بإصبعيه) .

والمسافاتُ فى الحديث النبوى أطلقت الخيالاتِ الواسعة لدى المُتلقى؛ لأنّها تمثلُ لوحاتٍ عرْضية، ومقيسةٍ بمقياسٍ مُحدّد ، ففى تنويعه ﷺ لأساليب الحديث الشريف عن طريق كِبر حجم المسافة، وعِظمها للمبالغة فى تقرير العذاب والعقاب لمن يخوض فى المعاصى، ولا يبتعد عن تحذيراتهِ ﷺ ، كما فى تحذيره ﷺ (منْ قتلَ المُعاهد) بقوله(... وإنّ **ريحها ليوُجد من مسيرة أربعين عاماً**)، فهنا مسافةٌ

معلومٌ زمنها ألا وهى (أربعين عاماً)، ولكن المسير لمدة أربعين عاماً يصبح مقياساً للمسافة .

وأيضاً كقوله ﷺ (صنفانِ لم أرهُما... نساءٌ كاسيات عاريات لا يجدنَ ريح الجنة وإنّ **ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا**) فى تحذيره ﷺ من(التبرج).

أمّا عن المشاهد الطيبة وصُور الجمال التى جاءت فى هذا البحث، فقد اتسمتْ هذه الصُور **بتعدد مشاهد الجمال كـ(المسك)** فى قوله ﷺ عن **الجليس الصالح** (تجدُ منهُ ريحاً طيبة) مما يدعو إلى الارتياح إلى هذا الجليس الصالح، والرغبة فى مُصاحبتهِ، والحظى بمعرفتهِ .

* **والصورة الشّمية فى حديثه** ﷺ تتخذ حيزاً كبيراً لانتشار الروائح، فلكل رائحةٍ **طابعٌ مادى**، كالانتشار، **وطابعٌ ذهنى** كنوع هذه الرائحة، وسِماتها. **وطابعٌ معنوى** كالارتياح لها .

وهناك روائح صناعية جميلة تُنعش البدن، وتسرّ الروح **كـ(المسك)** فى قوله ﷺ عن **الجليس الصالح** (تجدُ منهُ ريحاً طيبة)، وروائح قبيحة **كـ(الكير)** فى قوله ﷺ عن **الجليس السوء** (تجدُ منهُ ريحاً خبيثة) .

وقد تركزت صلاحية الأسلوب النبوى لكل زمان ومكان على أساليب عامة تتناسب، وتتطور مع الزّمان والمكان الذى يعيش فيه الناس منها:

أولاً: وسائل إعداد المُخاطب نفسياً، وتهيئتهِ لمُناقشة التّحذيرات المُلقاةِ عليه، وتقويمها. **من هذه الوسائل** : توظيفه ﷺ لأسلوب التنبيه كـ(ألا)، والإيضاح بعد الإبهام، واستخدامه ﷺ لأساليب التأكيد مثل (إنّ، واللام، واسمية الجملة) واستخدامهﷺ لأدوات التنبيه والإيقاظ كـ:النداء، والاستفهام، والإغراء، والتّحذير.

ثانيا:توظيف الرسول ﷺ أساليب بيانية كالاستعارة وغيرها كى تُظهر الأخطار، وتُبين أبعادها ونتيجتها، وذلك كي يُحدد (المُحذّر منه) ويُعرّف المُخاطبَ أبعادَ المعصية، ونتيجتها، وطريقةَ تجنّبها، والوقاية من الوقوع فيها، من أمثلة ذلك حديثه ﷺ عن (الظّلم)، و(الشّح) فى قوله (اتقوا الظلم فإنّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشح فإنّ الشّح أهلك من كان قبلكم) فى تحذيره ﷺ من (الظلم) .

ثالثاً: توظيفه ﷺ لألفاظ التعميم حيثُ إنّها من الوسائل البلاغية التى أعطت الأسلوب النبوى صلاحيةً عبْرَ الزّمان والمكان، **فمنها** استخدامه ﷺ (كلّ) فى قوله ﷺ (كلّ أُمتى مُعافىً إلا المجاهرين) فى تحذيره ﷺ من المُجاهرة بالمعصية .

هذا، وتتجهُ دراسة الأحاديث الشريفة إلى وجوب إتّباع منهج الحبيب ﷺ ومحاولة فهم أساليبه البلاغية فى تقويمه للأخطاء والانحرافات، وإبعاد المسلم عن المحظورات، لأنّ هذا المنهج النبوى الشريف قامَ على بناء الأُمّة القوية، وتربيتها على الأخلاق الفاضلة مما يُحقق السعادة للفرد، والمجتمع، والبشرية جميعاً .

وأخيراً اللهَ أسألُ أن: يُجنبنا الزّلل، وأنْ ينأى بنا عنْ مواطن الخلل، وأنْ يُلبسنا الحُلل، وأنْ يُسكننا الظُّلل، وأن يُوفق كلّ من قرأ هذا العمل إلى مرضاة الله ﷻ، والسعى لإحياء سنة الحبيب ﷺ والسير على منواله، ولله الحمد ربّ السّماوات وربّ الأرض ربّ العالمين.

الباحثة/همت القاضى

محتويات البحث

مقدمة .
المبحث الأول: الأسرار البلاغية فى التحذير من الآفات الخُلُقية لهدم العلاقات الاجتماعية.
تحذيره ﷺ من سوء الظنّ .
تحذيره ﷺ من الظلم .
تحذيره ﷺ من البُخل
تحذيره ﷺ من سبّ الرجل لوالديه .
تحذيره ﷺ من السبع الموبقات .
تحذيره ﷺ من الإفلاس الحقيقى .
تحذيره ﷺ من جليس السوء .
تحذيره ﷺ من كثرة الفساد وغياب المُصلحين .
تحذيره ﷺ من الوقوع فى الحمى .
تحذيره ﷺ من الفِتن .
تحذيره ﷺ من المُجاهرة بالمعصية .

تحذيره ﷺ من التبرج والسفور واتباع أعوان الظلمة .
تحذيره ﷺ من شر الناس(بئس أخو العشيرة) .
تحذيره ﷺ من الرياء .
تحذيره ﷺ من النفاق .
تحذيره ﷺ من الكذب .
تحذيره ﷺ من الكذب عليه ﷺ .
تحذيره ﷺ من العُجب والخُيلاء .
تحذيره ﷺ من الكبر .
تحذيره ﷺ من ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة .
تحذيره ﷺ من المشقة على الرعية .
تحذيره ﷺ من التقليد الأعمى .
المبحث الثانى : الأسرار البلاغية فى التحذير من تقطيع الأواصر الاجتماعية.
تحذيره ﷺ من سبّ الرجل لوالديه .
تحذيره ﷺ من أكبر الكبائر (عقوق الوالدين .....) .

تحذيره ﷺ لمن قتل معاهداً .
تحذيره ﷺ من قطع الرحم .
تحذيره ﷺ من الجلوس فى الطرقات .
تحذيره ﷺ من الدخول على النساء .
تحذيره ﷺ من خطبة الرجل على خطبة أخيه .
تحذيره ﷺ من سؤال المرأة طلاق أختها .
تحذيره ﷺ من الغيبة .
تحذيره ﷺ من صاحب الوجهين.
تحذيره ﷺ من التفريق بين الأُمّة الإسلامية .
خاتمة
محتويات البحث
فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ، دار نهر النيل (ب.ت) .

الأدب المفرد الإمام البخارى، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية،ط٣، ١٩٨٩.

أساس البلاغة للزمخشرى : تقديم د محمود فهمى حجازى، الهيئة المصرية لقصور الثقافة ٢٠٠٣م.

الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية : د٠ صباح عيد دراز ، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٨٦م .

أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، دار المنار،ط٥، ١٣٧٢هـ .

أسرار النحو فى ضوء أساليب القرآن :د٠محمد يسرى زعير القسم الأول ط ١٩٧٧ م .

الأزهية فى علم الحروف/على محمد النحوى البغدادى ، ت: عبد المعين الملوحى، ط٢، ١٩٩٣م .

الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د٠مجيد عبد الحميد ناجى، المؤسسة الجامعية ، ط١، ١٩٨٤.

الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية:د٠أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٨٨ م

الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة محمد بن على الجرجانى ، ت:

د٠ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٧ م .

الأصول فى النحو لـ/أبى بكر النحوى ، ت :د٠عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨.

الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، عصام الدين الحنفى، ت: عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠١ م .

الإعجاز العلمى فى الإسلام السنة النبوية :محمد كامل عبد الصمد ، الديار المصرية، ط٢، ١٩٩٣

إعجاز القرآن للقاضى الباقلانى ، ت : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين ، ط١٥، ٢٠٠٢ م .

الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان/ أحمد على الحجار، دار الاتحاد العربى للطباعة

الإكسير فى علم التفسير :للطوفى البغدادى ، ت: د٠ عبد القادر حسين، دار الأوزاعى للطباعة، ط٢، ١٩٨٩م .

الألوان البديعية: د ٠حمزة الدمرداش زغلول ، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٠ م .

أنوار الربيع فى أنواع البديع: السيد على بن معصوم المدنى، ت: شاكر هادى ، ط١، ١٩٦٨م .

الإيضاح فى علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع لـ الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٥ م .

البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩١ هـ .

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة :عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ٢٠٠٠م.

البلاغة الاصطلاحية د٠ عبده عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٨٧ .

البلاغة التطبيقية د٠أحمد موسى ، طبع دار المعرفة (ب.ت) .

البلاغة العربية فى ثوبها الجديد علم البديع د٠ بكرى شيخ أمين ، ط٣ ، ١٩٨٣م

البلاغة فنونها وأفنانها :د٠ فضل حسن عباس ، دار الفرقان، ط٢ ، ١٩٨٩م.

البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، ت : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط١ ،١٤٠٧ .

البيان النبوى: د٠محمد رجب البيومى ، دار الوفاء للطباعة .

البيان الوافى د٠حمزة الدمرداش ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ٢٠٠٠م .

البيان والتبيين ، ت:فوزى عطيوى، ط١ ،١٩٦٨

التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان /للإمام شرف الدين حسن بن محمد الطيبى ، ت: هادى عطية مطر الهلالى ، عالم الكتاب ،بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى /لـ:الإمام الحافظ المباركفورى ، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٩ م .

التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط. مطبعة الحسين الإسلامية(ب.ت) .

التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان د٠محمد محمد أبو موسى ، دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٩٧٦م

التصوير الفنى فى الحديث النبوى د٠محمد لطفى الصباغ، المكتب الإسلامى، ط١، ١٩٨٣م .

تفسير ابن كثير ، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩ م .

تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سجنون للنشر، تونس .

التكرار بلاغة : د٠إبراهيم عبد الله الخولى ، دار الأدب الاسلامى ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م .

الثقات محمد بن حبان ، ت : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر،ط١ ، ١٩٧٥.

حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العلمية، مطبعة الحلبى

الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، ت: علي النجدي ناصف، ود٠عبد الحليم النجار.

الحوار فى الحديث النبوى تراكيبه وصوره د. عيد محمد شبايك، دار حراء، القاهرة، ط١ ١٩٥٥م.

الحديث النبوى من الوجهة البلاغية د٠ عز الدين السيد ، دار إقرأ، ط١ ١٩٨٤ م .

حروف المعاني لـ:أبو القاسم الزجاج، ت: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٤.

خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى ، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال بيروت ، لبنان، ط ١٩٨٧م .

خصائص التراكيب :د ٠محمد أبو موسى ، ط٢، ١٩٨٠م .

خلاصة المعانى للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى تحقيق ودراسة د٠عبد القادر حسين .

دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م

دلالات التراكيب د٠محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٨٧ م .

دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين. محمد بن علان الصديقي الشافعى، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ١٩٨٥م .

ديوان أبى العتاهية ، دار صادر ، ييروت، ١٩٨٠ م.

ديوان الإمام الشافعى ، مكتبة القدس (ب.ت) .

ديوان زهير بن أبى سلمة ، ت وشرح :كرم البستانى، دار صادر ، ١٩٦٠ م .

ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر، بيروت ، ط١٩٦١ م .

ديوان عمرو بن كلثوم، قافية النون، جمعه وحققه وشرحه: د٠اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربى، ط١، ١٩٩١م .

روائع من أقوال الرسول ﷺ دراسات لغوية أ٠عبد الرحمن حسن حنبكة ، دار القلم، ط ٦، ١٩٩٥م

سنن أبى داود لسليمان بن الأشعث السجستانى ، ت محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

السياق وتوجيه دلالة النص :الأمر والنهى فى الحديث النبوى الشريف فى ضوء نظريات السياق :د . عيد بلبع (ب.ت)

شرح ابن عقيل لـ:بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي ، ت: محمد محيى الدين، دار الفكر، دمشق،ط١ ،١٩٨٥م .

شرح أبيات سيبويه لأبى يوسف السيرافى ، حققه وقدم له د٠محمد على سلطانى ، ط الحجاز دمشق ،١٩٧٦ م .

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، ت: محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى الحلبى، ط٢ .

شرح الكافية البدعية فى علوم البلاغة ومحاسن البديع صفى الدين الحلى ، ت: د٠نسيب نشاوى،ط. مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٣م

شرح المفصل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتحمير /صدر الأفاضل الخوارزمى ، ت: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط دار الغرب الإسلامى ، ط١، ١٩٩٠م .

شروح التلخيص، المكتبة الأميرية ، بولاق، ١٣١٧ .

شعب الإيمان.لأبى بكر بن الحسين البيهقى، ت : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٠هـ

صحيح البخارى. للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى ت: د.مصطفى ديب البغا :طبع ابن كثير: بيروت ط٣ ١٩٨٧ م .

صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابورى، ت: محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى .

الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف. أحمد زكريا ياسوف، تقديم: د٠نور الدين زعتر، دار المكتبي ،٢٠٠٢ م .

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى ، دار الكتب العلمية، بيروت

علم الأسلوب مبادئه وإجراءته د٠صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ ،١٩٨٥م .

علم النفس النبوى ، قاسم شهاب صبّاح ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٩٩٥ م .

علوم البلاغة (البيان، المعانى، البديع) أحمد المراغى ، دار الفكر العربى، ط٧، ١٩٧٢ .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :لأبى على الحسن ابن رشيق القيروانى ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، لبنان (ب.ت) .

عمدة القارى شرح صحيح البخارى :للإمام بدر الدين العينى ، مطبعة الحلبى ط١ ١٩٧٢ م .

غرائب القرآن ورغائب الفرقان لـ:نظام الدين الحسين النيسابورى ، ط دار الصفوة، ١٩٩٥م .

فتح البارى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩

فتح المنعم شرح صحيح مسلم :د٠موسى شاهين لاشين ، دار الشروق ،ط١، ٢٠٠٢ م .

فى البلاغة النبوية. أثر التشبيه فى تصوير المعنى قراءة فى صحيح مسلم د٠عبد البارى طه سعيد ١٣٨، ط١، ١٩٩٢.

فى علم المعانى د٠حمزة الدمرداش زغلول ، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط٣، ٢٠٠١ م .

القزوينى وشروح التلخيص /د٠ أحمد مطلوب ، ط١، ١٩٦٧م .

القصّة والرواية :د.عزيزة مريدن ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٠هـ .

الكتاب لسيبويه ت: عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط٣ ، ١٩٨٨م .

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى، دار المعرفة للنشر.

الكناية د٠ حمزة الدمرداش زغلول ، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط٢ ، ١٩٨٨م .

لباب البديع د. محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية،ط١ ،١٩٨٦ .

لسان العرب للإمام جمال الدين أبو الفضل محمد الأفريقى ، دار صادر بيروت، ط١ .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لـ: أبي الفتح ضياء الدين الموصلى ، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥ .

مجلة الأزهر العدد صفر ١٤٣٠هـ، فبراير/ مارس ٢٠٠٨م،ج٢- السنة (٨١)

مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي بن عبد القادر الرازي ، دار الحديث، القاهرة .

مختصر السعد ومواهب الفتاح وعروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، المكتبة الأميرية، بولاق، ١٣١٧ .

مختصر سيرة ابن هشام. اختصرها وعلق عليها أعضاء لجنة السيرة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ،القاهرة،ط١ ، ١٩٩٤م.

المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله محمد النيسابورى، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ١٩٩٠م .

مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ، ت: محمد على موسى ، ط دار الكتب، ط٢ ، ١٩٨٥م .

المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى ، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ .

معانى التراكيب د٠ عبد الفتاح لاشين ، ١٩٩٣ .

معترك الأقران :للإمام جلال الدين السيوطى، ت: على محمد البجاوى، دار الفكر العربى .

المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى ، ت : حمدي بن عبد المجيد السلفى، مكتبة العلوم والحكم، الموصل،ط٢، ١٩٨٣

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٦م.

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لـ/جمال الدين بن هشام الأنصارى، ت : د.مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ،ط٦، ١٩٨٥

مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف السكاكى ، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٣م .

مفردات ألفاظ القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، دار القلم ،دمشق .

من أسرار النظم فى القصص النبوى :د٠ أحمد محمد الصابونى ، دار الهداية (ب.ت)

من بلاغة الحديث النبوى ، محمد أحمد سحلول ، دار الاعتصام، ط٢ ، ١٩٨٥ م .

من بلاغة القرآن : د٠ أحمد أحمد بدوى ، ط نهضة مصر، ١٩٤٥م .

من بلاغة النظم القرآنى دراسة وتحليل لمسائل علم المعانى د٠ عبد العزيز عرفة ، ط ١٩٨١م

مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب أ٠أمين الخولى، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣ م

موارد الظمآن لدروس الزمان خطب وحكم وأحكام /عبد العزيز المحمد السلمان ، ط ٢٠ ،١٩٩٢.

موسوعة الأعلام ، موقع وزارة الأوقاف المصرية .

نظرية الشعر في النقد العربي القديم د٠عبد الفتاح عثمان ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨١م .

النكت في إعجاز القرآن للرمانى، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ، د٠محمد زغلول سلام ، دار المعارف، مصر، ط٣ ،١٩٨٧ .

النهاية فى غريب الأثر المبارك بن محمد الجزرى، ت: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود الطناحى ، ط المكتبة العلمية ، بيروت، ١٩٧٩م .

النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ت: محمود الطناحى، المكتبة الإسلامية(ب.ت) .

وشى الربيع بألوان البديع فى ضوء الأساليب العربية د. عائشة فريد، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١.